

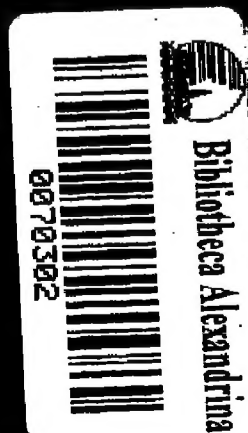
كتاب
الكتاب
٢٧٠

يَانِيسَ رِيَسُوْس

البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة: رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة للكتاب



البعيدُ

مختارات شعرية شاملة

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

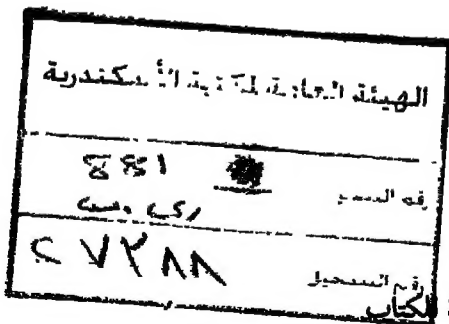
لمياء محرم

يائيس ريتسوس

البيد

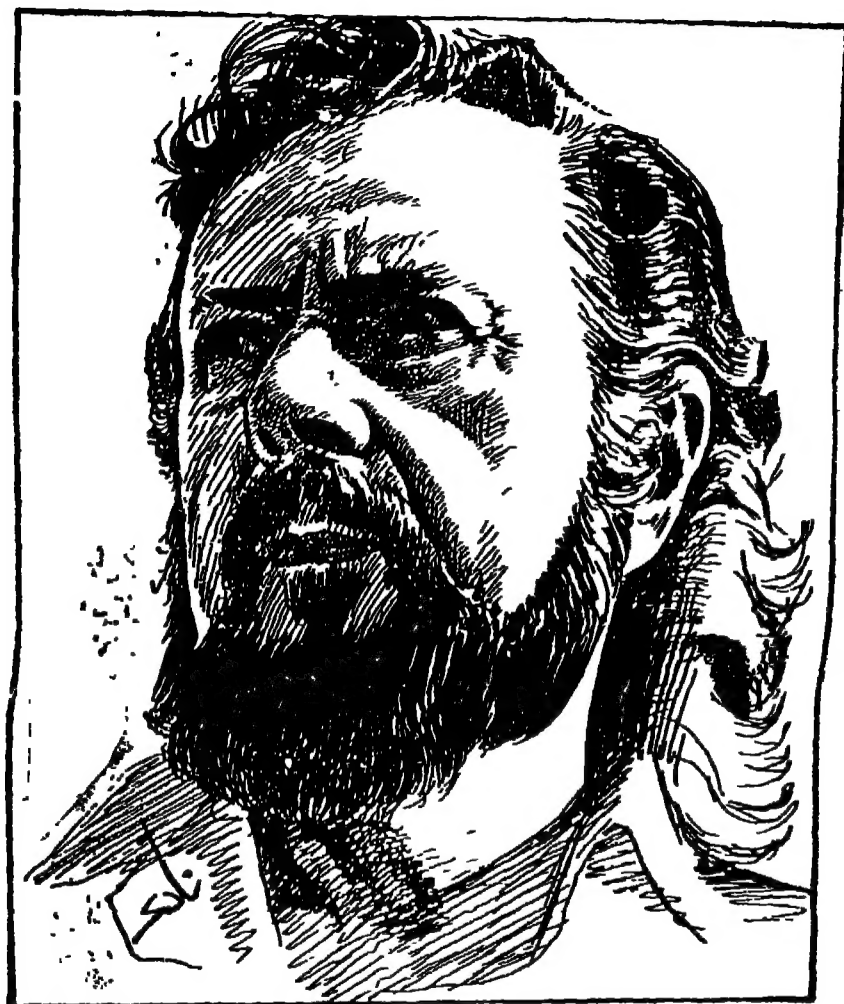
مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقييم
رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة

١٩٩٧



الصورة من رسم الأستاذ محمد نادى

الفهرس

٩	• • • • •	سيد البساطة الماكرة •
٥٣	• • • • •	اغنية اختى •
٧٥	• • • • •	مسيرة المحيط •
١١٠	• • • • •	روميوسيني •
١٢٨	• • • • •	من شهادات •
١٣٦	• • • • •	أوريست •
١٦٥	• • • • •	١٨ غنوة عن الوطن المرير •
١٧٠	• • • • •	اقواس ١٩٤٦ - ١٩٤٧ •
١٨٣	• • • • •	اقواس ١٩٥٠ - ١٩٦١ •
١٩٦	• • • • •	البييد •
٢١٠	• • • • •	دمار ميلوس •
٢٣٩	• • • • •	حجرة البواب •
٢٥٣	• • • • •	الجسد والدم •
٢٧٧	• • • • •	مختارات من القصائد القصيرة •
٣٠٥	•	١ أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠ •
٣٠٧	• • • • •	المراجع •
٣٠٨	• • • • •	تعريف بالترجم •
٣٠٦	• • • • •	للمترجم •

فكل ما أحبيت

أخذه منى الجنون

• الموت •

سيد البساطة الماكرة

في اللحظة التي كدت أن أمسك به انقطع الخيط ، وانفلت الى الناحية المستحيلة • وبدأت المطاردة • كان الخيط لم ينقطع ، أو كأنه استبدل بخيط سري ، ان شله أرخيته ، وان أرخاه شددته ، فلا أحدها يفلت الخيط ، أو ينسى •

كان ما يشبه النزوة أن كتبت اليه • نزوة لا تأمل في اكتمال الدائرة • حسبها الانفلات من الكبج التالي الى فضاء ما ، مكتفية بذاتها ، في ذاتها • انفتحت دائرة الى نصفها ، وتعلقت قوسا مضيقا في الفضاء المراوغ • واستدرت الى اليومى ، ونسيت • كأننى اكتفيت • كأننى •

هل كنت أتناسى أن الدائرة منقوصة ، مغلقة في قلبى بين بين ؟ هل كنت أهرب من عجزى عن اكمال الدائرة التي فتحتها بنفسى ؟ أم كنت أراوغ الاعتراف بالهزيمة القادمة ، اذا ما تجاهل السيد البعيد دعوتى - أنا الحد المجهول لديه - فلم ير قوسا ولا دائرة ؟

لكنه - قبل أن أنسى تماما - أدركنى بالرسالة التي أملاها على « كاثرين ماكرينيكولا » ، بدار « كيدروس » صاحبة حقوق نشر أعماله اليونانية : « لقد سعد بأن يعرف باهتمامك بقصائده ، وبنتيك أن تنشر مجموعة منها بالعربية • وهو يمنحك حق القيام بهذا النشر حينما تكون مستعدا • » واكتملت الدائرة • ومرة أخرى ، نسيت ، كأننى اكتفيت • كأننى •

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

لم يكن « حق النشر » شاغلا لى ، أو حافز الكتابة اليه . بل كانت الكتابة فى ذاتها اليه ، نعم الكتابة فى ذاتها . لا أكثر ، ربما . وها هى دائرة الكتابة قد اكتملت ، أى انغلقت ، فماذا بعد ؟

هكذا امتد بيننا خيط . واليونان - آنذاك - بعيدة بعيدة على . وهو - فى تلك البعيدة البعيدة - بعيد بعيد . مسافة عصىة ، وزمن مراوغ ، والحلم لا يخرج من أبجديته الداخلية الى الامكانية . فيا أيتها المسافة العصىة ، المستعصىة على اليد القصيرة ، من أين أمسك بك ؟ وكيف ؟

فهل كنت سيد الأبدية ، ليكون لى أنه أنسى ما يدبره الزمن من ضربة قادمة ؟ هل كنت سيد المصير ، ليكون لى أن أستند على جدار من هواء ؟

ما كنت هذا ولا ذاك ، لكننى نسيت ، واستندت .
وفى اللحظة التى كدت أن أمسك بالخيط ، انقطع .
وانفلت - دون أن يقول لى - الى الناحية المستحيلة من الأبدية .

(١)

ظل أبى كان شاهقا ، كان يظلل المنزل كله ،
ويسد الأبواب والنوافذ من أعلى لأسفل .

هو « ليفثيريوس ريتسوس » الأب المولع بالقمار حتى تبثديف الأرض ، كأحد كبار ملاك الأراضى فى مدينة « مونيمفاسيا » ، بالجنوب الشرقى من « البلوبونيز » .

وحينما ولد « يانيس » - فى ١ مايو ١٩٠٩ - كان الصوت المرعب للأب القمار يحتل فراغات المنزل ، وظله يسد الأبواب والنوافذ المفتوحة على البحر . حالة أقرب الى الجنون الذى يعقب الخراب فالسقوط .

جنون يمارس تجلياته على طفلين وطفلتين ينطلقون - بلا وعي - الى مصائرهم المجهولة .

كان ظل الأب ظلا للخراب الراهن والقادم . فالعام الذي أنهى فيه ريتسوس دراسته الابتدائية (١٩٢١) هو عام موت الشقيق الأكبر بالسل . وبعده شهور ، تدرك الأم ابنها الراحل ، وهى فى الثانية والأربعين .

هى الأم التى ستأتى فى « أغنية أختى » (١٩٣٧) :

• ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء

نسمع صوتها البعيد والحفيف الناعس لجولتها

• فيما نغمض عيوننا فى نوم ملى بالنجوم

ويكون رحيلها رحىلا لطفولته . تكسرت البراة الطفولية شظايا انقرست - جارحة - فى القلب الصغير . لابهجة ، ولا حنان . لا طمأنينة ، ولا فرح . بل هو الانزواء فى الأركان المعتمة ، فى ظل الأشياء ، بعيدا عن عين الأب السامة .

وحيدا مع أشياء المنزل ساعات من التأمل والكلام الصامت الداخلى . هى التى تؤويه ، وتتواطأ على وجوده ، وتمنحه ظلالها والسكينة : الغرفة ، والمقاعد ، والستائر ، المنضدة ، والنافذة ، والملاءة ، والسرير ، والكوب ، والجدار . هى التى تحنو عليه ، وترتضيه . هى الملجأ الحائى ، والأسرة البديلة . وسيكون له - فيما بعد - أن يبيع لها قصائده لتصبح محورا أساميا من محاورها ومحاور العالم ، باعتبارها شهودا صامتين على الوجود ، وشارة على حضور الآخرين الغائبين . هى حضور الغياب ، الحضور الوديع المكتفى بذاته ، بلا صوت أو عنف .

• ويصبح المنزل المشرع على البحر نصبا تذكاريا للخراب واللعنة . ومع الفرصة الأولى للهروب ، يدير له ريتسوس ظهره ، الى « جيثيون » ومدرستها الاعدادية ، صبيا فى الثانية عشرة من عمره . بعد الاعدادية ،

يفر الى الأبعد : أثينا ، وهو فى السادسة عشرة • صبي قروى ضال يرمى
بنفسه - وحيداً - فى متاهات العالم ، هرباً من لعنة المنزل القديم ،
وكوابيس الليل والنهار •

لكن اللعنة لا تفلته ، فتحل به على نحو آخر • انه نفس المرض
الذى أودى بشقيقه وأمه : السل • فلا مفر من العودة الى المنطلق
« مونيفاسيا » • لكن رعبه الكابوسى من المنزل يدفع به بعيداً عنه ،
الى فندق المدينة البائس مخفورياً بأشباح الموت ونعيب البوم • وسيكون
عليه أن يكبت مشاعره هذه لتنفجر - متأخرة - فى « البيت الميت » ، بعد
أكثر من ثلاثين عاماً : فانتازيا الرعب والجنون فى ذلك الحد الفاصل بين
الوجود والعدم ، بين الوهم والحقيقة •

عام واحد فى « مونيفاسيا » ، فالعودة الى أثينا فى خريف ١٩٢٦ ،
ليعمل فى نسخ شهادات الأعضاء الجدد بنقابة المحامين • وبعد شهر
قليلة ، يدخل مستشفى « باباديميتريو » ، فمصححة « سوتيريا » ، لثلاثة
أعوام تحت العلاج الذى لن ينتهى بخروجه منها • سيطارده لأعوام طويلة
قادمة ، يتأرجح فيها بين النقاة والانتكاس •

ويكتشف الشعر • كتابة تأخذ شكل الزخرفة البيزنطية ،
والصفحات البيضاء تمتلئ بكتابة لن تجد طريقها الى النشر : قصائد
تبحث عن الشعر ، عن الشعرى ، فتضرب - فى بحثها - فى كل
الاتجاهات ، مرتبكة ، مترددة ، متهورة ، متعثرة • لكنها الكتابة التى
ترأب - الى حد ما - الصدع الذى انشق بينه وبين العالم ، تعيد اليه
- الى حد ما - التوازن والقبول والتعويض الروحى •

فى ديوانيه الأولين - « تراكثونيات » (١٩٣٤) و « أهرامات »
(١٩٣٥) - يمنح الفرصة للأصوات الكبرى أن تحتله بلا مقاومة • انها
سطوة « بالاماس » و « فارنايز » و « كاريوتاكيس » ، التى حاصرتها فى
« سوتيريا » ، فى أجواء المرض والحمى والزحف الواهن نحو مستقبل
غامض ، ضبابى • لم يكن صوته الشعرى تاماً ، ولم يكن - بالطبع -

صوتهم تماما • كانت الغنائية تختلط بالخطابية ، والتحريرى بالمأساة • ديوانان ينتميان – بصورة واضحة – الى الشعر السياسى • ورغم ذلك ، فعندما ظهرا لم يستقبلهما نقاد اليسار استقبالا طيبا ، اذ اتهموا الشعراء بكونه مثاليا ومشغولا – أكثر من اللازم – بالشكل الفنى • وانتقدوا – على وجه الخصوص – لغته الشعرية ، باعتبارها لغة « زخرفية » ، وأكثر تعقيدا من أن تستوعبها الجماهير •

يبدأ « تراكتورات » بنداء الى الأم / الشعر كى تستقبله ، لينتهى بسيل جارف ضد المجتمع المتعفن المتدهور • وما بين البداية والنهاية قصائد أليمة عن اذلاله على يد « جماعات من البرابرة » التى تحيط به ، ووالده المحجوز فى مصحة للأمراض العقلية ، بينما يحادثه ابنه المريض من مصحة سوتيريا • ويضم الديوان – فى نفس الوقت – أناشيد الى ماركس وانجلز وروسيا ، ودعوة من أجل عالم واحد ، يكون فيه الجميع أخوة متساوين •

ويستثمر هذا التوجه المزدوج – الذاتى / السياسى – فى « أهرا مات » : رثاء عاطفى لأخته يمتزج برثاء صباه التعيس :

آه ، لا أذكر أبدا أننى كنت ذات يوم صغيرا
مثل عجوز مشلول كنت أختبئ بالداخل
أقرأ الكتب العتيقة •

وينتهى الديوان برؤى عن نفسه ، كجندي بسيط بين صفوف العمال ، يحارب من أجلهم بـ « قيثاره ومعرفة » •

وفى مايو ١٩٣٦ ، يقوم عمال مصنع التبغ – فى مدينة سالونيك – بالاضراب احتجاجا على تدنى الأجور • وحينما يستدعى رجال البوليس ، يطلقون النار على المضربين العزل ، فيقتلون اثنى عشر شخصا ويجرحون المئات • وفى اليوم التالى ، نشرت الصحف صورة أم متشحة بالسواد ، تبكى ابنها القتيل فى أحد شوارع المدينة • التقط ريتسوس الصورة ، وبعد يومين من العمل الخلاق ، كانت « بيتافيوس » (تراثيل الدفن التى

تؤدي في الكنائس اليونانية الأرثوذكسية يوم الجمعة الحزينة) • انها
- من جديد - مأساة صلب المسيح ، بل تتعدى الصلب الى القيامة •
والويل فاتحة القصيدة :

تركتني ذات يوم من مايو ،
و ذات يوم من مايو فقدتك •

ويل أم لا تستطيع ادراك سبب موته ، كما لا تستطيع فهم أفكاره
السياسية • لكنها - عبر القصيدة - تصل ، في منتهاها الى :

لقد حملت بندقيتك ، فتم الآن ، نم ، يا بني •

وأصبحت القصيدة النشيد الوطني - غير الرسمي - اليسار
اليوناني ، وخاصة بعد أن قام « ثيودراكيس » بتلحينها في أواخر
الخمسينيات • ففي مايو آخر - عام ١٩٦٣ - وفي مدينة سالونيك أيضا
انطلقت الحشود المرافقة خارج المستشفى الذي يرقد فيه النائب البرلماني
اليساري « لامبراكيس » - اثر الاعتداء عليه من قبل ماجورين سياسيين -
في انشاد « ابيتافيوس » وبينهم ريتسوس وثيودراكيس ، رثاء للشهيد ،
لينتقل النشيد الى أئينا أثناء تشييع جنازته • وخلال حكم الجنرالات
القادم - الذي سيعتقل ريتسوس - كانت القصيدة شعار كل احتجاج على
الديكتاتورية •

وفي أعماله التالية مباشرة - التي تبدأ بقصيدة « أغنية اختي » -
واصل ريتسوس استخدامه المطور للغة ، بل وذهب الى أبعد مما تحمل
متطلبات الفن « المناضل » • انها مفاهيم جمالية جديدة لا علاقة ذات بال
بينها وبين مفاهيم اليسار • وبدءا من ذلك الحين ، سيكون حافز ريتسوس
هو البحث عن « بعد رابح » في الشعر ، ربما لأنه اكتشف محدودية
الاطار الفني الذي تتخذ فيه جميع الظواهر الاجتماعية دلالة اجتماعية •
لا يعنى ذلك أنه لم يعد « واقعي » ، أو أنه قد تخلى عن « اشتراكيته » ،
بل يعنى أنه قد تخلى عن استهداف « الواقعية الاشتراكية » •

وقبل وفاته بحوالى أربعة أعوام ، سيكون لريتسوس أن يرى :

«ان المضمون الاجتماعى للشعر ليس - بالطبع - المقياس الأول لقيمة الشعر ، لكنه - بلا شك - المقياس الأخير ، المحدد . فعندما يخرج الشعر من أطر الاعتراف الذاتى للشاعر ، فانه يصبح بالضرورة - تعبيرا عن حاجة الناس ، كل الناس ، للعدالة والحرية والبهجة ، الحاجة الى التغلب على العزلة المرهقة ، وتعفن الموت . ان الفن الأصيل والشعر الأصيل يجب أن يصل حتما الى ذلك . لكن هناك مسألة أخرى ، اذ اننا أحيانا ما نكون - فى الشعر - اجتماعيين أكثر مما يجب ، وأحيانا ما نصنع - باسم السياسة - سياسة رديئة فى الفن . ان الجانب الاجتماعى والجانب الجمالى فى الشعر يجب أن يكونا متجانسين ومتكاملين ومتوحدين بشكل لا يمكن - معه - فصلهما .

ولا أحد - بالطبع - يمتلك الحق فى أن يفرض على الفنان أن يجعل من فنه « فنا اجتماعيا » . فلا بد أن يكون ذلك مطلباً ينبعث من أعماق الفنان نفسه . ان متطلبات وحاجات الشاعر الحقيقى والفنان الأصيل تتطابق حتما ودائما مع متطلبات الشعب وحاجاته ، وهى المتطلبات التى يكشفها الشاعر ويبلورها جماليا فى ابداعاته الفنية . وعلى هذا الأساس ، يشارك الشاعر - بشكل مباشر - فى العملية العامة لتغيير العالم . ويناضل الفنان طوال حياته ضد الظلم والاستغلال ، وضد كل أشكال الموت الاجتماعى ، حتى وان كان هذا النضال يبدو - للوهلة الأولى - وكأنه نضال خاص ومنعزل ، الا أنه - فى الواقع - نضال عام وجماهيرى ، اذ ان هذا النضال يستجيب لشيء مهم جدا عند الفنان ، وهو الحاجة الى التعبير عن مكونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية ، الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لاغتراب الشخصية الانسانية . ان هذا النضال تأكيد لأهمية الحياة الانسانية .

واذا ما كانت ثمة قيمة ما فى عملنا ، نحن الشعراء ، فانها تكمن فى أننا قد تجاسرنا بالتغلغل فى أعماق الألم الانسانى ، واستطعنا أن نستخرج الأمل من كل الآلام الانسانية ، وأن نساند الضياء وسط الظلام »

« أغنية أختي » هي النموذج الأول للشكل المفضل عند ريتسوس . القصيدة الطويلة التي توصف بأنها « سيمفونية » أو « تركيبيّة » . كتبت القصيدة عام ١٩٣٧ ، لكنها تعكس التجارب المريرة التي مر بها ريتسوس وأخته « لولا » عندما رحلا الى أثينا ، بعد خسارة الأسرة لثروتها ، وهما يجاهدان من أجل البقاء وسط الغليان الاقتصادي والسياسي الذي أعقب كارثة آسيا الصغرى ، وما واجهاه من مصاعب مروعة . هو الحزن الشخصي ملتجأ بالوعي التاريخي . وهي أحد أطراف الثلاثية التي تضم - معها - « سيمفونية الربيع » (١٩٣٨) و « مسيرة المحيط » (١٩٤٠) ، والتي تمثل - بصورة غير مباشرة - روح المقاومة ضد ديكتاتورية ميتاكساس في اليونان ، وصعود الفاشية في أوروبا . والشمس - التي تحتل أفق القصيدة - هي رمز الايمان الراسخ لدى ريتسوس بالقدرة المخلصة للشعر ، والمقدرة الانسانية - مهما كانت الظروف - على الاستجابة لنداء الحياة الذي لا يقاوم . ولا يتحقق انتصاره على اليأس بسهولة ، بل بعد رحلة مريرة نحو الضوء وسط الظلام .

(٢)

سمعنا أغنية البحر

فلم نعد قادرين على النوم

أعوام من الرعب تجيء ، مع النقاهاة .

في مقابل الديكتاتورية الحاكمة ، تصعد الفاشية الى عرش أوروبا . وتقتحم القوات الألمانية الحدود ، فالاحتلال . وتندرك المجاعة الشاملة الشاعر - مجاعة ١٩٤١/١٩٤٢ - فيتهده خطر الموت ، بعد أن أصبح أرضا خصبة بفعل المرض . ويكتشف وضعيته أحد أصدقائه الصحفيين ، فيطلق صرخة تحذير في جريدته واسعة الانتشار . وتم فتح اكتتاب عام لاقاد الشاعر ، فاذا به يرفض استلام النقود ، ويطلب توزيعها على الأدباء الشباب .

البقاء على قيد الحياة : كان الشعار المرفوع في وجه المجاعة .

البعيد - ١٧ .

وجبهة التحرير الوطني : كانت تنظيم المقاومة الشعبية ضد الاحتلال . والتحق ريتسوس بالقسم الثقافي للجبهة مع الكتاب والفنانين ، يلقون القصائد ، يعرضون المسرحيات الحماسية ومن بينها « أثينا تحت السلاح » لريتسوس . هو العمل الذي سيعيد صياغته - بعد سنوات - ليتحول الى « قصيدة حوارية » تحمل عنوانا آخر : « أبعد من ظلال السرو » .

كانه « القرن الأخير قبل الانسانية » : القصيدة التي كتبها ريتسوس في صيف ١٩٤٢ ، أملا في عهد جديد شبيه بالعهد الذي بدأه المسيح ، وهو الشاعر الذي سيكون حلقة وصل بين العهدين القديم والجديد . وهي احتفال بأبطال الموقعة الألبانية الذين صدوا جيش موسوليني ، وبكاء للمجاعة والغزو الألماني ، وتمجيد لجبهة التحرير . وهي الأمل الكبير في مستقبل يمشى فيه الرجال تحت الشمس بحرية كاملة . قصيدة تستخدم رموزا مسيحية لتأكيد إيمان ريتسوس النهائي ، لا بالمسيح ولا بأية قوة ميتافيزيقية ، وإنما بأسمى غرائز الانسان ، في الوقت الذي تطفو على السطح - مؤقتا - أسوأ تلك الغرائز وأكثرها انحطاطا . وتنتهي القصيدة بلافتة على مفترق الطرق : « من هنا الطريق الى الشمس » . وعندما يتساءل أحدهم عن رسم تلك اللافتة « بحروفها الغليظة تلك » ، يجيب آخر : « انه يانيس ريتسوس ، شاعر القرن الأخير قبل الانسانية » .

كان الجميع يأملون في بعث وحدتهم من جديد عند انسحاب الألمان . لكن النتيجة كانت حربا أهلية جاءت مباشرة بعد التحرير ، حيث انهزمت المقاومة التي كان يقودها اليسار ، في ديسمبر ١٩٤٤ ، بمساعدة الدبابات البريطانية . وهو ما عمق الفجوة بين الطرفين المتقاتلين . وما ان حلت المرحلة النهائية للحرب الأهلية ، حتى استقبلت المعتقلات اليونانية في الجزر ما يزيد على عشرين ألف معتقل ، حكم على ثلاثة آلاف منهم بالإعدام ، الذي تم تنفيذه في ألف معتقل بصورة عاجلة .

معهم ، تم القبض على ريتسوس عام ١٩٤٨ ، الى معتقل جزيرة « ليمنوس » ، وبعدها الى « مؤسسة إعادة التثقيف الوطني » في جزيرة

« ماكرونيسوس » ، حيث مارس عليه حراسه كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسى كسياسة عامة ، لتحويل الشيوعيين الى « هيلينيين صالحين » . بعدها نقل الى « آى ستراتس » (أجوس افسترايتوس) . ولم يصمت طوال السنوات الأربع التى قضاها فى المعتقلات . فقد واصل الكتابة فى أحلك الظروف ، ليضع قصائده داخل زجاجة يدفنها فى أرض المعتقل الحجرية . وأولا بأول ، كان يلقي قصائده على زملائه المعتقلين . ذلك ما يفسر استخدامه للأسلوب المباشر فى قصائده تلك الفترة ، ومن بينها « رسالة الى جوليوت كورى » (نوفمبر ١٩٥٠) :

عزيزى جوليوت ، أكتب لك من آى ستراتيس
حوالى ثلاثة آلاف هنا ،
أناس بسطاء . عمال أشداء ، كتاب أدباء ،
تغطى ظهورنا جميعا بطانية واحدة مهترئة ،
بصلة ، وخمس زيتونات وكسرة جافة من ضوء فى
أكياسنا ،

أناس بسطاء كالأشجار فى ضوء الشمس ،
جريمته الوحيدة المدونة فى سجلاتهم :
هى - فقط - أننا ، مثلك ، نحب السلام والحرية .

حبة أعاد فيها ريتسوس النظر فى رؤيته للعالم واليونان والتاريخ ، بحثا عن ذاته التاريخية الشعرية ، وعن صوته الشعرى الذى يختصر الذاكرة اليونانية ، ليجد بين يديه « روميوسيني » : قصيدة ملحمية تستمد لغتها وإيقاعها من التراث الشفاهى الذى يرجع الى الأناشيد البطولية للفدائيين فى حرب الاستقلال (١٨٢١ - ١٨٢٧) ، والقصائد الأكريتية البيزنطية خلال الحكم التركى ، رجوعا الى الأغاني الهومرية ، حيث الشاعر منشده الجماهير ، راوى الحكايات الذى يمجده ويحتفل بمن يعشقون التراب اليونانى ، الموتى منهم والأحياء . عشق يجعل المشهد الطبيعى - فى القصيدة - يتخذ نفس نسيج الوعي الحى للعاشق ، فيما يتخذ العاشق ووعيه نفس نسيج المشهد الطبيعى الحى .

وليس « رومبوسيني » مكانا فحسب ، بل هي - أيضا - زمان .
فالطبيعة اليونانية هي محور التشكيل الشعري للقصيدة ، لكن هناك
- أيضا ، وبصورة متزامنة - الوعي الحاد بالانفصامات المربعة في
التاريخ اليوناني . هي تجربة الحقبة المأساوية والفاصلة بين الاحتلال
الألماني والحرب الأهلية، والتي تعنى - من وجهة نظره - خيانة للمقاومة^{١٠}

قصيدة ملحمية ، لكنها لا تتطور خطيا وفقا لبنية سردية
أو أيديولوجية . فالشكل الزمني ليس تعاقبيا ، يتحرك أفقيا من بداية
- عبر وسط - الى نهاية ، ولا جدليا ، من فكرة الى قضيضها الى مركبهما .
بل تتمحور القصيدة - على نحو مكثف - على موقف تاريخي معاصر ينفتح
رأسيا حتى أقصى حدود الماضي اليوناني . فخيال ريتسوس الشعبي واللغة
المفعمة بالحيوية التي تعبر عنه يكتشفان ، أو - تحديدا - يفتحان زمن
الذاكرة الذي يتحقق فيه حضور كل الأزمان اليونانية ، زمن تلتئم فيه
الشظايا الزمنية وأطلال التاريخ اليوناني - صورة مطايرد الحكم التركي
والثورة اليونانية ، حراس الحدود المدنيين ، والمقاتلين الهومريين - تنبثق
من البنية العرقية لما تحت الوعي ، لتحقيق الهوية والتواصل مع الصورة
المعاصرة (رجال الميليشيات الجبلية) . فالخيال العامي لريتسوس - بمعنى
آخر - يحول سلسلة من المواضع الميتة الى حاضر حي لا بد من ادراكه
- بالطبع - بصورة متزامنة .

بذلك - على سبيل المثال - يحتسى البحار (المعاصر) البحر المرير
من كأس أوديسيوس ، ويلتقى رجال حرب العصابات مع « ديجينيس »
في نفس تلك الطوابق التحتية على الحدود البيزنطية حيث تصارع مع
الموت ، والمرأة العجوز تصعد الى مواقع المراقبة حين تبلى الرسوم الجصية
المينوية للغروب في البعيد ، والشاعر يحفز الريح كي تدفع « دب
الليل » الى رقص « التساميكو » في الميدان ، بينما يقرغ القمر الدف الى
أن تهتز شرفات الجزيرة .

واستعادة الماضي - هنا - ليست استحضارا رومانسيا ، ولا بحثا
عن الزمن الضائع ، ولا هي - حتي - استعادة اليوتية (نسبة الى اليوت)

لـ « الحس التاريخي » ، حيث يبحث الشاعر - بوعى - عن تواصل الماضي مع الحاضر . فبالنسبة لريتسوس ، فانه لا يتخلى أبدا عن الوضع الراهن ؛ واحتمالاته فى مستقبل حقيقى . فالراهن المفتوح يبقى فى الخلفية منذ البداية حتى النهاية التى ما تزال فى طور البداية . وتواصل الماضي اليونانى متحقق - لديه - كمعرفة مباشرة فى ذاكرته العرقية ، أو فى ايقاع دمه اليونانى ، ويحيا ضمن إمكانيات لغته الدارجة الديموطيقية ، الشفاهية .

انه التزامن سمة أساسية ، والمعرفة الوجودية المباشرة محور أساسى للرؤية . وتلتحم الاحالات - المتعلقة بكائنات بشرية ، أو أشياء من الطبيعة - فى شخص اليونان الأم ، التى تتخذ - فى قفزات سيراليية خاطفة - تشكيلة مدهشة من الهويات الأثوية التى تنتمى الى الماضي اليونانى المتشظى والكثيف : حورية الماء ، ربة الأرض الأم الأورفية التى تنجب ايروس وسط الهيولى ، وليدا التى تثمر تاريخ اليونان القديمة ، وأثينا الربة المقاتلة ، وأخيرا پرسفون (بالاحالة الى ابنة الحداد) ، وأمها ديميتى التى توزع عليهم خصب الأرض والنشور .

استدعاء للتواصل التاريخى أو - بالأحرى - الاكتمال التاريخى ، دون أن يتحقق على حساب الحاضر . فهو يكتشف - من ناحية - التوحيد بين ابنة الحداد المعاصرة والأم النائحة ، و - من ناحية أخرى - بين الأرض الأم وحورية البحر والعذراء وديميتى وپرسفون . لكن موضوعه الدائم الملح هو الانصهار اليونانيون المعاصرون . فالاستدعاءات من الماضي اليونانى لاستهداف - كما عند اليوت وبيتس وجويس - اجتذاب البانوراما الهائلة للاجدوى والفوضى « المرادفة للتاريخ الانسانى » الى علاقة متوازية من أجل ضبط وتنظيم وتشكيل ومنح المعنى لها . فهى ليست أداة لتشكيل عالم جمالى أو روحى متعال من الخيال ، يترفع على الحاضر الخشن . انها حاضرة من أجل الاحتفال بالخيال المعاصر الواقعى لليونانى ، الذى يعرف أن « هذه الأرض لهم (للموتى) ولنا ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منا » . ذلك هو السبب فى أن ريتسوس - باعتباره مغنى الجماعة - يقدم الصورة التاريخية والأسطورية والشعبية عن الماضي من

منظور الاحساس اليونانى البيولوجى أو الطقسى (أكثر من الذهنى)
بالزمن والتاريخ .

وصورة هذا العالم الذى يكتشفه ريتسوس - العالم الذى تندمج فيه كل الأزمان والفضاءات ، كل الأحداث والأشياء فى انسجام خالص - تصبح ، بذلك ، مقياسا حيا للتهديد الذى يوجهه الـ « هم » الغزاة فى القصيدة . وفى ذلك يكمن السبب فى قدرة ريتسوس على أن ينطق فى المقطع السابع - بكلمات الحب فى سياق يستدعى الكراهية والمرارة ، وأن يؤكد الأمل فى سياق يستدعى اليأس .

هكذا ، تقدم القصيدة الزمن اليونانى ، دون أن يهم كم هو مشهتت ظاهريا ، كراهن أبدى . انه حضور حى فى وعى « الشعب » المعاصر :

« الشعر ظاهرة معقدة للغاية ، لأنها تتحدد بتأثير عوامل عديدة ، اجتماعية وتاريخية وأخلاقية وبيولوجية . وأنا واثق أن آلاف الصفحات من النصوص التوضيحية ، وآلاف الخطب ، لا تستطيع - بشكل كامل - أن تعبر عن الشيء الذى تتضمنه هذه القصيدة أو تلك . بل أقول ما هو أكثر : ان قيمة القصيدة لا تكمن - فقط - فيما تتحدث عنه ، وانما - بالأساس - فيما يجعل القصيدة نتاجا فنيا . وبعبارة أخرى ، فان القصيدة فعل جمالى متكامل . ولهذا ، فان اخضاع القصيدة للتأويل والتفسير مسألة خطيرة للغاية . . . فلا يمكن تفسير الشعر حتى النهاية ، وروعة الشعر وسحره المتفرد يكمن فى ذلك بالذات . انه التعبير عن أدق حركات روح الشاعر وفكره .

ومهمة النقد هى تقسيم الصورة النسيجية التى يكمن فيها جوهر الشعر نفسه الى أفكار منفصلة وأحاسيس وصور فنية وإقاعات ، ثم يجرد ارتباطات كل هذه العناصر ، ويكتشف فيها آلية تأثيراتها ، ومن ثم الموقف الوجدانى المحدد للشاعر فى علاقته بالواقع الاجتماعى والخلفية الفكرية لتلك العلاقة . لكن ذلك يجب ألا يفضى بالنقد الى وضع متطلبات

وشروط قسرية ازاء الانتاج الأدبى قد تؤدى الى ابتعاد القارىء نتيجة لتلك الآراء والادعاءات .

وأسوأ ما فى الأمر أن نرى الناقد يؤدى دور المراقب أو المعلم تجاه الشاعر . أن هذا الموقف هو خرق للأخلاق وظلم للشعر والشعراء . يجب أن يتخلص النقد من نبرة الحاكم أو الرقيب ، ويجب أن يتفاعل مع أخلاقية الفن ، وهو ما سيؤدى بالنقاد (والقراء أيضا) الى اكتشافات واستخلاصات كثيرة وجديدة . يجب على النقد أن يقرب الشعر للقارىء ، وهى مهمة عظيمة ، اذ ان الشعر هو منبع التقنية الجمالية للروح الانسانية ، انه يعلم الانسان أن يحس بعمق ورقة ، ويغنيه روحيا ، ويعمق عالمه الوجدانى . ان الشعر يربى فى الانسان الأوليات الجمالية ، والتي هى - فى جوهرها - اجتماعية بلاشك ، اجتماعية بأوسع مفهوم للكلمة .

(٣)

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .
سنواصل الغناء .
فالعالم جميل - نحن نوكد -
جميل ، جميل ، جميل - وسنواصل الغناء .

لم يكن ممكنا نشر « روميوسينى » عند كتابتها . وكان لها أن تنتظر ست سنوات كي تنشر عام ١٩٥٤ للمرة الأولى . وللمرة الثانية ، يقوم « ثيودراكيس » بتلحين احدى قصائد ريتسوس ، ليقدمها الاثنان معا الى الجماهير الجاشدة قبل فترة وجيزة من منع النظام لأعمال الاثنين .

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .

كأنه يكتبها وأسنانها مطبقة ، وشفته مزمومتان . لمحة من السخرية والمرارة بدأت تظلل قصائده الأخيرة ، دون أن تقمع الأمل الكامن فى قلبها . وبعد اطلاق سراحه ، جمع القصائد المكتوبة فى ظلمات الحقبة الماضية

(١٩٤١ - ١٩٥٣) فى مجموعة بعنوان شامل : « سهر » ، تحت عبارة اقتبسها من فترة حالكة أخرى فى تاريخ اليونان ، من « ديونيسيوس سولوموس » : « أعين روحى مفتوحة دائما ، لترقب دائما » . انه السهر على جثة الميت فى مواجهة انحطاط وظلم الحياة ، بلا يأس أو انكسار ، بل بالأمل والعنفوان .

تزوج عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى احتفل بطفلة القادمة بديوان « نجمة الصباح » ، الديوان الأول الذى لا تشوبه لمحة مرارة أو حزن : لكن الفرح بنجمة الصباح الوليدة لا يلغى الاحساس بضياىع ما . كما أن الوضع اليونانى - بالرغم من تحسنه الجزئى - لم يكن ليرضى شاعرا بقامة وأفكار ريتسوس .

كانت الحقبة التالية - وحتى اعتقاله الجديد عام ١٩٦٧ - فترة خصوبة إنتاجية هائلة : ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ديوانا من الأعمال الجديدة ، وثلاثة مجلدات لقصائد ١٩٣٠ - ١٩٦٠ ، وتسعة مجلدات لترجماته الى اليونانية . ويتكشف الاهتمام بتعميق التجربة الشعرية ، والتجاوب مع المتناقضات والتعقيدات الصارخة التى مر بها . نزوع الى الحوار الذاتى الدرامى ، كشكل طبع لتقديم رؤية للعالم يمتزج فيها الأسطورى بالآنى ، والصفاء والبساطة يتعايشان مع الغموض والكوابيس ، واليومى يمتزج بالفانتازى .

هكذا ، يستعيد « أوريسست » من الذاكرة الأسطورية فى مونولوج درامى يطرح الصراع بين « الفعل » و « الفكر » . وتقود القصيدة بطلها الأسطورى فى طريق تأمل يفضى به - فى نهايته - الى الرغبة فى الفعل ، برغم ادراكه لأعمق تعقيدات الحياة . وبمعنى ما - اذن - يقدم ريتسوس مراجعته لـ « هاملت » . فهناك :

• • •
الوعى جعلنا جميعا جبناء
ولهذا فالمنظر الأصيل للقرار
قد علاه شحوب الفكر .

أما بالنسبة لأوريست ، فالقرار ليس مقموعا بفعل الفكر، بل يقوى به . انه مشلول - بصورة مؤقتة - بفعل تأملاته ، لكنه - فى النهاية - يذبح « كليتمينسترا » ، ويقدم على ذلك لا برغم ادراكه الأعرق ، بل بسببه .

انها الوحدة التناقضية للتعارضات . فليس غريبا - اذن - أن يكون الأسلوب البلاغى المهيمن فى القصيدة هو « المفارقة » : (« حركة بلا حركة » ، « ضبابى ، لكنه محدد » ، « صرخة صامتة » ، « ما لا يعزى ، .. يعزى ») . ولا يمثل ذلك تلاعبا ماهرا بالألفاظ ، بل تحقق لغوى لمادة الموضوع . وهو ما لابد أن يوجه انتباهنا الى الطبيعة الثنائية والتناقضية للصور التى تنقسم - فى عمقها - الى نمطين . ثنائية محددة و / أو مدمرة ، فى النمط الأول تتجلى فى تشبيه لسان الجرس والجرس ، الذى يصف اغتراب اليكترا عن صوت عويلها :

وهى تبدل هناك داخل صورتها
كلسان جرس ، وهو يقرع ويقرع الجرس .

وصوتها هو صوت الانتقام ، أو هكذا تظن . لكن أوريست - وهو يمضى تدريجيا الى المعنى الأعرق للأشياء - يدرك أنها « سجيننة عدالتها الضيقة » . انها مفارقة أن الدوافع الطبيعية للفعل الانتقامى تسجن الذات ، وتحد منها . ولهذا ، فاليكترا الشابة انما هى عجوز ، وحزامها « يشبه شريانا بلا دماء حول بطنها » .

ويرفض « أوريست » أن ينحصر فى نفس الطريق . واذا يبحث عن « مخرج وأيضاً مدخل » ، فانه يتوصل الى ذلك عن طريق النمط الثانى للرؤية الثنائية ، حيث الذات الفردية الراغبة فى الفعل (اللسان) تكف عن التصادم مع المحيط الضيق ، اللفظ - (الجرس) - ويتم استيعابها فى لانهاية ما غامضة وحافزة . وما ان يدرك أن النضال الانسانى كله - حتى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيشيوس » - « يحفز الحياة » ، فانه يقوم - راضيا - بالفعل .

والصور - فى هذا النمط الثانى - تجمع المتعارضات معا : السكينة والغليان ، الحركة والسكون ، والمتناهى واللانهاى ، والموت والبعث : فالليلة الساكنة - التى تكسرها صرخات « اليكترا » - تشبه نهرا مظلما :

ينساب نحو البحر بقفزات لا مرئية
(ربما كان أحدهم يرمى أحجارا فى النهر)
وفلاح يسير على حافة حقل
وهو يحمل تحت ذراعه الظل الذى رموته غيمة -
ظل يرسم مشهدا طبيعيا بعيدا للانهاية (
(فار يهوى فى الآبار ويغرق ،
لكن الآبار نفسها تعكس الكواكب
وهى تتحرك ببطء عبر السماء)

وفى جميع هذه الحالات ، يرتبط شىء ما صغير ، محدود ، ومدمر
فى الغالب ، بشىء كبير ، غامض ، بلا ايذاء : نجوم ، غيوم ، النهر ،
الظلال ، مربوطين معا ضمن :

• ايقاع الحياة المتكرر •

فى هذا السياق من السكينة والايقاع الأبدى ، والصمت الكامن فى
النسق الذى ينتظم البذور والنجوم ، نلتقى - لأول مرة - بالبقرة
الصائرة المتحملة ، التى تساعد عينها الكبيرتان الأرض على التآلف مع
الأبدية •

وعندما نلتقى بالبقرة مرة ثانية ، فأننا ندرك أنها - أيضا - وأكثر
حضورا من أى رمز آخر ، تتوج المتعارضات المتصارعة • فهى لم تعد
مربوطة - فى كسل - كما السابق ، بالأوراق والسماء الزرقاء والترربة
الدافئة • وما ان تتحرر من النير حتى نكتشف أنها :

مجروخة فى ضلوعها وظهرها ...

فهى - بذلك - مشاركة فى كل من الايقاعات الخلاقة للأبدية ،
والمعاناة المدمرة للحياة الأرضية •

أما ذلك النهر الآخر - النهر المظلم الذي ينساب نحو البحر مضطربا بفعل الصخور التي ربما ألقتها أحدهم فيه - فقد تصعدت أحجاره الى دماء ، ترتبط بالسيف الدامي الذي سيستخدمه « أوريسيت » . في قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » . وفيما كان التقابل - في الثنائية السابقة - قائما بين الأشياء الصافية وغير الصافية ، فان الايقاع المتكرر للحياة يفتقد - الآن - صفاءه ، بل انه - الآن - جرح كوني * مفارقة تتراكم فوق أخرى، فما كان - في البداية - متناقضا لأنه جمع التباينات الظاهرية معا ، يصبح - الآن - مزدوج التناقض : ورغم ذلك ، فالنهر المعتكر للحياة المنسابة أبدا ما يزال يستبقى خصائصه الشافية . والدم النازف من شفتي البقرة قد تلاشى - بالتدرج - في ذلك الجرح العظيم ، كأنه ينساب :

متحررا ، بلا ألم ،
خلال شريان خفي للعالم ..

وهذا الشريان الخافز للحياة هو المقابل لذلك الشريان الآخر ، الذأوى بلا دماء حول بطن « اليكترا » : وبينما تظل « اليكترا » - في عماها السجان - عدوا للمفارقة ، لأي شيء « غير منطقي » ، فان البقرة - بحكمتها - تبدو وقد تعلمت ، تبدو قادرة على القول في سكونية :

بأن دمنا لم يهدر ، أن لا شيء قد أهدر ،
لا شيء مطلقا قد أهدر في هذا الهباء العظيم .

وهذه الحكمة يتبينها الآن « أوريسيت » ، ثمرة لتأمل الطويل أمام بوابة الأسد . يدرك أنه يحمل هذه البقرة في ظله (نذكر ذلك الفلاح الذي يحمل ظل غيمة تحت ذراعه) ، يدرك - أيضا - أن الظلال اللينة ، اللامحسوسة لقرني البقرة يمكن أن تتحول الى أجنحة مسنونة يتمكن بها من عبور الباب المغلق (فلنتذكر « اليكترا » - في المقابل - وهي معلقة في واجهة جرسها الفظ) .

لقد اكتشف أننا نشترك في الحقيقة الكونية (للشيء العظيم)
بأن نسمح لأنفسنا - من خلال التأمل - بأن نتعلم المفارقة أن كل

المغتصبين أبرياء ، « لأننا جميعا مقتصبون على نحو ما » . اننا نشترك في حقيقة كونية بالعمل في توافق معها . ذلك هو قدرنا . وقد يبدو أوريسست وكأنه يفعل باسم تبريرات « اليكترا » غير المقنعة - العقاب ، العدالة ، الانتقام والكراهية - لكن تلك التبريرات لا تزيد عن أقنعة يرتديها كي تغطي ذاته الحقيقية . وحين يشارك في الموت ، فانه يختار - بحرية - « المعرفة وفعل الموت الذي يولد الحياة » .

ولهذا ، فالأفعال التي تشارك في كلية تتضمن التدميرية هي - الى حد ما - ايجابية . ولا يستطيع « أوريسست » أن يقوم بالفعل بناء على أسباب غير مقنعة تقترحها « اليكترا » ، لكنه ربما يستطيع الفعل من أجل هذه ال « نعم » اللامنتطقية ، التي تشرق غامضة ومنيعة فيما هو أبعد من كل فرد ، أو « ربما من أجل انتصار ما بلا فائدة على أول وآخر مخاوفنا » .

تلك هي الكيفية التي يحل بها ريتسوس الصراع بين « الفكر » و « الفعل » . فهو - من ناحية - يرفض القبول بالفعل الطائش ، فيما يرفض - من ناحية أخرى - السماح للمعرفة العميقة - المعرفة المتحققة بفعل التماثل - أن تشمل بطله . وعلى النقيض من « هاملت » ، يقهر « أوريسست » تردده بفعل الحكمة المأساوية ، ويقوم بالفعل ، بينما صرخات « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » تذوب في الايقاع المتكرر للحياة ، الايقاع الذي يتضمن - الآن - لا أصوات الطيور المغردة فحسب ، بل - أيضا - أصوات الصيادين المدمرين . ولهذا ، ففي نهاية المونولوج ، تستقر البقرة - وهي الصورة الأساسية في القصيدة عن المفارقة المحلولة - في منتصف بوابة الأسد ، وتحلق بعينين سوداوين في ضوء الصباح .

(٤)

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا على ،
فان لم تعثروا على ، فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدي ،
فتمتزج بصمات أيدينا .

وكان سدا ما قد انفتح في هذه الحقبة من السلام النسبي ، التي تشبه هدنة ما ، أو استراحة المحارب ، قبل أن يعود الى الجحيم .
فيضان من الأعمال المنشورة - التي أجلتها المطاردات والمصادرات وظلمات الاعتقال . وفيضان آخر من الكتابة الجديدة التي أنضجتها المحن ونيران المواجهة والتصادمات .

كتابة تخترق كل الاتجاهات بلا حدود ، وكل الأشكال والأزمان التاريخية والأسطورية . أعمال مونولوجية درامية تستمد من الأساطير الاغريقية شخوصها المعذبة ، الأليمة ، ومناخاتها الكابوسية ، الفانتازية ، المشحونة بالصراخ والجنون وحكمة الزمن . وذاكرة متخمة بالتواريخ والرموز الحية التي تتزاحم بحثا عن مخرج شعري الى الضوء ، دون أن تستغرق البصيرة - أو تستلجب - في الوراثة . انه الراهن ، الآني ، والبصيرة المعاصرة ، والعين التي تدور حول محورها - أفقيا ورأسيا ، في آن - بزاوية ٣٦٠ درجة ، فترى ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون .

ولا بحث عن أفعال بطولية خارقة ، ولا عن أبطال يتسامون على البشرية . فالبطولة - في ذاتها - كامنة في البشرية ، اليومي ، الاعتيادي في مواجهة الكارثة ، ومواجهة الحياة المأزومة . لا رومانتيكية ولا تجريد ، لا عدمية ولا ذهنية . احتفال دائم بالحياة كلها ، بشهواتها الانسانية العارمة ، بمكنوناتها التي تضيء بالرغبات والأحلام والتشوفات ، دون تواطؤ على شيء . اضاءة - في نفس الوقت - للحظات الانكسار ، للعجز عن التواصل ، للأحلام المحبطة ، للبكاء الليلي في الوحدة الباهظة .

هنا - بالتحديد - تبدأ « الأقواس » ، تلك القصائد التي كتب ريتسوس مجموعتها الأولى عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، ولن تعرف طريقها الى النشر - أول مرة - الا عام ١٩٦١ ، والمجموعة الثانية التي كتبت بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦١ . أما ديوان « البعيد » ، فكتب عام ١٩٧٥ ، ونشر في مارس ١٩٧٧ .

ما يجمع المجموعات الثلاث هو وحدة الرؤية الرمزية والحيثانية،
 سواء في قصائد المجموعة الواحدة أو قصائده المجموعات الثلاث معا .
 رؤية شاسعة الفضاء داخل القوسين . هما قوسان يشبهان يدين
 متواجهتين عبر مسافة ما ، تجاهدان من أجل التماهما معا والغاء المسافة،
 من أجل اللقاء الذي يعيد تأكيد التواصل الانساني بين الذات المعزولة .
 لكن ، بالرغم من أن هناك اشارات واضحة نحو انغلاق الفجوة بين اليدين،
 فان الاشارات تبدو محكومة - بصورة حتمية - بالفشل .

والقصيدة الافتتاحية في الأقواس الأولى - « معنى البساطة » -
 تصلح تقديما للانشغالات الأساسية للشاعر . انه الاقرار بمسافة
 مفترضة بين الأنا والآخر - قد تكون المسافة بين القوسين - واحتمال
 الفشل في اللقاء . لكنه الالتحاق - في نفس الوقت - على ضرورة
 المحاولة . وهي قصيدة يتم تأويلها - غالبا - باعتبارها عقيدة :

« مثل كافافي ، لا يمكن فهمي الا من خلال الأشياء المختبئة ، لكن
 الأشياء التي أختبئ وراءها بسيطة ، وهناك مدخل لها عبر الكلمات عندما
 تكون الكلمات صادقة : أيها القارئ، حاول أن تعثر على من خلال كلماتي،
 لأنني أريد اللقاء ، ولا يهم مدى الصعوبة التي تواجهنا من أجل أن يصل
 كل منا الى الآخر - في الحقيقة ، انني أصر على اللقاء » .

انها احدي قصائد ريتسوس القليلة التي تحمل خطابا شخصيا .
 ولن يظهر صوت « الأنسا » - مرة أخرى ، في الأقواس الأولى - حتى
 القصيدة الأخيرة . وبين الأولى والأخيرة ، سنجد القصائد تستخدم ضمير
 المخاطب ، وضمير الغائب ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير المخاطب الجمع،
 وأية صيغة نحوية أخرى من أجل تفادي « أنا » الشائعة في الخطاب الغنائي
 أو الذاتي ، وهو ما يمثل شاهدا اضافيا على اصرار الشاعر على التخلي
 في هذا المثال وراء موقف موضوعي .

وليسست القصائد بسيطة - بالمعنى الشائع - رغم تركيز بورتها
 الظاهرة على الأشياء البسيطة ، نسبيا . فالأشياء البسيطة هي في

« نسخة مصغرة » ، على سبيل المثال - تكمن في امرأة بلا هوية ، وضابط بلا هوية ، وبعض شرائع الليمون النحيلة ، ومقعد قديم ، وكبريت وسيجارة وكوب شاي • ويكمن الفعل في غياب الفعل : زيارة قد تفضى الى تلاق من نوع ما ، التقاء لا يحدث في النهاية • وشرائح الليمون البسيطة تلك تصبح مجازا مركبا يمثل قلب القصيدة • وتواجه المرأة والضابط بعضهما عبر قطع الأثاث المحدودة ، مع أمل ما في علاقتهما غير المحددة ، أمل يكفى - على أية حال - لمنع الزائر من النظر الى المرأة ، وليث الرعشة في يده التي تمسك بالكبريت • أهو احتمال شهواني ، لقاء محتمل لعاشقين عند أكثر المستويات جوهريّة ؟ بالكاد يبدو كذلك ، عندما تشكل شرائح الليمون - تلك التي أعدتها اليدين الحزینتان للمرأة من أجل الشاي - عربة صغيرة تستعيد عالم الطفولة بحكاياته الخرافية البعيدة ، بقدر ما تستعيد بعد المرأة / الابن في هذا اللقاء بين امرأة غير محددة العمر وضابط محدد - بوجه خاص - كشاب « له ذقن رقيقة » • وقبل ادراك هذا التوقع بالحب ، توقف الساعة دقاتها لبرهة ، وتوقف الوقت • بعدها ، تأجل اللقاء أيا ما كان مستواه ، ولحظة التلامس المحتمل ، سواء كان جسديا أم عاطفيا أم الاثنین معا ، تمر وتنقضى • وفي مرورها ، تستبدل عربة شرائح الليمون الخاصة بحكاية الطفل الخرافية بعربة لا مريّة تحمل الموت • أهو موت إمكانيات تلك اللحظة ؟ موت تلك التوقعات الغامضة ؟ أم انه نذير يموت الضابط في معركة ما ، والقضاء على أي مستقبل له ؟ (كتبت هذه القصائد فيما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ • لتعطي - أحيانا - تلميحات قوية الى السياق التاريخي الأكبر ، الحرب الأهلية القاسية) •

والأسئلة العديدة المطروحة تتخطى الأشياء البسيطة ، دون أن تقسم القصيدة اجابة محددة على أي منها ، فلا نعرف سوى أن العربة التي تحمل الموت قد جاءت ومضت في لحظة الغموض التي توقفت فيها الساعة عن دقاتها ، وأن الأمل فيما هو أكثر من مجرد لقاء على شاي قد تأجل ، وأن الوقت الآن قد فات على اكمال هذا اللقاء المرتعش بين رجل وامرأة يؤديان أحيانا - دورى الأم والابن • ولا مجال الآن لتجديد الموت العبارض

أو الدائم • ويعود انتباههما الى مائدة الشاي ، المنسية بالعربة ذات العجلات الليمون المتوقفة في الجانب المظلم من الشارع – شارع الآمال الضائعة ، والتوقعات المستحيلة ، ربما •

والقصيدة التالية – « امرأة » – تمثل ما يعتبر المجزى العام لشعر ريتسوس ، ذلك الانشغال بالفقراء وهمومهم • لكن ما تحت السطح ينطوى على استراتيجيات وتوجهات تربط هذه القصيدة بالسابقة وبالقصائد الأخرى ، فتضىء الايماء التي فشلت في تأسيس تواصل ما بين أشخاص منعزلين، والمحاولات الفاشلة لاخترق العزلة أو الوحدة ، أو تقصير المسافة التي تفصل بين اليدين اللتين تتواجهان في شكل قوسين • وعنوان القصيدة – المتضمن حذف أداة التعريف – يؤسس مسافة ما ، وانتفاء للشخصية ، على نحو ما يفعل الضمير المقابل (نحن) في السطر الثاني ، لندخل – بذلك – في متاهة الايماء ، حيث تفترض الايماء الأولى الصادرة من العنوان – الدلالة على « النساء » عامة ، اللاتى يعنين بـ « تصبح على خير » ادارة الظهر • لكن ايماة أخرى سرعان ما تتقدم كمحاولة لملء الفجوة بين « هن » و « نحن » : « يضعن الخبز على المائدة » كى يصبح حضورهن أقل ايلاما لنا • ونستجيب بايماة مشابهة ، بأن نعرض اضاءة المصباح ، لأننا ندرك دورنا في خلق هذه المسافة : « كان ذلك خطأنا » • وبينما نشعل الكبريت ، تصبح النساء عامة – فجأة – مفردا ، « هي » شخصية ، لتبتعد عن ايماةتنا بعبة موت على ظهرها ، يشمل « موتك » •

وعند نهاية المقطع الثانى ، لا تحدث – فحسب – نقلة نحوية من الجمع الى المفرد ، فى حالة النساء ، لكن ضمير المتكلم الجمع – المطابق للأنا المذكور العام – يتقلص الى ضمير المخاطب المفرد ، كإشارة نحوية الى حميمية أكبر ، وهو ما يمتد الى مخاطبة القارئ أيضا ، « القارئ المناق hypcorite lecture » ، ان صبح التعبير • واذا تستدير النساء ويتعدن الى عالهن الحزين حيث تصرخ الأطباق فى الرفوف ، فانك – أنت ، وأنا ، وشخص الشاعر – نرى أن حزنها ربما لم يكن شخصا كما كنا نظن •

إنه نتيجة لدورنا في حياتها ، وإيماءاتنا الفاشلة ، أو حتى بفعل موتى العائلة وموتنا نحن الذى تحمله داخلها ، مثل هؤلاء الذين يمضون الى جبهة القتال ، وبفعل الدور الرمزي للمرأة كعاشقة وزوجة وأم تندبهم جميعا . وقد حولت الاشارة الى الجنود الذاهبين الى المعركة من ايقاع الدراما فى اتجاه السياق العام الذى بدأت منه ، والذى بدا التاشير النحوى - فى المقطع الثانى - وكأنه ينقذنا منه . وبالرغم من جسور الايماءات الوقتية ، تبدو المسافة الفاصلة محتومة ومنيعه ، حينما نصل الى السطر الأخير ، على نحو ما كان الشاعر قد افترض فى السطر الأول .

هكذا يؤسس ريتسوس خطايا كليا عبر تكرار جزئيات مترابطة من قصيدة لأخرى ، وهو نمط أصبح أكثر وضوحا ودرامية - فى تأثيره - فى مجموعاته الأخيرة . وسوف تكشف لنا سطور قليلة من قصائد أخرى الملمح الكلى لاحدى الأفكار المركزية التى سبق استكشافها، فكرة الشخص الوحيد الطامح - والذى يفشل دائما - الى الالتقاء بالآخر المعزول . ومع الفشل ، فانه أحيانا ما يتوصل الى نوع من الاكتفاء الذاتى . من قصيدة « ربما ، ذات يوم » : « لكننى أصر على الرؤية وإن أربك ، قال ، / لأنك إن لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر - / ساصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك - / وربما ذات يوم، من اتجاه مختلف، سوف نلتقى »، ومن قصيدة « اكتفاء ذاتى ؟ » : « تحت الأشجار كرسيان . لماذا هما اثنان ؟ / آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك » ، ومن « فهم » : « كفى تستطيع النظر خارج نفسك - دفء وسكينة . / لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » . ومن « نفس النجمة » : « ذلك الرجل يشك فى أن كل مرأة / بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة فى عريها - / تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ . / تستغرق فى النوم وهي تشتم نجمة . / ويستلقى يفتانا وهو يتشتم نفس النجمة » .

وفى الأقواس الثانية (١٩٥٠ - ١٩٦١) ، ثمة انشغالات واستراتيجيات ترتبط بالسابقة ، على نحو ما يؤكد اختيار الشاعر

للعنوان المشترك • فالفشل فى التواصل ، والتكوص الى اكتفاء ذاتى ، حاضران - مرة أخرى - فى احدى القصائد القليلة التى تستخدم ضمير المتكلم - « اكليل » - حيث يقرر الشخص المنعزل أنه يتوج نفسه بالاكليل المجدول من الغار ، والذي ظل محتفظا به من أجل الآخر الذى يحاول - سدى - العثور عليه • وهناك - أيضا - فشلنا فى التألف مع حقائق كل من الحضارة والطبيعة ، وضياعنا فى محيط لا يستوعب مقاصدنا الطائشة والخرقاء أحيانا •

لكن الفكرة الأكثر إلحاحا فى هذه المجموعة تكمن فى عجزنا عن الفعل ، أو فى هواجسنا ازاء الأشياء التى لا تحدث ، والأماكن الخاوية والمخلقة • ففى « الوحيد » ، لا يكفى أن ما تم انتظاره زمنا لا يحدث - وهو ما لا يتم تحديده - لكن هؤلاء الذين انتظروا شيئا ما أن يحدث يجدون - وهم يفضضون الأعلام - أنهم متروكون وليس معهم سند وحيد، أو بديل وحيد لما كان متوقعا ، مع افتقاد الحل البربرى فى هذا العالم الكافى الجديد ، افتقاد التبرير • وإذا كانت الجدران - فى « الوحيد » - « تفوح بقوة - بالغربة » ، ففى « تعبير الحريف » ، تفوح الأشياء المحيطة بالحاء ، بالغياب ، بالموسم الخطأ ، لأن « الرطوبة الهائلة بدأت • ورحل المصطفون » • ونعرف من « تقويم مكتبى » أن « الجميع ذهبوا الى الخارج » فى منتصف الشتاء ، ليترونا الى « ملامح الياس من الريح / فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المغلق » •

ولا يحدد ريتسوس مصادر أو أسبابا بعينها للاحساس بالهجران والغياب ، بالجمود والصمت الذى يسود المشهد لديه فى الأقواس الثانية، ولا يقدم اشارة واضحة لما يمكن أن يكون سببا فى تغيير الاحتمالات المرجاة والتوقعات المجهضة • والمدخل الوحيد الذى يتيح لنا التوصل الى رؤيته للمستقبل ، وللکیفیه التى يمكن أن تتحول بها الأشياء ، يتحقق من خلال قصيدتين من أهم قصائده فى « الأقواس الثانية » • وكل منهما تقترح آلهة جديدة تحل محل القديمة •

فى القصيدة الأولى - « فى أطلال معبد قديم » - يضع ريتسوس الآلهة القديمة والجديدة فى تقابل مباشر : « حارس المتحف كان يدخن

أمام حظيرة الغنم / كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية « الرخامية » . ويبدى الراعى والحارس القبول بالأطلال الرخامية القديمة كآشياء حياتية ، عادية ، كان الأطلال قد استنزفها الزمن من أية وشائج الهية ، لتصبح الآن - جزءا من هذا العالم كنفس تلك الأشياء التى ترعى بينها. والواقع أنه لا يمكن الفصل بين الأشياء والأطلال : « جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى » . وتبدو المرأة - مع الثياب المغسولة - طارئة على الآلهة القديمة ، وهى تعلق سراويل زوجها الداخلية على أكتاف « هيرا » . وبدلا من موكب تمجيد الآلهة ، نجد صيادين بسلال مليئة بأسماء وامضة ، متعددة الألوان - بل. الأسوأ أن وشاح الربة المطرز فى أبهة قد تم تزيقه لصنع ستائر ومفارش الموائد . وبدلا من الاحساس بالسخرية ، يملك المرء الاحساس بمنطقة ومناخ تم تنظيفها من أجل بدايات جديدة . ففى التعامل مع الآلهة القديمة بهذه الصورة العارضة ، بهذه الآلفة ، فى تحويلهم من أدوات غموض الى أشياء منزلية نافعة تتطلبها الضرورة ، يبدو أهل العالم الرعوى الحديث لا وكأنهم قد كفوا ماضيهم القديم ، بل وقد فرضوا عليه الحياء ، كأنهم يهيئون لقدوم آلهة جديدة .

وسيجد هذا التفسير ما يدعمه فى قصيدة نالية - « بخور » - وخاصة فى سطورها الأخيرة ، حيث يبدو اشعال سيجارة كنوع جديد من طقس الهى ، من بخور جديد من أجل اله مجهول ، لا يبلغه أحد ، مرصود باعتباره « اللهم تماها » (كى نميزه عن آلهة الآخرين ، عن آلهة التراث ، وآلهة الأعداء ، الخ) ، اله بلا اسم ، ولا تحديد . وعلى العتبة يتذكره الرجال ، وهم فى غمار الانبثاق من الأحياء المغلقة ، الزجاجية - فى المقطع الأول - الى الهواء الطلق ، فى طريقهم الى عملهم ، مفترضين - ربما - أنه اله جديد ما يشير اليه دخانهم .

ونصل الى « البعيد » الذى كتبت قصائده بعد خمسة عشر عاما من آخر قصيدة من « الأقواس » . ويتخذ المشهد الذى يطرحه ريتسوس خشونة وكآبة تتخطى تجليات أعماله السابقة ، غير أن هناك قوة جديدة

تنطوى عليها هذه المرحلة من رؤيته • فالقوة العليا المهيمنة - على نحو ما يفترض العنوان - هي المسافة، والصمت، وما يتعذر بلوغه ، والبطالة، أى كل ما تضمنته الأقواس الأخيرة، لكنه يصل - هنا - حدوده القصوى - ورغم أن قصيدة العنوان هي الأخيرة في الديوان ، فانها تنطوى على نغمة الابتهاال ، كصلاة ما الى اله يرفرف بأجنحة من أقواس ريتسوس ، وقد احتل - هنا - منصة مركزية ليتلقى التراتيل مباشرة : «أيها البعيد...» وتبدو الفجوة الفاصلة بين اليدين المجازيتين للأقواس وقد اتسخت الى ما لا نهاية ، اذ ان الخطر الأكثر حقيقية انما يأتى من « القريين » من القرب ذاته » ، واذا ان ما يستند اليه العالم انما هو شيء ما لا يمكن التسليم به ، شيء ما بلا ضمان ، يعيش خفيا فى عالم البطالة حيث تهيم الموسيقى •

ومعظم العناصر التى تؤسس للمشهد الجديد فى « البعيد » مألوفة منذ القصائد المبكرة ، لكنه يقدمها - فى هذا الديوان - بأسلوب متخلص من كل زخرفة ، ليحقق قوته فى نوع جديد من البساطة والاقتصاد ، لا عاطفية مباشرة، لا استعارات واضحة ، والتركيب الأساسى للعبارات ، والألوان الأولية ، والتفاصيل مركزة - فى تدقيق - من أجل خلق صورة بلد ينتابه عنف سرى :

• الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق •

فالفعل - فى قصيدة « فى اتجاه السبت » - قد تمت معالجته باقتصاد ، محض الحقائق العارية ، ولا تعليق • مشهد تم تصويره - بقوة - لأحلام رديئة ، لرعب تستعيده الذاكرة مع المخاطر والتهديدات التى تظل بلا حل • وربما كان الشخص المحورى - فى هذا المشهد الكابوسى - يمثل ضحية فى شرك ، يحاول أن يتخفى من قوى وأعداء غير واضحين ، ولا تحديد لهم سوى بـ « هم » •

وتهديد الاعتقال والاذلال يطارد ضحية الكابوس ، حتى فى تلك اللحظات المنفورة للبهجة ، مثلما فى « الأعداد للاحتفال » ، حيث الشخص

الذى يحتفلون به فى اجتماع عام فى قاعة كبيرة ، لا يكتشف فحسب أنه ضائع فجأة ، بل يدرك أيضا أنه اذا ما استعاد نفسه ، واستطاع أن يحرك قدميه كى يمضى ، فإن الحاجب سيقبض عليه .

وافترقاد الضحية للتواصل مع نفسه يتوازى مع افتقاد كلى للتواصل مع الآخرين فى هذه القصائد التى تلتقط فكرة اثنين يواجه كل منهما الآخر فى محاولة للتجاوز . لكن الحوار الجوهري قد مضى لما هو أبعد من اللقاء عبر الكلمات ، على نحو ما يؤكد عنوان إحدى القصائد : « حوار موجز » . فحتى السريى الذى تواصل فيه الحوار ، تراه المرأة كـ « حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل » . والبعد الفاصل بين « هو » و « هى » - فى هذا الديوان - يبدو غير قابل للعبور . انهما ميطان بالنسبة لبعضهما البعض . ذلك ما يبدو - حرفيا - فى « اكتمال تقريرا » ، حتى لو كان حوارهما يجاهد فى انكار ذلك . وفى أفضل الأحوال ، فهما يتواجهان كمشلولين ، مستريين ، يرى كل منهما الآخر بعينه الزجاجية .

والقصيدة التى تقدم - بالفعل - صورة للاتصال الجسدى - « شروق شمس الشتاء » - تخبرنا بأن الشخص الثالث فى المنتصف ليس سوى تمثال، ويرى الثلاثة يتمشون فى « **اللامبالاة القصيدة للموت** » . وهذه الفكرة - فكرة موت اللقاء حينما يبدو ممكنا وضروريا - تجد خلاصتها المنطقية فى « مع ما يتعذر بلوغه » ، حيث الـ « هو » يصل الى ما يبدو وعدا أقصى بالاكتمال الذاتى .

ان رحلة الثلاثين عاما من « **أقواس ١٩٤٦ - ١٩٤٧** » الى « **البعيد** » هى رحلة تطهير مريرة ، من تركيزه على ما يسمى بالأشياء البسيطة والايامات المجهضة الى التركيز على الأساسيات العارية - لا الجرداء - والطقوس البدائية . لاختطابة أو انشائية ، لا غنائية ذاتية ، بل المجازى الذى يضىء - فى غموضه - مأساة الحضور الانسانى .

(٥)

أيها الأسم اللانهاى
أيها الفرح باتساع العالم ،

كانه كان يسابق الزمن ونفسه ، دون اطمئنان الى حريته ، أو كانه
— بحدى الشاعر العميق — كان يدرك أنها حرية موقوتة كالقنبلة التى
لم يحن موعد انفجارها • وقبل أن تنفجر كان قد نشر ديوانه « شهادات »
على جزئين ، عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٦ • تجربة جديدة من قصائده القصيرة
المكثفة ، التى يعيد فيها اكتشاف أركان العالم المختبئة ، ولحظاته الهاربة ،
وايماءاته السرية • وللمرة الأولى ، ينشر تقديمًا لـ « الشهادات » كان
قد كتبه بطلب من اذاعة براغ لبرنامج خاص عن الديوان :

« ان مهمة الشاعر ، فيما أعتقد ، تكمن فى أن يتحدث لا عن الشعر ،
بل من خلال الشعر ، حتى لو كان هو الأكثر ملاءمة والمرشح الأكثر
مسئولية عن تقديم خيط « ارياذنى » لنا ، الذى يمكن أن يقودنا الى السر
العميق لكيفية فعالية الشعر • مسئول ، نعم ، لكنه لابد أن يتحدث
بطريقته ولغته الخاصتين — ولغة الشعر لغة للتركيب ، فيما لغة النقد
لغة للتحليل : لغتان مختلفتان كليًا • ولهذا ، فعندما نطلب من الشاعر
أن يحدثنا عن عمله الشعرى وليس من خلال عمله ، فاننا نطلب منه تغيير
الوظيفة • وفضلا عن ذلك ، كما قلت كثيرا من قبل ، فان « الشعر ،
كشعر ، يقول لنا الكثير والكثير وعلى نحو أفضل بكثير مما يمكن لنا أن
نقول عنه •

كيف — اذن — ولماذا يتوجب على الكتابة عن الـ « شهادات » ، طالما
أنك تستطيع التواصل معها مباشرة ؟ وحتى لو أردت سحب تحفظاتى على
المنهج التحليلي للنقد ، الذى يفرغ القصيدة على نحو يصعب اصلاحه ،
وقررت أن أستخدمه ، فاننى سأحتاج — غالبا — ستة صفحات للإشارة
الى العناصر التى تنطوى عليها ثمانية سطور أو عشرة فى هذه القصائد
القصيرة — مهمة مستحيلة بوضوح ، فضلا عن عبثيتها ، طالما أن التجربة

الجمالية غير قابلة - عمليا - للنقل : فهي تتطلب - ابتداء - ادراكها الخاص من قبل كل قارئ ، من خلال تجارب الحياة اللانهائية ، والمعرفة ، والممارسات ، و - قبل كل شيء - التوجهات الخصوصية .

بحكم الضرورة - اذن - فالسبيل الوحيد المتاح لنا هو اللجوء الى التبسيطات والتعميمات ، والتي ليست أكثر فائدة في المقاربة الحقيقية للفن ، أو يمكننا اللجوء الى تفسير تاريخي موجز لكتابة القصائد . وهو ما يمكنني القيام به استجابة لطلبكم الكريم .

لقد بدأت كتابتي لـ « شهادات » تقريبا منذ الوقت الذي بدأت فيه الكتابة ، أى عندما كنت فى « الثامنة من العمر » . أعنى بذلك أن أساسها قد أرسى منذ ذلك الحين ، بل وقبل ذلك بكثير . لكن شكلها الأكثر تحديدا بدأ فى التشكل عام ١٩٣٨ ، فى سلسلة من القصائد القصيرة التى تحمل عنوانا كاشفا « ملاحظات على هوامش الزمن » . واستمرت هذه القصائد - فيما بعد - فى « أقواس » وفى سلسلة كبيرة تالية « تدريبات » ، الى أن تكثفت واتخذت شكلها النهائى ، وحملت عنوانها العام « شهادات » . وقد ظهرت - خلال هذه الفترة - مجموعات أخرى من القصائد تحمل عناوين مختلفة .

ولا أستطيع - بالتحديد - أن أقول كيف ولماذا حدث أننى - أنا الذى انكبت فى البداية على القصائد الطويلة التركيبية بحكم الميل والتوجه - قد ارتبطت لسنوات عديدة باصرار وحب بالـ « شهادات » ، ومازال مشغولا بها بصورة مستمرة ، جنبا الى جنب ما أعمل فيه أيضا ما كان - مقلما لها اهتماما متميزا ومستقلا ، ولا يمكننى أن أقول لماذا أوصل كتابة هذه القصائد المقتضبة ، الابيجرامية . ربما يكمن السبب فى أننى مقتضب بحكم السلالة (وليس ذلك مجرد تلاعب بالالفاظ) ، وربما يكمن السبب فى نزوعى الى أن أثبت لنفسى وللآخرين أننى قاصر على التعبير عن ذاتى بكلمة مكثفة ، محكمة ، وربما نتيجة للرغبة فى الاستراحة بعد التوتر العالى المؤرق ، لفترات ابداعية طويلة ، ربما كان نتيجة لاحتياج ما لممارسة يومية فى احكام شحن قدرتى الفنية الى الحد

الذى يمكننى معه أن أستخدم - مباشرة ، وبلا أخطاء - التجارب المتجددة أبدا للحياة فى الفن ، وربما يأتى من محاولة تكثيف تعبيرى ، كرد فعل على خطر الاسهاب والخطابية الذى يتوارى خلف القصائد الطويلة ، وربما كان نتيجة للاحتياج لتقديم استجابة بسرعة البرق للمشاكل الحيوية الملحة لعصرنا ، ولعله يأتى - حتى - من رغبة فى التوقف المفاجئ، ورصد لحظة منفردة قد تسمح بالتأمل العميق ، الميكروسكوبى لذاتها، والكشف عن جميع عناصر الزمن التى ربما تلاشت فى مدى محدود - ادراك للمخفى بمعنى آخر ، من خلال الرؤيا ، ادراك للحركة الدائبة خلال الثبات .

والقصائد - على أية حال ، وبرغم ما قد تمثله ، الى حد بعيد ، من مفارقة (وهى كذلك ، عن عمد) - انما هى شهادات حقيقية لتجربة عامة بقدر ما هى معينة . عامة ، حينما تتعلق بسؤال أصل الانسان ومصيره ، وموقعه فى العالم ، حتى وهو يواجه الموت ، والعلاقات الانسانية فى سياق الزمن والمكان الاجتماعيين والتاريخيين ، ومعينة حينما تتعلق بالفن وتقنيته ، كأن هناك مكانا متماثلا ، وان يكن خاصا أيضا ، للبحث والتعبير الاجتماعيين والوجوديين .

وكثيرا ما سوف نلتقى لا فحسب باتجاه للاقرار والتسامح المجرد باسم الادراك والوعى العميق بعناصر الحياة الغامضة ، المعقدة ، العvisية على الفهم، المستعصية على التفسير واللامسئولة، ولا فحسب باتجاه للكشف المكتفى بذاته لعمق قد ينطوى على تبريره الذاتى ضمن جنوره الغامضة (والذى قد لا يحتاج - أصلا - لأى تبرير من أى نوع) ، بل سنلتقى - أيضا - باتجاه للموازنة الاجتماعية والأخلاقية ، للنقد والنقد الذاتى ، وباتجاه للمسئولية الجزئية والكلية عن اللحظة التاريخية الراهنة ، عن تاريخ الجنس البشرى كله ، وخصوصا - بالطبع - تاريخ اليونان .

ولا تتردد القصائد فى التعالى على الملاحظة والوعى الحياى ، والسحر المريح للصمت والضبابية ، وأيضا الدائرة السحرية (أو اللولب السحرى) لتقديمهم من خلال « روابط ذاتية الحركة » . ولا تتردد فى

الميل الى تحديد وتعيين الحديث ، والمحادثة ، وحتى - أحيانا - الى التحقق من الأسباب ، والشرح بل والاقتراح المحدد ، الحافز ، والتحذير ، والحل ، والاستنتاج ، أو النصيحة ، وبالطبع - ليس دائما ، وإنما كثيرا - فوضوح الفن يمكن أن يسمح بالاسراف فى البوح ، أو بالحدلقة فى التعليم ، والحيادى - الذى مارس واكتسب تواضع الشعر - يمنح الشاعر الحق فى اتخاذ موقف ومزاج المعترف والكاهن ، والأخلاقي وحتى المعلم .

أما بالنسبة لنغمة « شهادات » ، فإنها (عن عمد ، وبالفريضة) لا شخصية ، لا مبالية غالبا ، وليست - فى الحد الأدنى - عاطفية . ليست - فى الحد الأدنى - خطابية ، فيما تخفى أى عنصر مأساوى خلف تعبير حياذى لاأعرف - على وجه التحديد - ما اذا كان على أن أسميه تواضعا أم عجرفة ، أدبا أم وقاحة ، حنوا أم ازدراء (حيث الخنو - كما الازدراء - جبن فى الأغلب) ، جراءة أم خوفا من سوء الفهم ونهجا فى الفهم ، اخلاصا مطلقا ومتواضعا أم قناعا مطلقا للامبالاة مدهشة وقولية يتعذر مقاربتها ، وراها يمزق الهدوء الداخلى الانسانى نفسه بين وجهى الحياة والموت ، دون أن يتخلى أبدا عن نضاله من أجل الوجود ، واكتشاف ذاته ، والتعبير عنها واستدامتها ، ومشاركتها وتبريرها (حتى ولو كان ذلك من خلال كلمة مساوية للفعل) فى العالم .

لا أدري . ربما كانت كل هذه الأشياء تحدث بالتبادل أو - حتى - على التوالي ، جنباً الى جنب معاونة الأشياء البسيطة ، الواقعية ، المستعصية على الادراك والمهدئة (تلك المولدات الصغيرة للطاقة الانسانية النافعة ، تلك الأساطير اليومية البسيطة) ، التى تساهم وتشارك - لا اراديا - فى الأدوار الرئيسية فى دراما لا تخصها . لقد استدعيت لتؤدى دور « لا شئ يحدث » بالتحديد عندما يحدث كل شئ ، ويصاب المشاهدون بالذعر من كل ما يجرى ، ليرحلوا دون أن يروها ، دون معرفتها ، ليركوا الشاعر متهما فى عزلة مطبقة ، فيما يفرقون - هم أنفسهم - فى عزلة أكثر سوءا ، عزلة بلا ومضة حل ممكن لها .

هكذا ، فالأشياء البريئة قد استدعيت كما لو كانت غير منحازة ، ومتسامحة ، أو كوسائط نزيهة (برغم أن حضورها يظل مؤثرا الى حد

بعيد ، على نحو غامض فى النهاية ، ورسالتها الخفية هي – على أية حال – رسالة قبول وتسامح) . وفى مواجهة الأشياء ، لا انحيازات لنا ، ولا اهتمام ذاتيا أو معارضات ، ولا نكن لها عدا أو احتراما (كما نفعل تجاه المبادئ والمشاعر) . فى ذلك ، يكمن سبب قدرتنا على احترامها ، والاعتراف بها ، والثقة فيها .

ذلك ما يتحقق – اذن – حينما يهبط الفن من التجارب العظيمة الى مستوى المكر والحيلة (كمعصر ضرورى فى تقنيته) ، والبنى لا تزيد – فى النهاية – عن « ابتسامة بعيدة » ، عن طيبة ما ، وفهم ، واحتياج انساني . وعينى الى المشاركة ومحاولتها ، والصدقة المشتركة ، والاخوة .

وبودى أن أنتهز هذه الفرصة للاحظ (رغم يقينى من أنكم قد لاحظتم) كم أننى كثيرا ما أستخدم – فى ال « شهادات » (وفى هذه المقالة أيضا) – بل وأغالى فى استخدام كلمة « ربما » وحرف العطف « أو » . وأنا متأكد – أيضا – من أنكم تعرفون الآن – سواء ما اذا أحببتم ذلك أم لا – أن ذلك لا يحدث بالمصادفة : انه أمر مدروس على نحو مطلق ، والزامى غالبا . لا أعنى – هنا – افتراض أن الضرورة الشخصية تتجاوب ، بأية حال ، مع التبرير الموضوعى الجمالى (اذا ما كان مثل ذلك التبرير موجودا) . ولا أنا طامع فى تبريرات : لا حاجة اليها ، وهى ليست بذات أهمية . فالموضوعية الشخصية تكفى ، وهى الموضوعية الوحيدة – فيما أعتقد . اننى أفسر – فحسب – بقدر ما أستطيع ، بعض ايماءات الشعر التى لا تتصل – كلية – بالقصيدة (وبالتالي، فهى ليست – كلها – تافهة) ، مدركا – مع ذلك – أنها تظل عصية على التفسير (هل ذلك الذى يظل – فى النهاية – عصيا على التفسير ، حتى بالنسبة للمبدع ذاته ، هو – تحديدا – ما ينتمى الى الشعر ، ويحفز القارئ تجاه الابداع ، أى تجاه اكتشافه الخاص ، أو – فى الحد الأدنى – بحثه الخاص ؟) .

ان الاستخدام المتكرر لـ « ربما » – اذن – فى كتاباتى ، وخاصة خلال هذه الأعوام الأخيرة ، ليس حيلة أو مجرد صنعة . انه أيضا تشككى الخاص ، تساؤلى ، واحتياجى الى اجابة . هو نوع من أداة حفر متاحة

من أجل بحثنا المشترك (بقدر ما هو ممكن) ، حتى عندما تنبج هذه
ال « ربما » من يقين أو ترفع شخصي ، أو من ذم يتخفى في شكل تجاهل ،
أو سذاجة ، أو تواضع ، أو كرم .

وعلى نفس النحو ، فالاستخدام المتكرر لحرف العطف « أو » ليس
– ببساطة – تأكيداً على تعددية أبعاد الحياة والفن ، ولا مجرد نصيحة
بالاختيار بين بدائل مختلفة . فالأكثر أهمية أنها كشف لنظرات قابلة
للادراك ، ومقبولة على نحو عام ، وأنها تحذف وعياً أساسياً (أسى تشكيله
على نحو متسق ، أو تم تجاهله كلية) . وهذا الحذف الصامت – على
وجه التحديد ، فيما اعتقد – هو الذي يجعل مثل هذا الوعي قابلاً للادراك ،
حاضراً ، ومرئياً حتى بعده الأول والأخير اللامرئي ، اللامحدد ، اللانهائي .
وهو ما ينطبق – بلا فشل – على أولئك الذين أهلوا أنفسهم إلى حد ما ،
والأكثر على أولئك الذين تأهلوا تماماً .

مع الجميع قلت اننى أخشى أن أكون قد جعلت « شهادات » الغامضة
بالفعل ، كما يقولون ، أكثر غموضاً – هي غامضة ، بالتأكيد ، نتيجة
للووضوح الزائد ، والتحديد ، والحميمية .

والطعم الأخير الذى يتبقى فى أفواهنا من ال « شهادات » ربما هو
العرفان الصامت تجاه الفن والفكر والفعل والحياة الانسانية ، رغم أنف
كل المحن ، ورغم الموت – وربما بسببهم حقاً . وربما كان ذلك – أيضاً –
عكساً أو تحويلاً جديداً للأشياء ، يجلب العزاء (أود القول : تغييراً
أو تحريفاً) ، على نحو ما يحدث دائماً فى كل كشف ، أى فى كل ابداع ،
حيث كل لحظاته المجيدة العارضة بالاحساس بالenfوان ، وبهجته الساحرة
اللحظية (من قبيل الاحساس المباشر بالأبدية والمسؤولية المشتركة عن
الكون) لا تخفى – بشكل كامل – شعوراً ما باللاجدوى والجهد الضائع ،
مهما كانت رغبته (أو عدم رغبته) كبيرة فى تحييده أو – على الأقل –
عكسه ، لتحويل خصائصه السلبية الى خصائص ايجابية ، ولتحويل
النفى المطلق الى تأكيد غير نهائى ، كلى . وهو – فيما اعتقد – ما تشهد
عليه « شهادات » فوما يتخطى مزاج أو سيماء السخرية والسخرية

«الغاية» . وربما سيكون ذلك - أخيرا - شهادة كل انسان ، فى كل زمان
ومكان ، يحس بالشعر ويعمل فى مجاله » .

(٦)

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ
فات الآن أوان الرجوع

وفى ليلة ٢١ أبريل ١٩٦٧ ، ينقض الكولونيلات على الحكم . ومع
آلاف المعتقلين من السياسيين والنقائين والمثقفين ، يعتقل ريتسوس .
ثلاثة أيام محتجزا لدى البوليس ، ثم الى ستاد « هيبودروم » ، أحد مراكز
تجميع المعتقلين قبل نقلهم الى الجزر التى تلعب دورا مزدوجا فى التاريخ
القصى فى اليونان : دور المعتقل السياسى ودور المنفى .

اما ريتسوس ، فالى « ياروس : جزيرة الشيطان » . جزيرة جرداء
صخرية ، وبضعة أبنية متنسائرة ، مهجورة ، لن يأوى اليها المعتقلون
المنفيون ، بل الى خيام تنتظر أكثر من ستة آلاف وخمسمائة معتقل منفى .

ومن « ياروس » الى « ليروس » فى سبتمبر من نفس العام ، حيث
وقع عنه تحرير الكتابة . فكرة يلون فيها مسوداته الشعرية التى
ستؤسس قصائده القادمة . مسودات مكثفة وخاطفة لايماءات الرعب
والهذيان ، والكلمات المتقاطعة ، أفعال بلا وعى ، ووعى كابوسى ، لكنه
ما يزال قادرا على تحويل المأساوى الى كاريكاتيرى ، ليمنح احتماله .

ومع اعتقاله ، نظم « لوى أراجون » حملة واسعة للمطالبة بالافراج
عنه ، ضمت « موروا » و « ناتالى ساروت » و « مورياك » و « جينو »
و « سوبو » و « سولير » ، الى ايطاليا وألمانيا وسكندنافيا والبلاد
الانجلوسكسونية .

ويعاوده التدهور الصحي ، فينتاب الكولونيالات الرعب : * لست بحاجة الى لوركا يوناني * . وفي أحد أيام ديسمبر ١٩٦٨ ، يسمح له بالعودة الى منزله في « ساموس » ، دون أن يكون من حقه لقاء أحد ، أو الاتصال بأثينا أو الخارج ، لا خطابات ، ولا مصادرة . نوع آخر من الاعتقال يحتفظ بجوهره الأساسي ، في شكل نقيض . ولن يتمكن من الذهاب الى أثينا قبل مرور عام من الافراج الشكلي عنه .

كانت الرقابة سيدة الثقافة في تلك السنوات . وقائمة المنوعات لا تفلت شيئا . وقرر الجميع الصمت الثقافي وعدم النشر ، ومن بينهم « سيفيريس » و « ايلييتيس » . وفي أوائل ١٩٧٠ ، رفعت الرقابة السابقة على النشر الى رقابة لاحقة عليه ، ليتحمل الكتاب تبعات النشر بعد صدور المطبوع . واتفق الكتاب على كسر الصمت بالمواجهة الجماعية : انه كتاب « ثمانية عشر نصا » للأدباء والمثقفين الذين رفضوا أن يخضعوا كتاباتهم للرقابة ، في صيف ١٩٧٠ ، عن دار نشر « كيدروس » . وفي شتاء ١٩٧١ ، صدر « نصوص جديدة » عن نفس الدار اليسارية ، صاحبة حقوق نشر أعمال ريتسوس في اليونان . وقد اعتبر استكمالا لـ « ثمانية عشر نصا » : ٢٦٣ صفحة من المقالات والقصائد والأعمال الدرامية القصيرة التي كتبها معتقلون سياسيون وضحايا لنظام الكولونيالات . وفي موقع افتتاحية « نصوص جديدة » ، نشر ريتسوس - لأول مرة - « دمار ميلوس » .

عمل شعري حوارى عن تدمير « ميلوس » على أيدي الأتينيين عام ٤١٦ ق م ، فيما يمثل مجازا رمزيا عن نتائج الديكتاتورية العسكرية في اليونان . ففي زمن العنف والارهاب الذى أشاعه النظام ، كان اليونانيون كأنهم أسرى في وطنهم ، كنسوة ميلوس . ورغم أن المساحة الغالبة من العمل تستعيد الذكريات الأليمة للضحايا ، الا أنه ليس عملا عن اليأس ، اذ تدرك نساء ميلوس - في نهاية العمل - أن « وطنهن » إنما يكن داخلهن ، وأن « حريتهن » إنما تتحقق داخلهن . وبالرغم من السبعين والثمانين عاما ، فإن النسوة يشعرن بالحمل ، يشعرن باستعادة الشباب ، وأنهن على استعداد للانجاب مرة أخرى . ولسوف تعود هذه الفكرة - فكرة

العجائز القابلات للحمل والولادة - فى « الجسد والدم » التى كتبت عن انتفاضة طلاب جامعة العلوم التطبيقية فى أثينا فى نوفمبر ١٩٧٣ ، ضد النظام العسكرى .

وربما كان مشهد السفن التى تنقل المعتقلين السياسيين من أثينا الى الجزر - عبر بحر ايجه ، هو ما أيقظ فى ذهن الشاعر نهب ميلوس على أيدى الأثينيين فى حرب البلوبونيز . فوفقا لثيوسيديديس ، أرسل الأثينيون وفدا الى جزيرة ميلوس المحايدة سياسيا عام ٤١٦ ق.م ، ودخلوا فى حوار مع سكانها ، فى محاولة لاقتناعهم بأن يصبحوا عضوا فى الامبراطورية الأثينية يدفعون الجزية ، فيكون من حقهم - بذلك - الاحتفاظ بحريتهم فى التمتع بثرواتهم . وأوضح الأثينيون - لأهل الجزيرة - حقائقهم فى الظن أن باستطاعتهم مقاومة أثينا القوية ، وأن الآلهة سوف تحميهم ، طالما أنهم يدافعون عن الصواب ضد الخطأ . وقرر الأثينيون - فى غطرسة - أن السلوك الحصيف يكمن فى التخلي عن الشعور الزائف بـ « الشرف الذى يجلب على الناس الدمار » ، وطالبوهم باللجوء الى الجانب الأقوى . ورد أهل ميلوس بـ « لا » متحدية : « لسنا مستعدين للتخلي لحظة واحدة عن الحرية التى تمتعت بها مدينتنا . منذ تأسيسها وطوال ٧٠٠ سنة . ان تفتنا فى القدر الذى سترسله لنا الآلهة ، والذى حفظنا حتى الآن » . ويقيم ريتسوس « حوارا ميلوسيا » بين ثلاث نسوة عجائز ، قتل أزواجهن وأبناؤهن فى الحملة الأثينية ، وهن - الآن - مسبيات فى أرض أجنبية .

وبرغم استلهاهم أحداث تاريخية ، فإن « دمار ميلوس » - شأن الكثير من قصائد ريتسوس - لا تطرح السياسى بصورة مباشرة . فبدلا من الحديث - بصورة محددة - عن الاعتقال والاقتلاع الجرافيين اللذين عاناها ريتسوس - مع غيره - على أيدى النظام ، فإنه يطرح فكرتين شموليتين لا تنفصلان : الوجود والاندماج . فاذ تستيقظ نسوة القصيدة فى بطن ، يتساءلن عما إذا كانت جزيرتهن موجودة ، وعما اذا كن - هن أنفسهن - موجودات ، أم أنهن قد متن ، ويشهدن الآن مرحلة البعث ؟ لكن هل يتذكر الموتى ويتكلمون ، أم كن نائبات لسنوات ، ويتذكرن الآن

الحلم الفارغ للحياة ؟ وفي مجرى الحوار ، ينتهى الى أنهم الآن موجودات ، وأن ميلوس لم تكن حلما بل مكانا واقعا . واذا ينظرون الى البحر ، يلحظن جزرا صغيرة تنبثق وهى تومض مثل الجواهر ، وتذوب الى رمال . ويعتلقن على المشهد : « لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ، / وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ، / وأننا لم نكن وحدنا » .

انها الحقيقة البسيطة - أنهم لم يكن وحدهن - هى التى تدفع النسوة الى الايمان بوجودهن . وخلال مناقشة حياتهن - فيما قبل الغزو - يتذكرن القحط القاسى ، والعمل الذى يقصم الظهر فى جمع الزيتون ، وقطف الكروم ، وصنع النبيذ . لكن هذه الحياة - بعملها الشاق - كان لها مباحجها . تتذكر النسوة الاحساس العميق بالرضاء والامان الذى كان يلفهن بعد تسديد الحساب الأسبوعى للبقال ، وهن مازلن يجدن زيتا يكفى لأسبوع آخر فى الجرة . يتذكرن الفخر السرى بالانتهاء من الغسيل ، اذ تضيوع رائحة الثياب المعطرة بالشمس والصابون والجهد . وما يستقر فى الذاكرة - بشكل خاص - انما هى أعمال المنزل الروتينية ، والاحساس بالنظام والانتماء الذى يتحقق من القيام بها : فى تلك الأوقات يتصالح كل شيء بالمنزل ويصبح واحدا : « المكتسة ، والقمر ، والكلب ، والعنديل - الكل واحد » . يتمتعن باحساس واحد بالانتماء الى بعضهن البعض ، يتمشين الى ما وراء الحدائق ، يدركن الروائح المتميزة لكل عشبة وزهرة . هذا الاندماج فى العالم المحيط بهن يقدم شيئا ما أكثر عمقا من بهجة عابرة : انه يجعلهن واثقات من وجودهن ذاته . ادراك العادى والمألوف هو ما يؤكد لهن أنهم وجدن ، ومازلن موجودات . فالوجود والاندماج شيء واحد ، وهما نفس الشيء .

لكن الغازى يقتلع ضحيته ، لينتزع الانسان المندمج من العالم المألوف ، ليصبح الجوهر العميق لوجود الضحية مهددا بالزوال . فالآن ، وهن فى ارض أجنبية ، تعجز نسوة ميلوس عن تمييز الروائح القادمة من الحدائق ، حتى البحر بلا رائحة . وأيديهن لا تتعرف على يد المكتسة ، أو مقبض الباب : كل شيء غريب ، أجنبى . لذلك ، فلسن بحاجة الى مرآة ، ذلك أنهم لن يبصروا ولن يتعرفوا على أنفسهم . وحده الوجه القبيح للموت

سوف يعاود التحديق . فى ميلوس ، لم يستخدم المايا أيضا ، لكنها كانت - هناك - مسألة بسيطة من مسائل الخيال . كن يأكلن نفس الحبوب التى يطعمن بها دواجنهن ، فلم يكن لديهن أى دافع لتمير مشط فى شعرهن : « لم نهتم - هل ينظر الحمام والدجاج فى المرأة ؟ » . وعبودية الحياة - هنا - مشابهة ، بصورة فادحة ، لعبودية الحياة فى ميلوس ، عمل شاق فى الحالتين . لكن فى ميلوس ، كان البيت ، والاحساس بالانتماء الذى أنقذهن من السقوط فى بئر النسيان .

ومع تقلم القصيدة ، تأخذ نسوة ميلوس فى التحول . فبعد العويل على المناخ القاسى وسنوات القحط فى الجزيرة ، يهدأن تدريجيا ، ويستدعين عنوبة الحياة التى عرفنها . وعند نهاية القصيدة ، يستعلن خصوبتهن من جديد ، ويلقن تحية الصباح على المارة . بذلك ، ينتهى العمل بشارة أمل ورؤية لمستقبل أفضل .

« دمار ميلوس » : أول صوت لريتسوس بعد ظلمات « جزيرة الشيطان » ، فى مواجهة ظلمات الكولونيالات . لكنها لم تكن أول كتابة شعرية وسط الاعتقال . فعقب تلقيه لرسالة من « ثيودراكيس » - يطلب منه فيها إحدى قصائده غير المنشورة ليقوم بتلحينها - قام بكتابة ست عشرة قصيدة فى يوم واحد (١٦ سبتمبر ١٩٦٨) فى معتقله بجزيرة « ليروس » ستكون صلب ديوانه « ثمانى عشرة أغنية قصيرة عن الوطن المير » . لكنه لن يسمح بنشره وترجمته الا فيما بعد (١٩٧٣) . وما ان قام « ثيودراكيس » بتلحينها ، حتى أصبحت عملا شعبيا جماهيريا فى اليونان ، ثم عبر العالم الخارجى .

لا هتاف ولا عويل . لا شعارات ولا خطب رنانة . انها « وردة بخور مريم » الصغيرة التى تشق الصخر ، والفجر الرهيف للربيع ، وتل منسوج من أجراس الماشية وثقائها ، وشرع أبيض ، والفتاة تنسج أشياء المهر ، والشباب يجدل السلال .

تتألف كل أغنية من أربعة أبيات طويلة ، حسب التقليد الشعرى للأغاني الدارجة ذات الخمسة عشر مقطعا وزنيا فى السطر . وهناك الكثير

من الملامح المشتركة مع تلك الأغاني، لا في الشكل فحسب، بل - أيضا - في الروح . وأقرب مثال غنائي لها هي الـ « كلفتيكا Kleftika » ، تلك الأغاني الشخصية التي تحكي بطولة المقاتلين من أجل الحرية في حرب الاستقلال الوطنية اليونانية . تشترك أيضا في الروح - بالرغم من الاختلاف في الشكل - مع « روميوسيني » الملحمية . وليس من قبيل المصادفة أن الأغنية الأخيرة من الثماني عشر تتضمن « روميوسيني » في عنوانها « من أجل ووميوسيني ، لا تبكوا » .

(٧)

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
في منتصف البحر .

وفي ربيع ١٩٧١ ، يكتب « حجرة البواب » . وللعنوان دلالة على موقع ومنظور الرؤية والملاحظة ، بما يسمح باستقلال ما عن المشهد ذاته . فكل قصيدة - من قصائد الديوان القصيرة - مشهد مكتمل . وكل مشهد استعارة أو رمز أو مجاز . لا مجانية في الألفاظ ، ولا تسجيلية في رصد التفاصيل اليومية . كثافة مثقلة بالدلالات . وبين كل سطر وآخر فضاء تتقاطع فيه التأويلات . يختلط التفصيلي اليومي بالفانتازي بالسيرالي ، بذلك العصى على التفسير . وغموض ضبابي شفيف يتخلل سماء القصيدة ، لعله غموض السماء اليونانية في ظل الديكتاتورية .

فما الذي رآه ذلك « البواب » الذي يحرس النوم واليقظة ، الحلم والكابوس ، والإيماء والإشارة ؟ وكيف رأى ما رأى ؟

بلد يشبه البقالة الفارغة ، التي مات صاحبها في مؤخرة الدكان والهبوط يتم في الظلام ، في مكان بلا جدران ، بلا سقف ، بلا سلاسل ، بلا أثاث ، كأنه انحدار مدرك في هاوية من هيولى ، حيث « هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة » ، أو هروب مما هو أفدح من الهاوية . وفي الخارج : لا أحد ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر » .

البعيد - ٤٩ .

ذرائع ، والتواءات ، وأقنعة • والموت خلاص من نوع ما ، حل ما في مواجهة الغثيان والقرف • ولا اجابة للسؤال الجارح : « كيف كبرنا بين أيدي غرباء ؟ » • نوم ينقسم نصفين ، وحياة توزع أوقاتها – كالشظايا – بين الأماكن الغريبة • والوقت يتهشم الى فتحات بفعل الصراخ والرنين ، ويرقة خضراء ، لزجة تأتي الآن « لتأكل المنزل ، والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف » • والوهم بالقفز من شرفة الى أخرى دون تحريك سوى يد واحدة • فهل يكون متأخرا اكتشاف الفرق بين الورق والحديد ؟ وهل ينقسم العالم – بالفعل – الى اثنين لن يتوحدا ؟

والتعامل – برفق – مع الدب الأسود سينتهى بالسلاسل التي تتدلى من الجدران ، والسلاسل حول الرقبة • فهل يشبه المنديل الأبيض الذي تنساه العجوز ورقة بيضاء نسيها الشاعر بلا قصيدة ؟ وهل يساوى العثور على « شيء ما بلا أهمية » اللامبالاة باعلان الحرب ؟ هروب الى أعماق الأعماق الذات ، وبحث – فى النفايات المهجورة – لا يمنع سوى قشرة برتقال جافة وكسرة مرآة • انها الأشياء التافهة مدار البحث ، كأنها السبيل الى مخرج ما أو مهرب ، « أشياء كنا نعرفها تماما ، فأصبحت مجهولة وبعيدة » ، لن يفضى العثور عليها الى شيء ، انه البحث فى ذاته • أما النباح ، فلا يحمى أحدا « من القمر ، والزمن ، واللصوص » •

انهم يترددون برهة ، ثم ينحنون لالتقاط ما يرمى اليهم من أعلى • أما الوحيد الذى لا يمد يده ، فيخفيها فى قميصه ، ليدارى أنها مبتورة والمشروع المبرمج المعقد (هل هو النظام الديكتاتورى) محكوم عليه بالفشل • ويظل ممكنا – فى « البرودة المظلمة للأعماق » – تحديد موقف وموقع « داخل العالم المعلق » •

« كل شيء قد استنفد » • لكن – وسط البقايا القديمة – يمكن العثور على « الجمجمة المقدسة لأحد حصانى أخيل » و« صولجان البطريق » • بهما معا ، كمجازين ، تتحقق المعجزة : أن يسمع الناس المحتشدون الأخرس الواقف على منصة الخطابة •

ومن بعد ، سيفضى ريتسوس بعض أبعاد هذه التجربة :

« مرور الزمن ، أتكشف - بوضوح أكبر فأكبر - أن عملي ، فى تطوره ووظيفته ، يميل الى التحول (بلا قصدية، بلا تخطيط) الى سخرية وحط من قدر كل كابوس واستغلاله (سواء كان ليليا أم نهائيا) ومن الموت على نحو أعم . واذا ما كان ثمة عامل تحريرى هنا ، فهو الراحة من كثافة الألم والخوف (الجسدى ، والأخلاقي ، والاجتماعي) ، الناجمة عن النزعة التهمكية المحكومة تجاه هلوساتنا « التاريخية » ضمن وحدة الشبحور بمشاركة أو تورط حقيقى أو خيالى - ضمن وحدة المصير المشترك .

ويبدو أن الشخص المغلوب يستمد القوة - مهما كانت موضع سؤال - من غالب ما ، خلال هذا الميدان الغامض غير المضبوط ، قوة « التثبيت البصرى » للكابوس ، أو تحديده فى مفهوم ، أو حتى تحويده - شئ ما يشبه خلاصا أو تحريرا . بذلك ، يتحول « المأساوى » الحتمى الى كاريكاتير (أو الى شئ ما مفارق - أى بعيد موضوعيا) - أعمق مأساوية ربما ، إلا أنه ينطوى على حل المأساوى فى تكشيرة بإسمة ، أخيرة ، ارادية ، تتحول أحيانا (خلال الشعر) الى ابتسامة حقيقية ، الى مزاح ،

الى قرار أو حتى الى قوة لبداية جديدة ، ولفعل جديد . وليس ذلك فحسب نتيجة لتأثير الفعل الجمالى على القارئ أو المستمع ، بل ومن خلال واقع الفعل ذاته .

ويتحقق ذلك - بوضوح فى قصائد عديدة مبكرة من « شهادات » ، و « تدريسات » ، و « الحائط فى المرأة » ، و « إيماءات » ، و « الممر والسلالم » ، والأكثر فى « حجرة البواب » .

ففيها ، تذوب - بسلاسة - « الفردية » التى لا تطاق لما هو شخصى فى الكونى الخلاصى الذى يشمل كل شخص وكل شئ . فالافتقار الى البتواصل والفهم ينتهى الى حنو وغفران ، ان لم يكن الى قبول وتوافق

بما يسمح بمزحة أو حتى سخرية الأصدقاء - كشيء ما يشبه أخوة سامية تمتد فيما وراء الاختلافات والاتهامات المتبادلة (أنها كأننا نتكلم عن أخلاقيات للجماليات) . فأمام أناس حميمين لنا ، فقط (أم ربما أيضا أمام غرباء عنا تماما ؟) يمكننا أن نفصل أنفسنا عن أى ادعاء دفاعى أو تهجمى بالجدية أو الأهمية ، وأن « نمزح » معهم . أملهم - وحدهم - يمكننا أن نقنع أنفسنا (كممثلين فى نفس المأساة أو الملهاة) ، أو - حتى - أن نتعزى ، فنخلع ثيابنا واحدا واحدا ، والشعر المستعار ، واللحي ، وقبعات الريش ، وحذاء التراجيديات ، والأقنعة ، وسيوف المقتنعين الخشبية - ممثلين فى دراما حقيقية ثم تكتب ، ممثلين يتظاهرون بإزالة ماكياجهم وخلع ثيابهم بعد العرض ، لينتهوا بنا الى الفكرة المعزية بأن « الدراما الحياتية » السابقة كانت - ببساطة - « دراما مسرحية » انتهت ، ولا يمكن تكرارها على الخشبة ، بل لا يمكننا اعادتها على نحو أفضل .

فـ « الواقعى » (و « واقع » الخيال والحلم) قد تحول الى « التخيلى » ، والاستبدادى الى محاكاة تهكمية ، « مسلية » . ليس دائما بالطبع . ومع ذلك ، فلدى المرء انطباع بأن إعادة التمثيل البسيطة لصور الكابوس المحرفة والمحرقة ، وصور الوجود الانسانى المستعصى على التفسير (وتحولها ومسحها وتحريفها) يمنح (لا الفنان وحده) اشباعا فائضا معيناً ، قد يعنى القدرة وإمكانية التحكم والتحكم الذاتى ، بل والشعور الخالص بما لا يستنفد ، بالقدرة على الاحتمال ، بل وبالنجاح .

ويعود التدفق الشعري الى مجراه المنشور . فللقصائد القصيرة دواوين « أحجار وتكرارات وقضبان » و « إيماءات » و « الممر والسلالم » ، فقصائده التراجيدية الطويلة ، ذات الطابع الأسطورى : « هيلين » و « أسمين » و « عودة ايفيجينى » و « كريسوثيرميس » و « أجامنون » .

وفى يوليو ١٩٧٤ ، تنقشع الظلمات ، مع سقوط النظام العسكرى ، بعد أن تكون قلب انغرس فى الذاكرة أبدا . وسيكون له أن

يعود - عام ١٩٧٨ - اليها ، ليكتب قصيدته « الجسد والدم » ، مهداة الى الانتفاضة الطلابية ضد الديكتاتورية العسكرية . ففي ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ ، احتل الطلبة حرم جامعة العلوم التطبيقية بوسط أثينا ، ودعوا أهل العاصمة - من خلال محطة اذاعة أنشأوها بأنفسهم - الى الثورة ضد الطغيان ، والقتال من أجل الحرية . وأصبح ذلك الفعل الأول - واسع النطاق - في التحدى العلنى للنظام نقطة البداية فى المقاومة . وأرسل الكولونيلات دباباتهم الى الطلبة العزل . وبعد أن كانت الديكتاتورية تنكر كل الممارسات الوحشية التى ارتكبتها فى السر ، فان الطريقة المروعة التى سفك بها دم الأولاد والبنات - فى تلك الليلة - قد عرت الوجه الحقيقى للنظام .

وعند طبعتها الأولى عام ١٩٧٨ ، أعيد نشر « الجسد والدم » فى أكثر من خمس عشرة طبعة . انه نفس العام الذى شهد صدور سبعة دواوين أخرى : « عسكرى المرور » و « البوابة » و « امرأة مونيمفاسيا » و « الرائعة الرهيبة » و « فيدرا » و « اذن ؟ » و « مطرقة الباب » .

وحتى عام ١٩٨٠ ، سيكون قد صدر له ثمانون عملا شعريا ، وسيكون قد ترجم الى اليونانية أعمالا لآلكسندر بلوك وأتسلا جوزيف وماياكوفسكى وناظم حكمت واهرنبورج ونيقولا جين وغيرهم .

وحيثما يطرق الموت بابه فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠ - عن ٨١ عاما - سيجده منقلا بالزمن والنياشين : « كم من الآباد أحمل فوق أكتافى وفى جسدى وروحى . لقد عبرت هيتات كثيرة ، وهأنذا أموت أخيرا وأنا أحمل بعض الأبدية » .

القاهرة

الثلاثاء ١٦ يوليو ١٩٩٦

أغنية أختي

الى أختي لولا

فى المرايا المشوهة للدموع
تهشم وجه الأبدية الساكن
لكننا ما نزال نسمع بداخلنا
• هممة السكينة •

أختى ،

على أن أقف منتصباً فى مواجهة الشمس
وأرفع أعمدة شعرى نحو الفضاء الأزرق
فلعلك تتمشين فى الأمسيات
مبتسمة بجوار « إيوريديس »
تحت سماوات مترعة بالنجوم
• فى أصياف لا تنتهى •
لكننى ، يا أختى ، لا أستطيع فعل المزيد •
فالألنهاية حطمت قوسها الساطع على حاجبى
وأنا أدور حول نفسى فى اللحظة الأبدية
• مبعثراً وحسباً •
• صوتى انهار •
وفكرى قطف زهوره الأخيرة •

• بالنشيج وحده أنطق أغنيتك
فلا الألم ولا النشوة يجروان بشفاة دامية
على التفوه باسمك •

على نضارة السماء تركع الرحمة
• للتوسل على قدميك
وحمام أحلام الطفولة الأبيض
• يحلق خفيضا في سهول ابتسامتك
وتأملات الحكماء ما بلغت أبدا
• حواف عظمتك الجليسة
والشعراء الذين ذابوا في الضوء
• يعترفون - في ضياء وجهك - بخواء القصائد
وحده الصمت العظيم ، بزنبقة في يده ،
يلمس في رفق ظهره المحنى
الذى رفع الى سدة الرب صرخات الرجال
فيما الليالى الزرقاء القاتمة ، بنجومها المنتحبة ،
كفت - من الندم - عن الحركة •

أختى ،
ها أنا أنشر جناسي
• أنحنى وأقبل أطراف قدميك الحافيتين
لعل عقلى أن يعرف السكينة
لعل أغنى الترنيمة المناسبة لك ، يا أختى ،
يا أخت كل العالم •

يداك البيضاوان اللتان غطتا جراحنا بالمر
تلتويان الآن مربوطتين خلف ظهره
• فى تقاطع مع جسده كأنهما ، يا أختى ، يدا لص •

وجسدك النحيل مجدول في العباءة الرمادية للسعار ،
 وعيناك قلعتان من زجاج خاويتان
 حيث تهيم - ضائعة - أشباح الماضي •
 أختي ، كيف تتخلي عني في منتصف الليل
 لتبعثي دون مصباح
 وتعثري على آثار خطواتك الضائعة ؟
 فلتغمريني أيضا في نفس الظلام
 لعل لا أسمع بوق صرخاتك
 التي لا تحصى المقابر التي لا تحصى •
 فجري في اللانهاية عيني
 لعل لا أرى يديك المربوطتين •
 فأينما أستدير لا أرى سواك •
 أستجدي رحمة الجمال أن تهبنى قطرة ندى •
 لكن ما من مجيب لتوسلات المهورين •
 غبار أصفر من ورود ميتة
 تساقط ثلجيا على الحداثق •
 والشاطئ الصامت انسحب في الغسق
 والربيع نام ووجهه المضيء مخفى في يديه •
 أين الصمت الآن بنومه الصافي
 بنشوته الثلجية ووروده الداوية ؟

أختي ،

لم أعد شاعرا
 لا أنازل بأن أصبح شاعرا •
 أنا نملة شوهاء ضلت طريقها في ليل لا ينتهي •
 أنفخ في جمرات أبريل الخامد
 فلا أجد شرارة تشعل النار القديمة •
 لقد وزنت كنوز القرون في راحة يدك النحيلة •

- وجرت الجبال الى حيث استترخي الشعراء •
- وأنا لم أعد شاعرا •
- أعرف أن الشعراء
- لا يلوثون الأبراج العاجية للمدن بدموعهم •
- انهم يمهنون النظر •
- ونظرتهم المخلقة موجهة بلاشبهة •
- حتى ليكن أن يحصوا ومضات الضوء ونبضات الكون •
- لكنني ، يا أختي ،
- أمعن النظر وأنا أعد دقات قلبك وأنفاسك •
- أقف ، كبرج معتم ، وسط القذائف المدمرة الوامضة
- والمس - بلا تردد - حدة السيف •
- أقواس الضوء خبت تحت رموشك •
- وما من شيء آخر يحيا خارج الدائرة الجنائزية
- التي ترسمها عيناك على العالم •
- لا أريد طبول الانتصار
- لأعلان مجدى في غابات الريح •
- فابتسامتك تكفيني •
- ونبع عينيك يستطيع أن يطفى عطشى
- ويدفع حياتي الى الازهار •
- كانت لدى سترة جميلة تدفىء ساعاتي •
- كانت لدى صحبة من قصائد تكلمني
- فى ليالى الحملات الطافرة •
- وأنا أجلس صامتاً ووحيدا فى هذه الصباحات الضائعة •
- مهيبا أنصب خيمتى
- على حلم بالترحيب اللازوردى
- الذى يعده لى أصدقائى المجهولون
- وسوف أحرق فى سهول الفجر
- من السطح الطحلبى لبرج الجرس المغطى باللقائق البيضاء •

أطفال شقز في عيونهم دهور رائس
 سوف يفتحون العهد المخطوطة لأغنياتي .
 (كم من ابتسامات استدعيتها في وحدتي الميزة
 من أجل بهجة الآخرين !)
 آه ، للحاشية التي انتظرت دخول الى القدس .
 كمسيح صامت أسمع أبواق السماوات
 التي تنبأت للشوارع المغطاة بالسعف
 والصبر الذي لم يخذلني في عذابى الحارق .
 لكننى ، يا أختى ، لم أعد أعرف .
 كيف أنتظر وأتوسل
 أنصتى ، فهذا المساء
 الذى ينسج غلالة وردية فوق الحدائق
 يعيد الى روحى القديمة .
 تغريد الطيور ينتهك حدادى اللائق .
 أختى ، فلتطمئنى ،
 فشلالات الصداح لا تسعد حزنى .
 وأنا مقيم على الوفاء فى ذراعى حبك
 لم أعد شاعرا ، وأنا موجوع .
 فلتغفرى لى ، يا أختى ،
 حزنى هذا الذى يحيا خارج حزنك .
 أختى ،

دائما ما كانت غيمة تطلل رموشك .
 وأنت تنحنين على الشرفة
 - حتى وأنت طفلة -
 كنت تحدقين فى البحر
 فتشرين الحلم بعزلة لا نهائية .
 وكنت تطمين قلبك بأوراق الخريف .

لغز ظل الأم انعكس في عينيك •
 والضوء الشاحب لوجهك
 ظل باقيا على الأرض في بيتنا •
 لم نرك أبدا تبكين •
 على صفحتي وجهك وخدمها
 المحت الشرايين الرهيفة
 - خطوط من ضوء لازوردى -
 إلى حمى شفتيك الموصدتين •
 (كم من مرة - وأنت نائمة -
 انحنيت عليهما لأقرأ سرك) •
 مفعمة بالحب والحنو
 كنت تضمدين جراحنا في صمت •
 صمتك قال كل شيء •
 وفي أمسيات الشتاء
 كنت تتمشين وحيدة في الغابات
 لترعى العصافير العارية ،
 لتدفئي الحشرات المثلجة •
 قطرة قطرة ، ملمت داخلك
 دموع الفقراء والمقهورين •
 وعندما انهار بيتنا ظللت منتصبه ساكنة
 - كظل للسيدة العذراء -
 لتريني النجوم عبر ثقوب السقف •
 الآن ، انكسر صمتك
 وفي الرعشة الصغيرة التي أخفيتهما
 سمعت صراخ المحيط •
 أختي ، ما من حجر ظل لي لأنحنى عليه •

مازلت أمشي في ثغر الزحام
 في شوارع بلا شبهاة •
 لا أحد •
 الأطفال يلعبون دون حدس بالأجراس
 التي تدق بعيدا فتوقف دهمهم •
 والناس يمكن أن يواصلوا الضحك
 ويمكن لي أن أسمع حديثا يدور عن أشياء أخرى
 - مراكب التجارة تمر بالقرب من الفئار الوحيد في البحر •
 ومن واجهات القصور ترن الساعات :

لا شيء ، لا شيء ، لا شيء •
 البعض يقعون في الحب بالمصادفة ،
 البعض يفسرون الأحداث ،
 والبعض يحتفظ بالكتب ، يحكون عن النساك المهزولين •
 القطارات تحمل ضبابا وأشباحا من محطات مهجورة •
 الزنابق تنفض بقايا داكنة الزرقة
 لحلم غارب عن جبهات حجرية •
 لا شيء •
 وهذا الأريج الواهي كذكرى الطفولة
 ذوى سدى - بلا صدى •
 لا أحد يسرى •
 غشاوات من رماد تغطي الأرض •
 يارب ، فلتغلق عيني ،
 فلتعقد ذراعي
 ولتطرحني في رحي الرياح •
 متعب حتى النخاع وأنا أهوى في الهاوية ،
 وسرعة السقوط تصفر في أذني أغنية الارتياح •
 أغلقوا النوافذ •

- فوقاحة الضوء تعشى عيوني
- كفى حديثا ورديا لا يفيسه
- صمت الأم يأتى بيدك الى صفحتى وجهى
- وعلى رأسى العارية تلقى غابات الخريف بظلالها
- أختى ، أنا نعسان • فأين يمكن أن أستريح ؟
- أين يمكن أن أنام ، وأنا بلا سرير ؟
- الفجر المريض يعثر على مصباح سهري
- مشتعلا مرة أخرى
- وساعة المساء فاجأتنى مبتعدا عنك ، يا أختى
- جمال جليل نقر على كتفى بيد حانية
- وعلى فجر الأفق شعلة وردة منسية
- والذرى الناعمة تحمل سلال البنفسج
- الى الأقدام الشفافة للراحة
- وأنا أمسك فى مريلتى بمصباح وليد
- وأغمر روحى فى عينيه الواهنتين
- أحلق فى السهول
- مستشفى - فى هدوء - سكون المساء
- وأحيى أرواح الأشياء
- وخلف أشجار الكمثرى المزهرة
- يرقبنى ظلك الأسىيان
- لم أنسك ، يا أختى
- أعى الطيبة من رحمتك
- أوزع الابتسامات على الخطوط والأشكال
- المنيرة بضمونك القدسي

لكن ، وأنا أجمع لك باقة من زهر الربيع ، فانك يا أختي ،
 بعينين مسعورتين كسيف يومض
 تنيرين القبة الزرقاء ،
 لكنك لا تدريين أن الأشياء الحية التي تزينها منعكسة هناك
 تستعيد صورتك اليك
 خلال طبقات من الصمت والذكرى •

أختي ، وعدتك بأن أجيء لك بالماء الأبدى •
 وعدت بأن أرمي بالشمس عند قدميك •
 الآن تصرخين : « أخي ، عطشانة •
 فأين الماء الأبدى الذي أطفئ به عطشي ؟
 أخي ، بردانة ،
 فأين الشمس التي أدفئ بها يدي ؟ •
 وأبقى بلا حراك ، بلا حيلة •
 أنا الذي طفت بالسموات
 لا أستطيع تغطية شبر واحد من الأرض •
 وتحت الثلوج أسمع جذور حديقتنا العجوز
 توثقني الى الأرض •
 نسيت كيف أمشي •
 أنحنى على هيولى روحك ، مفعما بالرهبة •
 تتصادم النجوم في أعماق عينيك
 وتدمى قلبك معارك الأرباب •
 فكيف يمكن تشكيل احتراقك
 في سكون منحوت بارد ؟
 لقد آمنت ذات مرة بالسماء
 لكنك كشفت لي أعماق البحر ، بمدائنها الميتة
 بغاباتها المنسية ، وأصواتها الغريقة •
 والآن ، غاصت السماء - كنورس جريء في البحر •

- ويدى - التى ابتنت لك جسرا على الهاوية - تداعت
- انظرى الى
- باى عرى وبراءة أستلقى أمامك
- بردان ، يا أختى

فمن سيأتى لنا الآن بالشمس لتدفىء أيدينا ؟
• أنصت ، صامتا

- لا أحد يعبر طريق الليل
- والنجوم غرقت فى العينين الصدمتين
- للنسر المتحول الذى يتأرجح على حافة معارك الظلام
- يداك المقيدتان تسدان طريقي
- وصوتك يتمشى وحيدا فى ممرات الليل
- وسيفه الطويل يرتطم بالقمرميد
- فأت الألوان
- لا الحياة تتقبلنى ولا الموت
- فالى أين أمضى ؟

- منطىء يا أختى • فلست ربا •
- لا أحدد أى شىء •
- وناارك بخرت قوتى حتى الخمود •
- ومثلما تنفضين الغبار الذهبى للضوء عن رموش الكون
- حدثت فى صلبان الانسان العظيمة
- التى تنتصب فى أفك المسائى
- وأحببت الحزاني
- الذين يعبرون صامتين - كقطعان بيضاء مختومة على الجبين •
- مختومة على الجبين بخاتم أحمر •

قرأت تاريخ العالم فى قطرة من دمك •
آه ، يا شعبي ، آه ، يا أخوتي وأخواتي ،
يا أخوة وأخوات أختي ،

فى البحر اللانهائى لقلبيكم
تفرق الأحلام بكل أشرعتها ،
مع جراءة الأفكار والتأملات اللامبالية للأرباب •
كم من رحلة قمتم بها !
ولم تحضروا معكم صورة واجدة للزدهار
لتزينوا بها بيوتكم ،
صدفة بحرية واحدة
من تلك التى تطيح بها العواصف على الأرض
تذكارا لامعا ومفتاحا موثوقا
ليوصلد أبوابكم عندما تهب الرياح فى الليل •

تظل عيونكم أبدا مجبوسة وبريئة -
كقطرات مطر ملونة بالصمت والشك •
لا ملجأ لكم •
تموتون بلا بعث
بلا شفاء وردية لطفل تنطق باسمكم من جديد
تحت السماء الوديعه لمايو الجديد •
لكننى رأيت ذكراكم ترفرف كحمامة مهيبة
على كتف أختي •
أخوتي وأخواتي •
فلتستقبلوا الأبق فى صدوركم الواسع •
فبالدموع أغسل أقدامكم الجريحة •
بالدموع أنظف يدي من تراب التعالى
لعلى أكون جديرا بتقبيل شمسكم •

أختى ، تعالى لنتكىء كطفلين عليلين
 على الحديقة الروحية التى غرقت داخلنا ،
 لنلتفت الى الشذى المتلاشى
 الذى ظل منسيا فى ركن معتم من قلوبنا •
 ٠٠٠ وفى ليالى الصيف
 سوف نرى - مقعنين بالبهجة -
 البدر يشرق على شاطئ مسقط رأسنا •
 والطريق الفضى سوف يحملنا
 الى الحفيف اللازوردى للكون •
 وستكون أمنا بجانبنا
 ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء •
 نسمع صوتها البعيد
 والحفيف الناعس لجونلتها
 ونحن نغمض عيوننا فى نوم مليء بالنجوم •
 آه ، أيتها الحماية العذبة التى سهرت بجانبنا
 وهى تدفىء طيور أحلامنا العارية •
 لفنا ازدهاز الضوء
 وهربنا ، يا أختى ، بين السماء والبحر •
 ٠٠٠ وبعد ذلك ، الأبواب المغلقة والنوافذ الجامدة
 كل سابق تغير •
 صوت الأم ميت •
 وحيدان ، اليد فى اليد ، فى مدائن مجهولة -

متسولين صغيرين ، مع حلمنا الدافئ، تحت سماء متكسرة •
 لم يعد لدينا مأوى ولا عكاز •
 لكننا ما نزال نعرف كيف نكون محبوبين ، وكيف نحب •
 عندما أتعب أستنيده عليك •

وتثبتين نظرك فى نظرى
تأتين لى بشقائق نعيم ذهبية
من شقائق الى حلمى •
أختى ، تعالى مرة أخرى
وقبلى جبينى المشتعل •
انظرى ، ها أنا أفتح لك كوة ضوء صغيرة وشعاع مائل
يرسم الخط الخارجى لظل وجهك •
فلتدفعى عنك الليل ، ولتأتى الى
وسياخذ كل منا الآخر - كأنذاك - يدا يديه
ونطوف خلال مدائن باردة
- متسولين صغيرين بحلمنا القديم ،
- أميرين عظيمين للحب •

هل تذكرين ؟
ذات مرة أعطتك أمنا ثوبا قرنفليا
ومظلة قرنفلية صغيرة •
وكنت تتسلقين منحدر التل المزهر
فى صباح ربيعى ، أثيرية شفاقة -
غيمة قرنفلية من ضوء •
وكنت تحددقين فى السماء
كان شيئا ما من أعلى كان ينادى عليك :
الضفائر الحزينة لشعرك الفاحم
تنسدل وحيدة ثقيلة على ظهرك النحيل •
كنت خائفا من أنك - فى وقت ما - ستتلاشين
مع الضوء الوردى فى الغروب •
آنشد ، كنت أجمع أصدافا لامعة
وحصى ملونا على شاطئ جزيرتنا •

كى أرى عينيك تبتسمان
 وأفتن قلبك الذى كان يذوب - صمتا - فى حزن العالم .
 لكنك لم تعرفى كيف تضحكين .
 وكنت أصنع أجنحة من دموعك
 لأمضى بعيدا كى أجيء لك بقلع سماوى
 لأحرر صمتك .
 لكنك لم تعرفى كيف تأخذين .
 كنت تعطين . فقط تعطين .
 كل مواهبك .. كنت توزعينها
 لتبقى يداك خاويتين .
 أحنيت رأسك - طائرا أسيانا ، فى جناحك المعتم
 وغنيت الفتوة المدهشة لكل العالم الجريح .
 أختى ، فلترفعى رأسك .
 أنحنى بجوارك وأجيء لك بفجر طفولتنا
 لعلك تستنشقين ملوحة جزيرتنا ، ورفيف المساء
 وترسين بجانبى ،
 عابرة سديم الاشتياق الى البيت .
 عودى ، يا أختى ، الى بتليهم الصغير
 الذى حملنا جميلا ومتواضعا
 ولسوف ترين أننى سأريق أحلام القديس
 التى أخذتنى بعيدا عنك
 وسأظل بجوارك الى الأبد - زيزا بسيطا
 لأغنى لك فى أمسيات الربيع .
 ألا تسمعيننى ؟
 رفضنى الجميع ، ورفضت كل شئ .
 ولا عزاء لى حتى فى الفكر .
 فكل ما أجببت

أخذه الموت منى والجنون •
 وبقيت وحدى ، تحت أنقاض سمائي ، أحصى الموتى
 جرفت الريح من طريقى آثار خطى الرب الطاهرة •
 لا يمكننى العثور على الموت من جديد
 فأحبائى الموتى أعادونى الى الحياة لأبكيهم •
 والآن ، ما تزال الطاحونة المكسورة تدير أجنحتها
 فوق السهول المحسودة ، فى سكون سماوات المساء •
 آه ، هذه الأجنحة التى تمس رموشى بالحركة الواهنة لـ
 الصفحات

وأتبع أمرها الغريب ، بلا ارادة ولا نسيان •
 فلتنم - فى النهاية - تلك الأجنحة
 التى تشكل الملامح المتعبة لطيور جريجة
 فى غيوم الخريف الأبدى الكابية •

يا لها من برودة تستقبلنى بها
 الأصوات والألوان هذا المساء •
 يجرجر الغروب تحيته الذهبية على اكتاف الأشياء
 فما الذى يريده هذا الضوء الوردى ؟
 لم هذا التبرج فى الاحتفال اللامبالى ؟
 لم هذا الاستفزاز لى ؟
 الأشجار والصمت اتخذوا سمى مغرورا
 لخطباء يتحدثون أمام تماثيل عمياء •
 آه ، كم أكره الغيوم الناعمة
 التى تتعلق ساكنة مخادعة فى الضوء الراضى •
 ألا يعرفنى أصدقائى القدامى ؟
 لا ، لاحاجة بى لشيء •
 لا تليق الشفقة على بى •
 أقضم شففتى وأشرب دمي •

اننى أحتقر جمالهم الميت •
— أيتها السماء ، ما الذى تتباهين به ؟
أنا الذى انسحقت تحت أقدامك
سأتخطى جمالك البارد بأغنيتى الدافئة •
أختى ، لقد تركتنى لتستندى على قلبك
وتنصتى الى نبض الناس •
وحياتى تواصلت تحت سماء عينيك •
وكننت تجيئين — محبة رقيقة —
فى الأمسيات التى كتبت فيها — وأنا أنحنى صامتاً —
قصائد الغاضبة عن حروب الضوء والدم التى لا تنتهى •
أحسست بحضورك خلف الليل •
وغطت سطحي البارد شجرة الساعات الحانية
عندما سمعت وقع أقدامك •
كنت تبتسمين
فتأتى كل السماوات الى غرفتى •
وانعكاسات لازوردية ترتعش على الجدران
وذكرى بيتنا تستثير قلبى
عندما أعود مثقلاً بتجوالات الليل
والمرارة الأبدية للوحدة ،

كنت أجد عشاء الحب ينفث البخار على المائدة
وذكرى الطفولة — فراشة واهية تلعب حول مصباحك •
وتظلين واقفة فى انتظار عودتى •
وعندما أغرق — أنا عاشق اللانهاية —
فى ظلال شكوك غامضة ،
فانك — باصبعك الدافئ —
تريننى آثار الأقدام على الأرض ،
وتعيدين تشكيل رمادى من جديد فى شكل انسانى •

- تقاسمت معك مقعدك
• فاحتفظت بمكان لي على الأرض
• قست الزمن بنبضك
أصغيت الى قطرات البرودة عن قرب
• وهي تسقط من نبع خفي
• وجف النبع
• رحلت
• فجر جرت السماء - غبارا أزرق وراء خطواتك
• انها تهطل الثلوج
• أيتها الحياة ، الحياة ،
• أخذت مني الكسرة الدنيوية الأخيرة
• ما من دموع أخرى لدى
• ولا خوف عندي
• فما من شيء آخر لدى كي يسلبوه مني
• فقيرا ، عاريا ، مهجورا -
• انها ثرواتي التي لا يستطيع أحد أن يسلبها مني
• لن أطرق أى باب
• لن أنطق بأى رجاء
• بلا خبز ، بلا جربندية ، بلا رباط
• أتخذ الطريق الى الغرب بخطوات ثابتة طويلة ،
• عاريا ومطلقا ، جديرا بأن ألمس الرب

- غيمة بيضاء من قمر سهران
• تذوب وئيدا في زرقة الفجر
• وزجاج النوافذ على جبهة البحر
• - كسلسلة من عيون باكية -
• يعيد في تصوير شبحي
• الأفول الشاحب للقمر

- آه ، هذا الشحوب الذى يرمى بظلال الشك
 على الليل والنهار ، ويرفرف بلا وزن •
 وفي الأسفل ، البحر الرمادى
 يعكس الرعشة ذات اللون السماوى
 التى تتوانى على ظهور النوارس الهشة •
 والصواري الظليلة تخط الأفق فى سكون
 متأهبة للحركة •
 لرحلة جديدة ؟
 لعودة جديدة ؟
 والضباب يؤخر برهان الشمس •
 لا شيء يتكرر دائما •
 الريح والخسارة يتركان آثارهما على القمر الأبيض
 الذى يتلاشى تدريجيا فى الفجر •
 النوارس تجيء من بعيد ، تحيى القوارب الراسية ،
 تحيط - كعنقود من الزنابق - بالمراسى الصدئة •
 أختي ، شاطئك يتقهقر •
 ورحلة الاكتشاف تبدأ •
 ومضة ضوء منقوشة على الجفن الناعس للسماء والبحر •
- أختي ، هناك خط مضيء يرتسم حول بابنا المخلق •
 صحوة تغمر الهواء البالى مع صخب البحر •
 احدى خفافس مايو تزعج زجاج النوافذ الموصد •
 والشمس تنسكب فى فوضى الغرفة
 ورجفتها المرفوضة تملكنا •
 أى يد للرحمة تسحب ظلها
 على الجدران الباردة ؟
 ها هو تذكار الحياة فوق الركوع •
 ها هي راية الربيع فوق المقابر •

- الأشعة البالية تنهض - تبجر فوق المراكب •
- السريـر يتحرك •
- نسيمة •
- براج يسلب العقل •
- أطـيـح الأمر
- أفتح ذراعى وأقبل ما لا يقاوم •
- الوجوه الفاتنة فى متنزه النساء
- وموكبهم الوضى فى جسدى •
- يتراجع الصباح ، مؤجلا
- يزيح أيدى الضباب بعيدا عن جبينى •
- لا مزيد عندى من البكاء •
- هزمنى الغناء •
- منحنى الغناء الانتصار •
- الشمس ، الشمس تذيب المشهد الثلجى فى عينى •
- والأغنية القوية صعدت سقالات السماء
- لتبنى بذراعين عاريتين بيتى •
- والضوء يتماوج فى عضلات صوتى •
- أسمع حلقات القيود تساقط وتنكسر
- أسمع الفرسان البيض يمرون بالخارج
- منشدين أناشيده الحرب •
- انفتحت النوافذ على مصاريعها فوق بحر الصباح •
- وعتبة بابى تلتحم كعين مفتوحة •
- أختى ، لم تعد لى طاقة على البقاء •
- فغيا بى سيجى لك بالماء الأبدى •
- وأنا - الذى عجزت عن انقاذك من الحياة -
- سوف أنقذك من الموت •
- هناك الطرقات مشرقة واضحة فى ضوء الشمس •
- فلتتنحى ، يا أختى جانبا ، كى أمر بيديك المقيدتين •

علقت على صدرى التويذة التى صنعتها لى
 ذات مساء ربيعى - أتذكرين ؟ - عندما كنا صغارا •
 فيها قطعة طين حمراء صغيرة
 لتذكرنى ببيتنا الأخير ،
 وورقة ورد جافة من حديقة منزلنا
 وقليل من غبار الجدار الذى حفرناه ذات ليلة بأظافرنا
 الى المنفى الطويل الأخير •
 وداعا ، يا أختى •
 فقبل لى العصافير فى باحتنا والأطفال الأبرياء
 والأمهات الحزاني اللاتي يطرزن بجوار المصباح
 والشبان الذين يؤسسون مكانا لهم - فى عناد ودون تردد -
 على حدود الحياة والموت •

الآن ، أرد نفسى الى العالم •
 فالطبيعة الفاتنة - بمروحة شاسعة من جريد النخيل -
 تنعش أعضائى وتذيب دموعى •
 والمذاق المعافى للصحة الأبدية
 يغنى فى فمى ويلذع لثتى كفاكهة نيئة •
 أحرق فى السماء
 وأرمى - بحبة - فى الأرض حفنة من بذور •
 أختى ، فيما وراءك وورائى ، فيما وراء نظرتنا الكابية ،
 فيما وراء الخط الكابى للأرض ،
 هناك عند جذر الأشياء
 انصتى الى موجة النبض العلوية
 - الخارجة على السيطرة والتفسير -
 التى خلقتنا وتحكمنا •
 ماذا يمكن أن نقول ؟
 أفتح البوابات - باندعاش مذعور - فى مواجهة الخالق

وأحول: الألم الى نشوة
والصرخة الى صلاة •
الضفائر البهيجة للآفاق تجفف قدمي. الداميتين
وأقفز - خفيفا ، سعيدا - الى ذروة الابتسام :
أيتها الشمس ، الشمس ،
أبي ، أيها الحامي لي ، تلقفني الآن •
لا قيد يربط أجنحتي بالأرض •
والضوء يشرق متوهجا ، أعلى من حبك ، يا أختي ،
أعلى من حبي ،

الوجه الساكن للأبدية
يهشم المرايا المشوهة للدموع
وما نزال نسمع بداخلنا
عاصفة حقيقية من دموع •

مسيرة المحيط

ميناء ليلى
الأضواء غريقة في الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط
تضيئها الأنوار العابرة لسفن بعيدة
ثم تفرق في ظلال الرحلة
أشعة مائلة مزينة بمصابيح الحلم
كأجنحة مكسورة لللائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيان الفحم
أيد جريحة كالاعتذار الذي جاء بعد الأوان .

سجناء مربوطون الى المرسى
سلسلة حول عنق الأفق
وسلاسل أخرى في أقدام الأطفال
وفي أيدي الفجر التي تحمل باقة زهور

والصواري مثابرة على عد النجوم
بمساعدة ذاكرة مطمئنة .
- باقة من نوارس في الفجر الساكن

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة •

فهل ستنظر - اذن -
نحى جرح الشمس المفتوح
الذى يفيض ببذور الزهور
على نفس المسيرة
على نفس الهدف
فى شرايين الربيع الخصبة
عندما يستأنف السينونو دورانه
بحثا عن عديم عاشق
على القبة الزرقاء المنيعية ؟

أى جرح
لم يضمن لنا - حتى الآن -
أن نصل بجنة الرب الى الكمال ؟

كانت لدينا حديقة على حافة البحر •
وكانت السماء تنزلق اليها من خلال النوافذ
فيما الأم جالسة على المقعد الخفيض
تطرز حقول الربيع مع أبواب مفتوحة فى منازل بيضاء
مع أحلام يجذوع الأشجار على السطح القش
مرسومة على زرقة فاتحة ناصعة •

لم تأت بعد •
سأتطلع الى الغرب وأراك

— في شعرك برقيق وردى
— في عمق البحر طيف ابتسامة •

أُمي تمسك بيدي •
لكنني وراء كتفها الحاني
وراء شعرها الشاحب
الذي يلتصق بأريج الصبر والنبل
أتطلع — في وقار — إلى البحر •

هناك في منحني الجبال الأزرق
يناديني أحد النوارس في أعماق المنشأ

تهشمت المرأة التي رسمت حدود الفجر والحديقة •
وبالنايات الحزينة للزهور
دفنا السنونو الأول ، أول أمس
ثم جلس الأطفال وحيدتين عند نافذة المساء
ليشهدوا الشمس المحتضرة •

وراء جدار الباحة الأبيض كان الطريق يصحو
وحالما تلاشى الضوء الذهبي في البعيد
صعد الظل الهائل للجبال
مع خطوة الموت الصامتة إلى أيدينا البيضاء
إلى قلوبنا
إلى جبهاتنا المحنينة •

أُمي ، من الذي يصدق
الجرس اللازوردي على الأفسق ؟

غيمة فضية بجوار القمر •
صيادون عجائز
لم يعد لديهم قوارب ، لم يعد لديهم شباك
يجلسون على الصخرة ويدخنون غلايينهم
يتأملون أحزان الترحال والظلل •
لكننا لا نعرف شيئاً
عن الرماد في مذاق الرحلة •
نعرف الرحلة ونصف دائرة الأفق
الأزرق الفاتح مثل الحاجب المخيف لاله البحر •

نقفز في القوارب
نرعى الجبال
ونغني البحر
محدثين في الغيمة الفضية
بجوار قمر ربيعي •
أية مدينة مرصعة بالجواهر
تنام وراء الجبال ؟
أية أضواء ترتجف في أغوار الليل
تنادي علينا ؟

هناك قبور صغيرة بيضاء
لنوارس بريئة
بعيدا في جزر مهجورة مجهولة
لم تعرف سوى الضوء القادم من المحيط الليلي •
هناك وضعنا أزهارنا الأولى •
شهقتنا الأولى والفكرة الأولى •

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد بقادرين على النوم •

أمى

لا تمسكى بيسدى •

البحر البحر

فى عقولنا وأرواحنا وشراييننا البحر •

رأينا سفنا تحمل بلدانا أسطورية

هنا على الرمال الذهبية

حيث يتمشى عابرو المساء •

البسنا محبات طفولتنا طحالب مبلولة •

قدمنا الى آلهة الشاطئ حصى وأصدافا لامعة •

ألوان الصباح تذوب فى الماء

ونيران الغروب على أكتاف النوارس

الصواري التى تشير الى اللانهاية

تفتح أبوابا عند حلول الليل

مرفرفة فوق نومنا الجبرى

متألقة ، أبدية •

وأغنية البحر

تأتى عبر النوافذ الصغيره

فترسم حدائق وأحلاما مضيئة

على الجوانب الرطبة والجباه النائمة •

ايقاع مؤرق أليم •

على الصخور القاحلة فى الخارج نبصر الجمال

نحن الأطفال المشرخين الحفاة

وفيما نمشى بأقدام عارية فى البحر

نسمع صوته الذى يرتجف بأصداغ هادئة

مع الوميض القوسفوري للنجوم
التي تزرع حكايات ذهبية فى الأعماق الخضراء •

قلب مهيب
قلب طفل بلا شبهة
لا تتبرأ منه أبدا •

مددنا أيدينا لنقطف زهورا من النجوم
لنقطف نجوما من دقات قلوبنا
التي ردت على نداء البحر لنا
بأن نعتصم بحبل الجمال
ونحن نسافر الى اللانهاية
على طريق قمر الصيف الهائل
المرسوم على البحر المباح •

عرايا ، تصارعنا على الرمال فى الظهيرة
بأجساد مبلولة لأطفال الثانية عشرة من العمر
من أجل العناق لا الصراع
من أجل الصراع لا الانتصار
الانتصار وحده •

شبح ملهى
أفخاذ أحرقتها الشمس
الموجة الملهوفة فى القبلة
البحر فيما وراء الفوران •

الظهيرة تنحدر صاخبة فى زوابع من نار
تطوى بيوت الصيادين بلهيب أبيض
فتحرق القلوب التي لا تقاوم •

خارج النوافذ نسيم البحر الرهيف
الوجه المضيء للسكون
في ذاكرة الصيف البيضاء
مع بصيص طيفي ، داكن الزرقاء
منحرف على وجنته الملساء .

نفس ذهبي لماء لانهائي
شباك تتشمس على الصخور
قوارب مملوءة بفاكهة وزهور
وهناك بيوتنا
بيوتنا مكتوبة على البحر .

ايام من الشاطئ
من الصخور الحمراء
من زهور الزنبق الصغيرة
والبنات .

من ينساذى علينا
من شرفة بيتنا ؟
بنينا بيتنا في البحر .
هناك لآلئ في الأصداق
وغابات مرجان هائلة في الأعماق المعزولة .

صنعنا ناينا من العظام التي أخرجها مساء أمس
في باحتنا غناء العاصفة .

أنصتي إلى أغنيتنا ، يا أمي ،
أغنية الرحلة الجديدة .

أنت يا من تنوحين على الموت
لا تعرفيننا •

البحر لا ينسوح •
ببل يغنى •

متحررة من طقوس الأحد
باحة مطلية بالأبيض
في مواجهة البحر برج الكنيسة الضامات
الذي دق « يوم كل الأرواح » للبحارة
والآن يقهقه في ضوء الشمس •

في أفواهنا غليون أبينا
تحت قبعة المدرسة •
وعلى صدورنا مطرز الصليب الجنوبي
والعذراء العجوز •

بدلة بحار قاتمة مزررة حتى العنق
وعندما ترائنا الفتيات
نتخذ المشية المائلة لقباطنة جابوا العالم •
ويرتعن في نظرات الفتيات
صوت غابة صباحية شاسعة
موسيقى حقيقية واضحة •

لكن فيما المنازل الساكنة تحيينا في حنان
بنبات المسك المتدلى على الجدار الأبيض
فسوف يدخلنا من جديد ، ليقهرنا من جديد
الضوء الباهر من المحيط العظيم •

هأنث هناك أيها القبطان
تأكل خبزك الجاف على عجل
والزيتون الأسود المنقوع في الملح والشمس
على قمة صخرة منحطرة •

انه وقت الأبحار
ونحن نلتقط أنفاسنا
يرتفع شراع الزفير الأزرق الفاتح
وطياته المضيفة تتماوج
وهي تتلاشى خلف الصدور الساكنة للجبال النائية •

قلوبنا التي عرفت البحر
لا تعرف الحدود •

علم الصخرة الراسخ مفروس في الصخر
يحيي السماء ، يرفرف فوق الرجال
وظلال باردة كبرى من بحر الصباح
مع جزر وأشرعة بيضاء
في الازدهار الكامل لمنتصف مايو •

القمر الفضي يعكس
جموعاً زاحفة في عزلتها خلف الصخور
على وسائد الطفولة أصداف صقيلة
وفي المحيط الأزرق للنوم
أصوات السيرينات مع قياثرهن من عظام الأسماك •

آه يارب الجزيرة النائية
الرواسب الكلسية تسدلي في كهفك البحري

كانها ترتل نوم السكون الشاحب
 كأن صدرك الناصع يتنافس مع ذائرة البحر الزرقاء
 المضاءة بالنجوم
 وهناك باقة ذهبية من نحل
 حول النبع حيث يمرق الضوء في وهن
 وهو يعطر ظل الأشجار الضخمة -
 فانت تعرف أن الماكر سوف يرحل .

« لا يرتيس » مع كلبه
 سوف ينتظر فوق الصخرة سدى .

حين خرج عاريا من البحر
 ذهبيا من ماء الفجر
 فارتسمت عظام عاتقه في اطار الشمس
 هربت « ناوسيكيا » مع العذارى الفاتنات المربوبات
 خلف الأشجار
 وأقدامهن الخافية ترفرف في الهواء كسرب حمام
 وضوء أبيض يتعكس على العشب الأخضر .

... في الخارج على الشرفة بجوار البحر
 مائدتنا المسائية المتقشقة .
 غمس الربيع الخبز القمحي في النبيذ .
 ورسم القمر في السر
 على أباريق خزفية يونانية
 مشاهد من طروادة .
 كنت تعرفين أننا سنمضي ، يا أمي
 وملحت عشاءنا بلعمعة
 وأنت محنية وحزينة تحت النجوم

والفتيات - اللائى كن خطيبات أوديسيوس -
تنهدن على عتبات نافذة الجزيرة

سفحنا الدم والغلال مع الأشعة العالية والغيوم
فوق المياه الناصعة
مع زوارق خشبية صغيرة فى خلجان زرقاء
تفوح - فى رقة - بالوداعات
مع القبلات بجوار القوارب عند حاجر الأمواج القديم
وراء طاحونة الهواء الصيفية المهدومة
متأهبين للرحلة الكبرى الى المجهول .

وعندما عدنا فى المساء
بأيد دامية وركبنا مكسورة
حاملين غنائم التعب :
أيقونات مائية تتنكر للشكل
أجراس مساء وروية اللون
ندم الفوران
خواء الصراع -
هناك تحت ظل المقبرة عند البحر
أدركت عيون طفولتنا الصمت
سمعنا مجيء الليل
سمعنا ناي الجمال
الذى يمنح العزاء للجبين الحزين ،
ويبرر المصير .

من الذى يهشم روح الرب وفرحتنا
من الذى يقسم الصمت الى آلاف الأسماء والنجوم
التي تضىء فى حركتها أيتينا

وترسم دوائر من العزلة على نفس البحر ،
التي تستبقى نثار الخلق
دون أن تبقى .

طيور البحر ترفرف عند كهوف الصخر الصامتة
رسوم الملائكة مطرزة بنجوم عند الحافة المتأكلة للماء
بالقرب من الحصى المقباوم
فى الظل الأخضر لحاجز الأمواج
تحت العيون المدهوشة لأولاد حاملين .

جرح يوم الفراق
الذى يخط فى الدم آفاقا وذكرى
يرسم تقيصة الرب
الايماة الحلم الخلق .

معرفة صامتة
فى عيون الأطفال الواسعة
على الشفاه الحازمة للمراهقين
الذين لم يحصوا حطام السفن
معرفة تمجد النجوم المنقرطة من جرح الرب المفتوح
لتداوى جرح الانسان .

أغمضنا عيوننا
فى سريرنا الموروث الأبيض .

المصباح انطفأ .
وفى اطار النافذة يومض البحر فى السر .

خلف الأسيجة والأشجار
سمعنا صوته العالي ينادى علينا
فيلاً نومنا بمشاهد لازوردية
مزهرة بأشعة في بياض الثلج
بحقائق من نوارس مستغرقة في التفكير بلا صوت
جائئة على الحافة الصخرية للمجهول
فوق الهوة المظلمة الأسرة .

من هناك أستمنا صيحة الرب
غدا سنسبح من جديد
غدا سنرتحل من جديد
غدا سيطلبنا الفجر بالصبر .
وسوف نرد على البحر

كتبنا السطر الأول على الرمال
والصواري الصابرة ترقبنا في غبوس
والموج يهمس حنينا لا ينتهي .

أقمنا على الصخر كأننا منحوتون في سرب طائر
وحدقنا في أقمار تخط دوائر
تسألنا سر سفن تهمل أشباحا بيضاء
سر الرحلة التي لا تنتهي
والمرسى الذي لا يحتل الماء
لمسنا جرحنا ووقتنا
وهربنا .

الرحلة دائما لنا
والهدير الدائم للبحر .

وصلت السفن عند الفجر
محملة بالقمح والفحم والنبيل
من أجل القباطنة الحالمين
من أجل وقود النيران .

طوحت بالخبز والنبيل والفحم
وبقيت عاريا في البحر
بلا رداء يغطي ضلوعك
أو حب يخبئ عينيك

كانت الساعة ملونة كلؤلؤة سريمة
للتأمل العميق للفجر
وصوتها البعيد مترع بالخطر والإغراء .

نظرت الى جسدك في الماء
فأحببت الماء ونسيت جسدك .

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيل .

فات الآن أوان الرجوع .

لو كانت الموجة أكثر دفئا من الخب
والسفينة أكثر دفئا من الميناء
أنت - نفسك - تعرف
أن الطيران يغني في شعرك

وأنت تواجه الأفق بتغير البحر
• صاخبا بارتحال أبدى •

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
• في منتصف البحر •

بكينا طوال الليل
• انحنينا على نعش أبيض لنورس •
مصباح أمي يشرق من بيتنا
غصن نحيل من ضوء
• في الكف الرهيفة للعداء •

نوم ثقيل عند الفجر
• في حكاية الأصداغ
والشموع ذابت
• في الكنيسة المجاورة للبحر •

وكانت السفينة تنتظر
• بمقدمة منحوتة في ضوء الفجر
كسيف للريح •

النوم في هذا المساء بقلب مرور
• يشبه خبز صيادين في العاصفة •

غدا سنقتلع الصليبان من المقبرة المجاورة للبحر
ونصنع قوارب الأطفال

وننحت فى شواهد القبور
تماثيل صغيرة للجمال والبحر
لنملأ البيت المهجور
لتغوى الحياة وأنفسنا
رغم رب النكران
دون رب الرحمة •

ضاعت الصواري
غاص الدخان
وراء المنحنى الصامت للماء
مثل ركبة أم تنام
والرحلة الساهرة فى صدورنا
ساهرة كالرياح والبحر فى المساء الشتائى •

تلال ناعمة تسافر فى الضباب
والشمس المريضة ناعمة
على صخور المساء البليلة •

الكراكى فى الأعلى
مثلث للنديم •

قداس صغير للعزلة فى مطر المساء
حامل أيقونات « سان - نيقولا » على الشاطئ
حيث يتوقف الخريف
ليلقى بعملة من الأسى المرير وورقة شجر صفراء
فيما هدير العاصفة يتلاشى على الرمال المظلمة
تحت ضوء النجوم الباكي فى سبتمبر صامت •

فلتللم مرمرًا أزرق من أيام اللعب والبكاء الطفولية
فقد تنحت تمثال المحيط
ملطخًا يديك بالدم في أصيل غائم
حينما يرسم الانعكاس الشاحب للبحر
دائرة من نسيم مضى
عاليا في الهواء الخاوي •

في البيت الأخضر الصغير على الشنطىء
فاجأنا الشتاء وحيدا •

الشرفات هجرت
وعلى الشنطىء الشاحب
يخطو الضباب بلا صوت •

أوراق صفراء فانية
موت صامت للبرقات
طحالب تسد الأبواب والطرق
ذاكرة مشجرة بأشجار السرو •

عند منحني الطريق ظل الصمت •

من النافذة رأينا آخر زوار الصيف يرحلون
والزورق الصغير سلاله فارغة •

السفن تنام في الميناء
وأعلام الريح الرمادية
ترفرف على الصواري العارية •

عما قليل سيأتي المطر المحزن
ليزيل الأسماء الغنائية
ورسوم الطفولة
ووعيش البحر
من قوارب الصيف •

في ومضة ضياء
سنقرأ المصير في كفوفنا المفتوحة
ولن نملك كلمة واحدة نطعم بها العزلة
أو كسرتين من خبز لنطعم العصافير القليلة
التي تموت على الطريق المعزول •

الأشجار على جانب الرصيف محنية ومهجورة
— قشرة خشبية للصيف
في الغسق المنهوب •

آين ذهب أوركسترا الفتيات الصغيرات في الحديقة البحرية
هناك حيث سكر البحارة في المساء وسط الأشجار
وتقافزوا — راقصين في الهواء
لأن عملة القمر الذهبية انعكست
في شعر الفتاة خلف نباتات الريحان •

في الليالي
يتمشى الانعكاس الأخضر الهائل للبحر
وحيدا ، مهجورا ، على الصخور المنحدرة •

صامتتين نمر خلال غرف مظلمة
أعنام مرايا معتمة لم تعد تفرقنا

ونسبح خطي الصمت
والرياح والبحر
على حواسنا الناعسة .

شيء ما من أمان الفراغ -
باب موصد في المساء
أو موكب من أشجار السرو
مرسوم في الضباب الفضي لضوء النجوم الخريفي -

وعندما يهطل البدر المعزول بالصبر والسلوى
نفتح النافذة ونبتهل .

نحمدك يا رب
على أن تركتنا وحيدين هكذا محزونين هكذا
كأن نستطيع التحديق بلا رهبة في السماء
ونكون أقياء وبلا حدود مثل اللاتهاية
متسبين ومجهولين مثل المجهول .

ليل . أقف في الباب المظلم
الجبل المخفي يمتد بعيدا
يتلو اسم الرب في العاصفة الثلجية للنجوم
في الظل الشفيف حيث ينام الرجال ويموتون
في العزلة التي تعيد صوتي ألف صوت .

آين ذهبوا جميعا
ليتركوني أحلق في كفي الخاويتين
لأصادق الصمت والمطر ؟

حزين حتى الموت
أرى السماء الخاوية
وأحتفى بغيمة كبيرة
وأنا مثل حمل حزين ، مهجور ووحيد
فى منتصف واد مظلم

آه ، يارب ، لماذا رحلوا عني جميعا ؟

تحت ثيابي الممزقة
أمتلك قلب الطيور والأزهار الجاني ..
(كم من ليلة بكيت فيها سرا
على جرح فراشة)

فليذهب كله . فليذهب كل شيء .
فسوف أبقى مرة أخرى فى مواجهة السماء الفسيحة
فى مواجهة البحر الشاسع
لأغنى بلا مرارة أو شكوى
فليذهب كل شيء .
فحينما أبقى وحيدا أقترب أكثر من الناس
فأقترب أكثر من الرب .

أسمع صوتى
مهجورا فى الريح
وأدقأ أيامى .
جوقة طفولية تتبع المساء
وهى تعزى الصمت

وهي تحيي الربيع •
لكنني ، يا أمي ، ما أزال يردنا •

حل المساء •
جداجد الخريف الأخير تتمازح في الظلام عند الأسيجة
بأصوات صغيرة واثقة •
فلتفتش قلبك
عن الشمس التي رحلت •

واذ يمتد الشفق الى أرواحنا
سقطر أربع وردة قطرة ندى على الرموش ، ..
والضوء الأخير للمساء
على يدين عاريتين معقودتين
على وجه تحول الى رخام
بفعل القوس الفضي للبحر •

أخذوا منا أغنية البحر
قيدوا أقسام بحرنا •

أطفال مدهوشون وصامتون بأهداب ملحية
بعيون زرقاء واسعة
نمر - خائفين - عبر مدن كبيرة
تحت مستشفيات تفوح بالنوم والعرق
تحت بيوت بمصابيح حمراء
تحت أبنية كبيرة
نبتعت ليل الدم والغنيممة •

أُمِّي يَا أُمِّي
تَنَكَّرْنَا لِحِكْمَةِ دُمُوعِكَ الْحَانِيَةِ
غَايِنَ يَدِكَ الْغَفُورَةَ بِاحْتِمَالِهَا الصَّبُورَ
أَيْنَ يَسُوكُ
فَلَعَلَّنَا نَسْمَعُ الْفَجْرَ وَالْبَحْرَ
وَنَدْفِيءُ غَزَلَتَنَا ؟

أُمِّي
السَّمَاءُ مَاتَتْ فِي دُمُوعِ الْبَرَى .

نَحْنُ الَّذِينَ سَرْنَا فِي اللَّيَالِ
فِي غَايِبَاتٍ نَاصِعَةٍ كَاللَّالِئِ
نَحْنُ الَّذِينَ نَحْتَنُّ فِي الصَّخْرِ
الشَّكْلَ الصَّافِيَّ لِلْجِلْمِ
لَا نَعْرِفُ كَيْفَ نَسِيرُ عَلَى طَرَقَاتِ
تَتَلَطَّخُ كُلُّ يَوْمٍ بِدَمِ الْمَسِيحِ الْعَادِلِ

خَلْفَ الْجُدُرَانِ يَتَمَدَّدُونَ فِي انْتِظَارِنَا
وَمِنَ الْأَرْكَانِ ، تَنْطَلِقُ - مَرْتَاعَةٌ -
أَسْرَابٌ مِنْ حِمَامٍ خَشْبِيٍّ .

أَبْوَابُ تَتَشَابَعُ فِي اللَّيْلِ .
وَمُضْطَّةُ سَيْفٍ .
قَمَرٌ مَقْطُوعُ الرَّأْسِ .

بَعْظَامُ آدَمِيَّةٍ يَصْنَعُونَ سِلَاحًا
لِيَصْعَدُوا .

سيدي المسيح ، سيدي
ونحن هنا ، في منتصف الطرقات الكبيرة
مرتبون ومحزونون
بحقائب خاوية في أيدينا
يقفص عندليب على ظهرنا
يذكرى البحر الشاسع على جبيننا
يأيد بريئة مندهشة ، لا تستجدي .

لم يبق لنا شيء ، يا أمي :
أين سنأوى ؟
أين سننام ؟

هناك حيث الأيدي والبيوت خاوية
يحتل البحر مكانه الرئيسي في غرف الليل السوداء .
ثياب من ظلام
أقنعة من جبس
إبتسامة حب معسولة
صور لأطفال يكبرون
لم تعد تعلق على الجدران .

هناك ، منفردا يتماوج
شامخا باردا - بلا كلل - وحرا
المحيط الوامض .

طفل بنى البشارة بعينين زرقاوين
وشعر كثيف مشطه البحر
طفل لم تتشكك خطوته المبتهجة بالأرض أبدا
طفل أبي رفض طقوس الأحسد

لقد صنعت مراكب وطائرات ورق من كتب التدريبات
هل تذكر القبطان العجوز
الذى نسى الميناء وهو يحرق فى النجوم
مغنيا للبحر كى يستعيد شبابه ؟

هكذا ، فى السابعة المقررة
رحلت عنا بسمة الليل الأخيرة
وما كان لدينا سفينة أخرى نبحر بها
وأرصفة الميناء بلا أضواء أو مسافرين
قابلنا ظلنا آه يماطفل البحر
قابلناك وقمر ربيعى فى يديك
تتمشى وحيدا على الشاطئ وسط الصخور
حيث الفقعات والسرطين تعلم فى سكونة •

شبتت العيون من صور الماء
لكنها تهفو - ما تزال - الى الماء
النجوم تتنزه فى ذكريات النوارس النائمة
انقراض مفاجئ للدلافين المذعورة من كائنات البحر
وعلى مرايا الماء المكسورة
طيران المجرة الدائرى •

صمت مرعوب يرحل من جديد
الى الشاطئ النائم البعيد
- الابنة الجميلة للقباطنة الفرقى
تعيش فى انقراض حاجز الأمواج
وكل ليلة حين يكتبل القمر
يطاردها البحارة السكرى •

رب السماء والأرض والبحر
الى متى سنظل نرقب وننتظر
الى متى سنظل عطاشى
الى متى سنظل لا نموت ؟

أن نصل الى حيث توقف الضوء
مهشما الى جراح وورود
ذلك ما سيوقف دوران السنونو المتعب
لا بد أنك قد كسحت حتى السلمة الأخيرة من الفسق
وتقطعت أنفاسك حتى الموت •
فى أمسيات مكسورة
حين بكى المصاييح فى البيوت
حين صلى الأطفال عند سرير العذراء المريضة
فى الثلوج حيث كان قمر كبير وحيد يموت
فى الريح التى صلبت ريش الطيور العاشق
للمنا الدفء والضوء
لنجعل من الزهر قرينة للرياح •
لكن الانتصار لم يجرى ، لم ينته •

ونحن منعزلون
الى حد أن الموت لم يقع فى غرامنا
وظلنا يتمشى على الشاطئ الأبيض
مثل طائر مسالم للمحيط
مترع بالبهاء والسكينة
منهك من الليل والعشق •

لكن الساعة التى تسبق الفجر لم تجيء •
فمن الآن سيأتى لنا

يرجع السفن المنفيسة
المحملة بالصباحات والحمام
بابتسامات الطفولة ودموعها ؟
من ميعيد لنا الصحة العظيمة للنجوم
التي انهارت في عيوننا المشرقة ؟

رب ، يا رب
أعد لي من جديد عبادة المصلي الألهية
هات لي القلب الذي يجهل المظر
والازدهار مع السنونو
امنحني ارتحالات وعودات
لعل أستطيع البكاء من أجل جرح قراشة
لعل أستطيع الخطيئة
والندم
عندما يدوى جرس جزيرتنا فوق البحر
ببراءة يوم الأحد الطاهرة
ببراءتنا الضائعة
وصحتنا المفقودة .

في العيون الرهيفة للطيور
سوف يبقى طيف السهول بخشخاشها القرمزي
والفيض الذهبي للشعير .

وفي نوافذ صغيرة على الشاطئ
سيزهر الحب والجيران يوم من جديد
وسياتي مسيح طفل ليأخذ بيدنا

ونلعب حتى المساء تحت الزنابق
مع اللقالق ونسيم البحر والشمس .

وعندما يحل الليل سنقفز الى زوارق بيضاء
وبشباك صيادين توارتيين محزونين
سوف نصيد القمر المائي
ونستلقي معه في هدوء
فنبهج نومنا بملائكة صامتين
لم يتعلموا بعد الضحك والبكاء
بل الابتسام - وحده - في حلم خلق لم يولد .

جزر ذات أشجار صامتة في مساء الصلوات
حمامات السلام هناك ساكنة
ونحن صامتون أثناء جمع ورود النهار
فيما يسقط ظل المساء على الصفحة البيضاء
حيث تقتفي أثر الحياة بجوار الشاطئ .

لن نقرأ ما كتبناه
سنرفع عيوننا في انتظار المجرة الساقطة
خلف شجرة لوز من غيم أبيض
يتمشى فوق البحر .

يأتي - من جديد - الموسم
الذي لا يعرف الزمن ولا الندم .
صوت صاف ماء ساكن
ضوء خطى الصيادين على الرمال
الأطفال نائمون في القوارب
والملائكة يستحمون في أحلامهم .

رائحة عشب ونكهة نجوم
• سلاسل الجبال تذوب بعيدا في السماء المتأللة

أيدينا المتعبة تنضج لدى عذبا
• وشعرنا معطر يظل حزن الأمس

العالم بلا حدود ، يا أمي

القيثار العظيم للشفق
رحل في الغابة الكثيفة الظلال
• غيمة وردية تشتعل في حريق الغروب

يقبض الرب هذا اللون
لعلنا نعرف عقلنا
• ذلك الذي انهزم لكنه لا يعرف الخضوع

سنحتاج الى ذلك التعاطف البعيد
الذي يقاسى من أجل ما فسد
• محافظا على الحلم بالاستقامة

يمر المساء على الشاطئ المهجور
• وجرة الرماد على كتفه العاري

على وجهها المتأمل أشرقت بسمة
تغذى ضالتنا المنشودة ، تغذى سهرنا
• وهي توجه الوحي المجيد لمصيرنا

في هذا المساء يستنشق الكون
• أريج بذرة الرب اليقظان

نروى الجذور من النبع الأبدى
الذى يتفجر من أعماق الليل
ويملاً جماجم الموتى بالورود •

أضئ الأنوار على الأرصفة البعيدة
وطرز البحر النائم بالنجوم
ولترفع الأيدي السلبية •

صمتها يتخذ صوتاً •
حيواتها دائماً كل ما مضى •
هنا لا طيران ولا فناء •

أغنية المساء فوق البحار
مصحوبة بغياب الأشياء
التي تزهر فى الدائرة الأبدية
للصمت والحب •

البحر يحسك فى وجهه
فى البحر •

فلتأخذ المثل المقهورة
خذ المعرفة التى غصنت حواسنا الشابة •

خذ الهدوء العقيم
الذى يبقى متعباً على الصخر
فيبنى معبدته ومقبرته
بأخشاب سفننا القديمة

ولتدع لنا غبطة الليل وحدها
عندما تنتظر الأمهات على الباب المزهر
أطفالهن الغريبين الخارجين على الترويض

الذين أضاعوا وجبتهم المسائية
الذين يسبحون عرايا طوال اليوم
الذين يبحثون عن أعشاش النوارس
وينطقون طوال الليل بكلمات لا تعرفها
عن السفن والقيوم والملائكة
عن ملائكة مجانين يعيشون في سلاسل مرجان قرمزي
عن ملائكة جميلات مخطوبات للبحر
والرب المنكر لذاته يعزف على أبواق مسعورة
مصنوعة من عظام شعراء محطومين •

دع لنا غبطة الليل وحدها
حينما يصيد الأطفال من أجل النجوم
في زوارق بيضاء كالثلج
حينما يواجه المراهقون العرايا الجميلون
الجمال في العيون بلا شكوك أو خوف •

أعد لنا قوارب الورق
لعلنا نرسو في الميناء المعهود لبيتنا الأول •

وسوف نركع - برهة - على الرمال
وسوف نصلي أمام ظننا الذي لا يركع
فيما عذراء البحر الحزينة
ستفتح - في هدوء - باب الكنيسة
وتأتي لتقبل شعرا المبلول بندى النجوم العنيد
بندى الصمت والليل •

لكننا سنرفض من جديد
قبلة الحب التي تسترضي وتأسر .

مجهولين في المجهول
فاتنين لا نعرف الخضوع
سوف نرتحل - أبدا - في غابات القمر الفضية
في الجزر الوحيدة للنجوم
دون أن نعرف ربا
دون أن نعثر على رب
مثل نبض الألوهية الذي - في خلقه - يدمر ذاته .

ميناء ليلى
أضواء غريقة في الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط تضاء بالتعاقب
من الأضواء العابرة لسفن بعيدة
ثم تغوص في ظلال الرحلة الأبدية
أشرعة مزينة بمصابيح الحلم
مائلة مثل أجنحة مكسورة لللائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيران الفحم
أيده جريحة كالاعتذار الذي جاء بعد الألوان .

نار كبيرة على القمة
تحرق قلب الظلال .

سجناء مربوطون الى المراسي
في الوهج الأحمر
سلسلة محكمة حول عنق الأفق
وحول أيدي الفجر التي تجعل زهرة الربيع .

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

أخوتي وأخواتي
كيف يمكن أن أبقى بعيداً عنكم ؟

البحر ، البحر
الكتب لا تجيب عن السؤال
والسؤال لا يداوى الجرح .
من جرحنا يبدأ البحر .

أحلام الرحلة
عند منحني الدموع الأخير

من يطرد الشمس عن شعر الأطفال
عن قلبنا العظيم ؟

ارفعوا الأشرعة
ارفعوا المرساة .
هيا والموانئ القديمة تنزلق بعيداً
هيا والفجر يشرق بكل دموع أسلافنا .

سلسلة لا تليق بكاحل البحر
سلسلة لا تليق بقلب بحرنا .

وداعا للحب والبلاد .
طيور البحر في الضوء والملوحة
نحلم بالارتحالات في شراع كامل
آذاننا ليست صماء عن أصوات السيرينات
وعيوننا يقظانة .
ما من دُخَان ولا اِشْكَاء .
ما من أفق آخر وراء الأفاق .

أغنية البحر الأبدية تجيب على الفراغ
وتملأ خواءه بقلب وشمس .

آه ، ليال عاصفة
رياح قوية مندقعة في عنف
زبد على زجاج النافذة
مصاييح داخنة في بيوت الصيادين
مخاوف الفتيات الحزاني
رتق الجوارب للمنفي
منارة سهرانة مع عيون الأمهات
والبحر لا يرحم ولا نهائي كمقل الرب .
يمتلك الرقة ولم يروض مثل قلوب الشعراء .

أشباح القباطنة الغرقى
غلايينهم ما تزال في أفواههم
يطفون على ومضات البرق
سفن غريقة راجعة الى موانئ الليل
والطاقم الضائع واقف خارج الأبواب الموصدة
ينتظرون
يبحثون - صامتين - عن حيواتهم

يصلون صورا استوائية
سهولا لازوردية وزنايق هائلة
وتساء عراينا من أبنوس .
يولون بنا بصر

لكننا . نحن الذين تكلمنا ساعات مع البحر
نحن الذين نحمل في شقاها دائما
مناق الرحلة العذب القوى الجديد
تتقبل هبات الموت الأبدية .

وعتصما تلحن الأمهات البحر
ويتمشى القباطنة المعجائز قلقين في غرف موصدة

تفتح نحن الأبواب
تركض الى الصخور العالية
وتطلق صيحتنا في الليل
تأركين العاصفة وراءنا
تأسق الخبز والمدفأة
لنبرد جبيننا المحموم
ينضية البحر الواسع .

أيها البحر ، البحر
مثلا نحن معك ، فلتكن معنا
لن نستسلم لليل
وللنوم .

لن نتيأه بالصراخ :
لقد كسينا النصر الى الأبد .

فرح العاصفة
السكينة
الرحيل
فرح الارتحال الأبدي
فلتنطفئ الأضواء على الشاطئ
لعلنا ندخل قلب المحيط
ترنيمة أمواج الليل التي لا تنفد
بينما الرب من علينا عزلته الشمامسة
يقذف اجتراءنا بالصخور مع الأحلام المشرقة •

أيها الألم اللانهائي أيها الفرح باتساع العالم
نار كونية
تلك التي تحرق شعر الليل الأسود
تضيء الفجر عالياً فوق أشعة يعضة
فوق صوار عالية
حيث يصعد الشعراء ليمجدوا الوجه الجديد للرب
المنعكس - وهو يتسهم - في الماء
في إطار من نورسين منتشيين •

أيتها الشمس ، الشمس
التي تصبغ البحر بالدماء
عازياً أقدم نفسي للهيبك
لتضيء عيون الناس •

أمهاتي ، أخواتي
انصتوا الى صوتكم ، صوتي
انصتوا الى أغنية الشمس والبحر •

روميوسيني

(١)

هذه الأشجار لم تخلق لسماء أقل ،
هذه الأحجار لم تخلق لخطي الغرباء ،
هذه الوجوه لم تخلق الا من أجل الشمس ،
هذه القلوب لم تخلق الا من أجل العدالة .

مكان قناس كالصمت ،
يضم الى صدره أحجاره الحارقة ،
يعانق في الضوء أشجار الزيتون والكروم اليتيمة ،
وينشب فيها أسنانه .
لا ماء - ضوء وحده .
تلاشى الطريق في الضوء
وظل الحائط من حديد .
الأشجار والأنهار والأصوات تحولت الى رخام في كلس
الشمس .
الجدور تطفر على الرخام .
وحقل العدس يغطي الغبار .
يضال وأحجار - يلهثون . لا ماء .
الكل ظامئ . منذ أعوام .
الكل يمضغ كسرة سماء ليكبجوا مرارتهم .

عيونهم محتقنة بالدم من السهر
وبين حواجبهم خط عميق محفور
كشجرة سرو بين جبلين عند الغروب •

أياديهم ملتحمة بينادقهم
وبنادقهم امتداد لأذرعهم
وأذرعهم امتداد لأرواحهم -
على شفاههم يرقد الغضب
والآلم - فى أعماق أعماق عيونهم - يشبه نجمة فى حفرة ملح،

عندما يشدون قبضتهم ، تصبح الشمس واثقة من العالم
عندما يبتسمون ، يطير سنونو صغير من لحاهم الوحشية
عندما ينامون تتساقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الخاوية
وعندما يقتلون ، تندفع الحياة الى أعلا بالطبول والرايات •

لسنوات طويلة جاع الجميع ، عطش الجميع ، قتل الجميع
حوصروا بالأرض والبحر ،
أهلك القيط الحارق حقولهم ، والملوحة غمرت بيوتهم
خلعت الريح أبوابهم وأشجار الزنبق القليلة فى الميدان
يجئ الموت ويمضى خلال تقوب معاطفهم
والسنتهم لاذعة مثل مخروط السرو
نفقت كلابهم والتحفّت بظلالها
والطر يصدق على العظام •

متسمرين فى مواقع الحراسة ، يدخنون روث البقر والليل
ويراقبون البحر الثلجى
حيث غاص صارى القمر المكسور •

نقد الخبز ، نقدت الذخيرة
والآن يحشون مدافعهم بقلوبهم :

طوال سنوات حوصروا بالأرض والبحر
جاع الجميع ، قتل الجميع ، وما مات أحد -
في مواقع الحراسة تتوهج عيونهم راية شاسعة ،
حريقا هائلا يشتعل بالاحمرار .

وفي كل فجر تنطلق ألف حماسة من أياديهم
نحو البوابات الأربع للمسدي :

(٢)

وكل مرة يهبط الليل فيها بالزعر المحروق على صدر الحجر
تسقط قطرة ماء ، تحفر منذ عصور في جوهر الصمت
والجرس المدلى من شجرة الدلب العتيقة ينوح على السنين .
تنام الشرارات في رماد الخراب
والأمنطح تتأمل الزغب الملون على الشفة العليا لشهر يوليو -
زغب أصفر كشعيرات كوز الذرة التي دخنها حزن الغروب .

السيدة العذراء مرمية وسط الأس بثوبها الفضفاض المبقع
بالعنب .
وفي الطريق طفل يبكي والسهل يرد عليه بشاة فقدت
صغارها .

ظل على النبع . والماء في البرميل بارد ثلجي .
ابنة البيطار بقدمين مبلولتين .
خبز وزيتون على المائدة ،
ومنارة المساء تتوهج في تعريشة الكروم

وعاليا هناك ، تبت المجرة - وهي تدور على سفودها -
نكهة الدهن والثوم والفلفل الحار .

آه ، كم من حرير بلمعان النجوم سنحتاج اليه
لنطرز بابر الصنوبر « هذا ، أيضا ، سوف ينقضي » على جدار
الصيف المحروق
ما أطول ما ستتغصر الأم قلبها على مذبحه أبنائها السبعة
الشجعان
قبل أن يجد منفذا الى طريق روحها الشاهق ؟

هذه العظمة التي تبرز من الأرض
تقيس الأرض ياردة ياردة وأوتار العود
والعود والكمان من المساء الى شروق الصباح
يرويان حزنهما الى النعناع وأشجار الصنوبر
والجبال ترتعش على السفن كالأوتار
والملاح يشرب البحر المرير من كأس أوديسيوس .

آه ، فمن الذى سيسد المدخل اذن ، وأى سيف سيقطع
الشجاعة
أى مفتاح سيوصل القلب ، ونوافذه مفتوحة على اتساعها
كانها تشاهد حدائق الله المبدورة بالنجوم ؟

رائعة هذه الساعة ، كليالى السبت فى مايو، فى حانة البحارة
رائعة هذه الليلة ، كالمقلاة على حائط السمكرى
رائعة هذه الأغنية ، مثل الخبز فى عشاء صياد الاسفنج .
وهناك ، يندفع القمر الكريتى على الحصى وسط التلال
دقة دقة ، بعشرين صفا من قطع الحديد فى نعل الحذاء

وهناك يكونون ، هؤلاء الذين يصعدون ويهبطون سلال
« نافليون » -

وهم يحشون غلايينهم بأوراق الظلام الخشنة ،
شواربهم زعتر من روميلي مبذور بالنجوم
وأسنانهم مثل جذور الصنوبر في الصخر وملح البحر
الايجي .

في الأغلال ذهبوا وفي النار ، تحدثوا مع الأحجار
واستضافوا الموت الى « الراكي » في جمجمة أجدادهم ،
في نفس باحة الدراس ، قابلوا « ديجينيس » على العشاء
ليقطعوا حزنهم اثنين ، تماما كما يكسرون على ركبهم أرغفتهم
الحاف .

تعالى ، ياسيدة الأهداب الملحية ، والأيدى الملطخة بالدخان
من رعاية الفقراء ، ومن السنوات الطويلة -
فالحب ينتظرك وسط الأسفل
وفي كهفه تعلق النوارس أيقونتك المسودة .
وقنقذ البحر الميرير يقبل أطافر قدميك .

وسط الأعناب السوداء للكرمة يفور العصور أحمر زاهيا
يفور الثوت في العشب الشوكى المحترق
في الأرض ، يطلب جذر الشجرة الميتة الماء ليثمر شجرة تنوب
وأم تحتفظ بسكين عميقا تحت تجاعيدها .
تعالى ، أيتها السيدة التى ترقد على البيض الذهبى للرعء ،
ففى يوم بزرقة البحر ، ستزيحين وشاحك وترفعين السلاح
من جديد .

من أجل أن يضرب برد مايو جبينك
من أجل أن توزعها حبة حبة على أيتامك الاثنى عشر
من أجل أن يتوهج البحر في كل مكان كحد السيف وثليج
أبريل .

من أجل أن يظهر السرطان على الحصى ليشمس نفسه ويعقد
مخالبه .

(٣)

عاليا هنا ، لا تستنزف الشمس زيت عيوننا ولو لبرهة واحدة
عاليا هنا ، تحمل الشمس عنا نصف ثقل الصخرة
التي كنا ترفعها دائما على ظهورنا .
قرميد السقف ينكسر بلا نفس تحت ركة القمر
والناس يسرون أمام ظلالهم كالذلافين أمام قارب «سكياثوس»
وظلمهم يصبح - بعدئذ - نسرا يصبح جناحيه في الغروب
ليجثم - بعدئذ - على طرفيه ويتأمل النجوم .
حينما تستلقى على الحجرة الشمسية وسط الأعناب السوداء .

عاليا هنا لكل باب اسم محفور عليه ،
اسم عمره حوالى ثلاثة آلاف عام
كل صخرة مرسوم عليها قديس بعينين وحشيتين وشعر
يشبه الجبال
كل رجل له حورية موشومة على ذراعه الأيسر ، غرزة غرزة
كل فتاة لها قبضة من ضوء ملحي تحت جونلتها
وللأطفال خمسة أو ستة صلبان صغيرة موجعة على قلوبهم
كآثار النوارس على رمل الأصيل .

لا ضرورة لأن تتذكروا . فنحن نعرف .
كل الآثار تفضى الى طوابق الدراسات العليا .
والهواء - عاليا هناك - قارص .

عندما يبلى الرسم الجصى المينوى للغروب فى البعيد
وتذوي النار في مخازن التبغ على الشاطئ

تتسلق النسوة العجايز هذا البعيد على درجات منحوتة في
الصخر

يجلسن على الصخرة العظيمة ويغزلن البحر كخيوط بعيونهن
يجلسن ويحصين النجوم كأنهن يحصين ميراثهن من الفضيات
ويهبطن آخر النهار ليطعمن أحفادهن بارود « ميسولونجي » •

نعم ، حقا ، فالمكبل له مثل هندي الأيدي الحزينة في الأغلال
لكن حاجبه يضطرب فوق عينه المريرة كصخرة توشك دائما
على الانفلات •

ترتفع الموجة من الأعماق فلا تبالى بالتوسلات
ومن الأعالي ، يهب الهواء منحدرًا بالراتينج في شريانه
والمريمية في رثته •

آه ، سيهب ذات مرة ليجرف أشجار البرتقال من الذاكرة
آه ، سيهب مرتين كي تطلق صخرة الحديد شرارة مثل
كبسولة التفجير

آه ، سيهب ثلاث مرات ليدفع بغابات التنوب في « لياكورا »
إلى الجنون

ويوجه ضربة بقبضته فيطيح بالطغيان
ويهب دب الليل من حلقة أنفه فيرقص لنا « التساميكو » في
المتاريس

ويعزف القمر لنا على الدف إلى أن تمتلئ شرفات الجزر
بحشود الأطفال الناعسين وأمهات « سوليوت » •

يجيء كل صباح رسول من الوهد العظيم ،
على وجهه تشرق الشمس الجميلة

يتقدم تحت سلاحه - في تصميم - إلى « روميوسيني »
كما يتقدم العامل إلى ذروته في كنيسة •
أن الأوان ، يقول • فلتستعدوا •
فكل ساعة لنسا •

(٤)

بكبرياء الجائع زحفوا - أماما - الى الفجر ،
ونجمة تكثفت في عيونهم الساكنة
وعلى آكتافهم حملوا الصيف الجريح .

مر الجيش من هنا ، والرايات ملتصقة بالأجساد
والعناد مغروس في أسنانهم مثل كثرى برية نيسة
برمل القمر في أحذيتهم العسكرية
وغبار فحم الليل ملتصق بآذانهم وأنوفهم .
شجرة شجرة ، صخرة صخرة ، مروا خلال العالم
مروا - حاملين الشوك وسائد - خلال النوم
وبين أيديهم الظامئة جاءوا بالحياة مثل نهر .

مع كل خطوة كانوا يكسبون فرسخا من سماء - كى يتخلوا
عنه .

فى مواقع الحراسة كانوا يتحولون الى سكود الحجر مثل
أشجار محترقة

وعندما رقصوا فى الميدان

ارتجت أسطح البيوت وقعقت الأوانى الزجاجية فى الرفوف .

آه ، آية أغنية هزت ذرى الجبال -
وضعوا بين ركبهم طبق القمر وأكلوا
سحقوا آهة فى أعماق قلوبهم
كما يسحقون قملة بين ظفريهم السميكين .

فمن سيجىء لكم الآن برغيف خبز دافئ فى الليل كى تطعموا
أحلامكم ؟

من سيحرس زيز الحصاد - فى ظل شجرة زيتون -
لئلا يهوى الى الصمت

وقت أن يدهن طلاء الظهيرة جدار الأفق المحيط
فيطمس أسماءهم الرجولية العظيمة ؟

هذه الأرض التي كانت تفوح بالأريج في الفجر
هذه الأرض التي كانت لنا ولهم - دمهم - أى عبير كانت
تمنحه ! -

كيف أوصدت الآن دوننا أبواب كرومنا
كيف ذوى الضوء على السطوح والأشجار
من يحتمل أن يقول أن النصف يرقد - الآن - تحت التراب،
والنصف الآخر فى الأغلال ؟

بكل هذه الأوراق تقول الشمس لكم « صباح الخير »
بكل هذه الرايات تشرق السماء ،
غير أن هؤلاء الرجال فى الأغلال وأولئك تحت التراب •

فلتصمتوا - ففي أية لحظة سوف تدق الأجراس •
هذه الأرض لهم ولنا •
وتحت التراب ، يمسكون بحبل الجرس
بأياديهم المعقودة ، فى انتظار الساعة ،
لا ينامون ، أبدا لا يموتون فى انتظار دق جرس النشور •
هذه الأرض أرضهم وأرضنا -
ما من أحد يستطيع أن يأخذها منا •

(٥)

فى الأصيل جلسوا تحت أشجار الزيتون
ينخلون الضوء الرمادى بأصابعهم القاسية

فكوا أحزمة الخرطوش وحسبوا كم من العناء يمكن أن يتسع له
 ممر الليل
 كم من المرارة في عقد الخبازي البرية
 كم من الشجاعة في عيون الولد الحافي الذي كان يحمل الراية
 عاليا •

في السهل ، مكث السنونو الأخير طويلا ،
 كان يتأرجح في الهواء مثل شريط أسود على كم الخريف •
 لم يبق شيء آخر • البيوت الخربة - وحدها - تحترق •
 وأولئك الراقدون تحت الأحجار رحلوا عنا منذ زمان ،
 قمصانهم ممزقة وقسمهم مكتوب على الباب المتهاوى •
 ما بكى أحد • لم يكن لدينا وقت • لكن الصمت سرعان
 ما اتسع
 والضوء الساقط على الشاطئ كان ناعما وأنيقا
 مثل التدبير المنزلي للمرأة المقتولة •

ما الذي سيحدث لهم الآن عندما ينسرب المطر الى الأرض
 مع الأوراق العطنة لشجر الدلب
 ما الذي سيحدث عندما تجف الشمس على بطانية الغيمة
 مثل بقعة مسحوقة على سرير أحد الفلاحين
 حينما يقف لقلق الثلوج محنطا على المدخنة في المساء ؟
 الأمهات المعجائز ينثرن الملح على النار ، يهلعن التراب على
 شعرهن
 يقتلن كروم « مونيمفاسيا » لثلا تسكر حبة عنب واحدة فم
 عدو

يضعن عظام أجدادهن في كيس مع الفضيات
 ويهمن خارج جدران وطنهن
 بحثا عن مكان يغرسن فيه جنودهن في الليل •

سيكون من الصعب علينا الآن أن نجد كلمات أقل قوة
أقل صخرية من كلمات شجرة الكرز -
تلك الأيدي التي بقيت في الحقول أو على الجبال أو تحت البحر
لا تنسى -

سيكون من الصعب علينا أن ننسى أيديهم
من الصعب على الأيدي التي تصلبت على الزناد أن تبحث عن
زهرة اللؤلؤية

أن تقدم الشكر على الركبتين ، على كتاب ، على صدر نجمة •
سوف يستغرق وقتا • وعلينا أن نرفع صوتنا •
الى أن يجدوا خبزهم وعدلهم •

مجدافان تسمرا في الرمل ، عند الفجر ، في العاصفة •
أين القارب ؟

محراث مغروس في الأرض والرياح تهب • الأرض احترقت •
أين الفلاح ؟

شجرة الزيتون والكروم والبيت - رماد •
ليلة قارصة في حذاء مزارع •

أوراق غار جافة في دولاب الحائط - لم تلمسها النيران •
براد شاي مسود في الموقد - والماء يغلي وحده في البيت
المغلق •

لم يكن لديهم أى وقت للأكل •

على مصراع الباب شرايين الغابة - الدم ينساب في الشرايين •
وهناك الخطوة المألوفة • من يكون ؟

الخطوة المألوفة بمسامير الحذاء ، تصعد •

زحف الجذر في الصخر • شخص ما قادم •

كلمة السر ، التوقيع الموثق • شقيق • مساء الخير •

بذلك - اذن - سيجد الضوء أشجاره

والشجرة ستجد - ذات يوم - ثمرها •

دورق الرجل الميت ما يزال به ماء وضوء •

مساء الخير ، يا أخى • أنت تعرف • مساء الخير •
وفى كوخها الخشبي تبيع السيدة العجوز « غروب » خيطا
وتوايل •
لا أحد يشتري • فهم تحولوا الى الأرض العليا •
ومن الصعب عليهم الآن الهبوط •
بل من الصعب أن يوجوا بارتفاعهم •

وفى طابق الدراس ، حيث تناول الشبان الشجعان عشاءهم
ذات ليلة ،
تبقى هناك نوى الزيتون والدم الجاف للقم
مع المقياس الشعبى للبنادق •
فى اليوم التالى ، أكلت العصافير فتات خبز العسكر ،
ومن الكبريت الذى أشعل سبائهم ومن أشجار زعرور
النجوم صنع الأطفال اللعب •

والحجر الذى جلسوا عليه تحت أشجار الزيتون
فى الأصيل ، فى مواجهة البحر ،
سوف يتحول غدا الى طلاء فى الآتون ،
وبعد غد سنطلى بيوتنا وعتبة « سانت سافير »
واليوم التالى ، سننذر البذور حيث ناموا
وسوف تنبتق براعم الرمان مثل الضحكة الأولى للطفل على
صدر الشروق •
وسنجلس - فيما بعد - على الحجر لنقرأ قلوبهم جميعا
كأننا نقرأ - للمرة الأولى - تاريخ العالم •

(٦)

هكذا ، مع الشمس في صدر البحر ، وهي تصبغ الثوب
المقابل للنهار ،

فان صاعقة وعذاب العطش احتسبا ضعفين وثلاثة أضعاف
والجرح القديم احتسب من البداية
والقلب احترق في القبط مثل بصل « أرجيف » أمام الدور .

أكثر فأكثر تشابهت أيديهم والأرض
أكثر فأكثر تماثلت عيونهم والسماء .

جرار الزيت الطينية خاوية . بعض الثقل في القاع . والفار
الميت .

شجاعة الأم نزلت مع الجرة الطينية والصهريخ
ولبان الخراب لأذع بالبارود .

فاين ستجد الآن الزيت لتنديل « سائت باريزا »
والنعناع لتبخير أيقونة المساء الذهبية
كسرة الخبز لليلة المتسولة لتعزف لنا غنوة النجم على كوكبة
القيشارة .

في حزن مرتفعات الجزيرة ، تحولت الكمثرى والبرقوق
الشوكى الى أشباح .

حرثت الأرض بطلقات المدافع والقبور .
المواقع الرئيسية المدمرة ترقعت بالسماء . لاغرفة أبدا لموتى
آخرين .

لا غرفة للأحزان كي تتوقف وتجدل شعرها .
وخلال محجر العين الخاوى ، تبصر البيوت المحترقة البحر
الرخامي في البعييد

والرصاصات مغروسة في الجدران
كسكاكين في ضلوع القناديس المربوط في شجرة السرو .

طوال النهار ، والموتى يشبهون أنفسهم ، ممددين على
ظهريهم .

وعندما يحل المساء يجرحهم الجنود على بطونهم فوق
الصخور السوداء ،

فيبحثون بأنوفهم عن الهواء خارج الموت
يبعثون - وهم يمضغون قطعة من نعال - عن حذاء القمر ،
يضربون الصخور لتفرج عن قطرة ماء
لكن الجدار - في الجانب الآخر - أجوف
يسمعون من جديد قذيفة المدفعية المنطلقة تسقط في البحر
ويسمعون مرة ثانية صراخ الجرحى أمام البوابة .
فألى أين تمضى ؟ فأخوك ينادى عليك :

الليل - فى كل مكان - مشيد من ظلال سفن أجنبية .
الطرق مسدودة بالجدران المهدومة .

فى اتجاه المرتفعات وحدها ما يزال الطريق مفتوحا .
يلعنون القوارب ويمضغون أسننتهم
ليحسنوا بالآلم الذى لم يتحول بعد الى عظام

على المتاريس يقف القادة المذبوحون يحرسون الحصن .
وتحت ثيابهم تبلى أجسادهم . هيه ، يا أخى ، ألم تتعب ؟
الرصاص فى قلبك تبرعمت ،
خمس زنايق نبتت تحت ابط الصخرة الجافة ،
نفسا نفسا يروى الأريج العذب الحكاية الخرافية - ألا تتذكر ؟
لدغة لدغة ، يحكى لك الجرح عن الحياة ،
وزهرة الكاميليا التى تبرعمت من أقدار اظفر قدميك
تحكى لك عن جمال العالم .

تتعلق باليد • انها يدك ، ملحية رطبة •
والبحر بحرك • عندما تنتزع شعرة من رأس الصمت
يقطر لبن شجرة التين مرازة • أينما تكون تراك السماء •

ونجم المساء يلف روحك كسيجارة بين أصابعه
فيمكنك تدخين روحك ، وأنت تستلقي على ظهرك
مبللا يدك اليسرى فى الليل الواضح ، ذى النجوم
واذ تلصق يدك اليمنى ببندقيتك ، خطيبتك ،
تذكر أن السماء ما نسيتهك أبدا
عندما تأخذ رسالته القديمة من جيبك الداخلى
وتقرأ - فيما تفتح القمر بأصابعك المحترقة - غن الشجاعة
والمجد •

سوف تتسلق - فيما بعد - الطريق صاعدا الى نقطة مراقبة
الجزيرة
وباستخدام نجمة - ككبسولة تفجير - تطلق قذيفة فى الهواء
فوق الجدران والصواري
فوق الجبال التى انحنت كجنود جرحى
كى ترعب الأشباح وتدفعهم الى مكنم الظل -
ستطلق قذيفة مباشرة الى صدر السماوات لتصيب درع
الزرقعة
كأنك ستعثر فى قميصها على حلقة المرأة التى سترضع طفلك
غدا
كأنك ستعثر - بعد مرور الأعوام - على مقبض باب بيت
أسلافك •

(٧)

البيت ، الطريق ، الكمثرى البرية ، الدجاجات التى تنقر لحاء
الشمس فى الباحة •
تعرفهم ويعرفسونك •

وهنا في الأسفل وسط العليق ، بدلت حية الشجرة جلدها
الأصفر

هنا في الأسفل جحر النمل وبرج النحل بمعاركه الكثيرة ،
وفي نفس شجرة الزيتون قوقعة زيز العام الماضي ،
وصوت زيز هذا العام

في حقول العدس، ظلك الذي يتبعك مثل كلب صامت ، يعاني
طويلا ،

كلب وفي - يجلس في الأصيل بجوار نومك الأرضي ويتشمم
الدفلى ،

وفي المساء ، يلتف على قدميك ويرقب إحدى النجوم •

هناك ، صمت الكمثرى التي تنمو على سيقان الصيف

نعاس الماء وهو يتسكع حول جذور شجرة الخروب -

نبح له ثلاثة أيتام على مريسته

ونسر يموت في عينيه

وعاليا هناك ، خلف غابة الصنوبر

تدوى كنيسة « سان جون » بالقرية

مثل قطرات العصفور البيضاء التي تجففها الشمس على ورقة

توت عريضة •

وهذا الراعى الذي التف في جلد الغنم

له نهر جاف في كل شعرة من جسده

له غابة بلوط في كل ثقب من نايه

وعصاه لها نفس العقد كالمجداف الذي كان أول ما ضرب

زرقة « هيليزبونت » •

ليس عليك أن تتذكر • فشريان شجرة الدلب له دمك •

والجزيرة زنبق وكبير

في ذروة الظهيرة يجهر البثر الصامت

بصوت دائري من زجاج أسود ورياح بيضاء

مستدير كجرار طينية قديمة - نفس الصوت القديم •
 وفي كل ليلة ، يقلب القمر الموتى على ظهورهم
 يفتش في وجوههم بأصابعه الثلجية عن ابنه
 ذى الجرح فى ذقنه ورموشه الحجرية
 يفتش جيوبهم • فسيجد دائما شيئا ما • دائما ما نجد
 شيئا ما •
 مفتاح ، خطاب ، ساعة توقفت على الساعة • نملأ الساعة
 من جديد •
 وتنطلق الساعات •

وعندما تبلى فى الغد ثيابهم ، ويبقون عرايا وسط أزارهم
 العسكرية
 مثل كسرات سماء وسط نجوم الصيف
 مثل النهر بين شجيرات الغار ،
 مثل البحر الملتوى بين أشجار الليمون فى أوائل الربيع ،
 آنئذ ، قد نعث على أسمائهم ونهتف : اننا نحب •
 آنئذ • • لكن من جديد ، قد تبدو هذه الأشياء بعيدة ،
 لكنها مع ذلك قريبة تماما ، مثلما تشد على يد فى الظلام
 وتقول :

« تصنبح على خير »
 بالشفقة المريرة للمتفنى حينما يعود الى وطنه
 فلا يتعرف عليه حتى أهله لأنه عرف الموت
 وعرف الحياة قبل الحياة وفيما وراء الموت
 ويتعرف عليهم • ليس من وراء فى الغنى يقول •

وهو على يقين من أن الطريق الأطول هو الأقصر الى قلب الرب .
وساعة أن يقبله القمر في أسي على رقبتيه ،
وهو ينفذ رماد سيجارته عبر سياج الشرفة ، قد يبكي
بسبب يقينه
قد يبكي بسبب يقينه في الأشجار والنجوم والأشياء .

أثينا : ١٩٤٥ - ١٩٤٧

من شهادات

* عملية

- كان يتجرد يوما بعد يوم .
- خلع ثيابه أولا ،
- ملابسه الداخلية فيما بعد ،
- جلده بعد ذلك ،
- وبعده لحمه وعظامه ،
- الى أن تبقى - فى النهاية - ذلك الجوهر البسيط ، الدقيق ،
- النظيف ،
- الذى يشكله - خفيا وبلا يدين -
- أباريق صغيرة وقصائد وناسا
- ربما كان - هو نفسه - واحدا منهم .

* منظور

- بيوتنا مبنية أعلى بيوت أخرى ، فى صف ، من رخام ،
- وأولئك أعلى بيوت أخرى .
- أقيمت أساساتها فوق رؤوس تماثيل منتصبه ، بلا أيد .
- لهذا ، فمهما كان انخفاض أكواخنا فى السهل ،
- تحت أشجار الزيتون لتتحامى بها ،
- صغيرة ، مسودة من الدخان ، وبجانب الباب ابريق وحيد ،

فأنك تتخيل أنك تسكن غاليا ، وحولك يتلأأ الهواء ،
 أو تتخيل أحيانا أنك خارج البيوت ،
 أنك بلا بيت ،
 وأنت تتخذ طريقك غاريا متصليا ،
 وحيدا تحت ساء زرقاء - بصورة زائدة - أو بيضاء ،
 و - عرضا - يلمس تمثال بخفة كتفك بيده .

* ماء وطن

انحنى فوق البئر - دائرة من ظلام ،
 ظلام بارد يتلأأ .
 وهناك ، فى المركز ، وجهه المضى محصور .
 آنثذ رمى الدلو وسحب الماء . كان عطشانا .
 شرب . لم يكن فى الماء أحد .
 هل يمكن أن يكون - فى عطشه - قد شرب وجهه ؟
 سيحتاج الآن - على الأقل - الى قناع يشبهه
 (والا فكيف سيعيش وسط الكائنات الانسانية ؟)
 أخذ ماء وطننا ، عجن الطين بعناية ،
 لكنه لم يعد يستطيع تذكر شكل وجهه .
 نظر الى يديه ، -
 طين يتدلى - أحمر لامعا - من أصابعه .

* أصيل

الدجاج ما يزال ينقر فى الطريق .
 وزوجة القبطان العجوز جالسة فى الباب
 تحمل حفيدها فى حجرها المفتوح .
 طفل يحمل سلة .
 البيوت العشوائية تواجه الغروب ، بجذوعها القديسه .

- وأسرته ومناضلهما الحديد - وصورها المؤطرة
- الملاءات تنشر تاريخها في مستطيلات عريضة
- البحر غير مسموع
- ويد كبيرة خفية ترفع المقاعد شبرين فوق الأرض
- كيف يعيش الناس بلا شعر ؟

* مهندس معماري

- مجموعة فتيات في ثياب وردية
- يضحكن في ركن البيت المهذوم
- البناءون يعلقون بنظراتهم وقمصانهم في مسمار بالمبنى الجديد
- يأخذون لوح الملاط ، والمسطرين
- ويصعدون السقالات الكبيرة ، العارية
- كأنهم يصعدون الى السماء
- والمهندس يحسب ، يتذكر ، يقارن ، يراقب ،
- ينظر باكتئاب ، كأن تخطيطه قد ظل نصف مكتمل ،
- كأن المبنى الكبير لن يكتمل أبدا
- يأخذ مسمارا ويسمره بنفسه في اللوح ،
- اثنتي المسمار • ضحك العمال • ضحك أيضا
- خلع قميصه وهو يشعر أن - في ضحكهم الشعبية هذه -
- قد توحدت يده وتخطيطه وبنائهم

* بناءون

- أرايت من هم بناءون بالفريزة
- وأولئك الآخرين بحكم المهنة
- والطائفة الثالثة ممن يبنون للثأر من الموت
- وأولئك ممن يبنون عن وعى وتصميم ؟

كلهم يتوقفون الآن جميعا ،
يمسحون أيديهم التي تغطت بالجيس في بنطلوناتهم ،
يمسحون عرقهم ويكون
لا يمسحون دموعهم .

والآن ، يلتصق الملاط أفضل بهذه الطريقة .
وهو ما يحدث فيما وراء قصدهم
ذلك هو السبب في أن البنائين - في الليل -
يحملون بهذا ال « ما وراء » المجهول ، الغامض
فيبنون كل صباح ال « هنا » أفضل .

* نهاية خطبة

في اللحظة الأخيرة ، وهو ينهي خطبته وسط التصفيق ،
أضاف تعبيرا غامضا وهادئا :
« الرجل الذي صفقتم له لم يكن أنا ،
وكلماتي لم تكن لي -
انها مرايا صغيرة في مواجهتكم
ترجع شظايا من وجوهكم أو توقعكم ،
وفي مواجهة كلماتي كنت أقف أيضا كضوء بعيد
ينعكس في المرايا ، ويرمى أشعته الناصعة في عيونكم
لتمنعكم من رؤيتي .
كلماتنا الحقيقية تكمن عميقا في الصمت
(ولا حاجة بنا إليها ، على أية حال)
وأفعالنا الحقيقية دائما ما تقصى الشهود أو تقتلهم ان استطاعت
أو تتخلص منهم مقابل ثمن باهظ
ما نمتلكه هو - فقط - ما لا يحتاج الى برهان .
وكل التصفيق هو شهادة تالية أو زائفة بلا وعي ،
في تلك اللحظة ، انطفأت الأضواء فجأة

وبدا الجميع يتدافعون ناحية أبواب الطوارئ ،
 فلم يستطع أحد أن يرى التعبير على وجوههم أو وجهه .
 ربما فقط ، كان هناك صمت إجباري معتم ، يرفرف حرا
 في المرايا المعلقة بقاعة الاستماع .

✽ تحت النسيان

الشيء المادى الوحيد الذى تركه بعده هو سترته .
 علقوها هناك ، فى الدولاب الكبير .
 نسيته ، وأزاحتها ثيابنا الى الوراء ،
 ثياب الصيف ، ثياب الشتاء ،
 ثياب جديدة كل عام من أجل احتياجاتنا الجديدة .
 الى أن لفتت انتباهنا ، ذات يوم ، -
 ربما كان لونها الغريب ،
 ربما كان أسلوب خياطتها القديم .
 على الأزرار كانت هناك ثلاثة أماكن دائرية موحدة :
 حائط الاعداد بأربعة ثقب ، محاطة بنمنا .

✽ ربما كان يعرف

بعد أمراضه المتوالية ، تبقى هذا الوهن ،
 يومى برأسه صعودا وهبوطا ،
 ويهمهم بابتسامة : « حقا ، حقا ، حقا ، حقا » .
 بطريقة مضحكة بالفعل ، لكنها أيضا ودية .
 « حقا ، حقا » ، يهز رأسه طوال الوقت
 كخضن معتم هش به ورقة خضراء وحيدة . -
 والرياح تعصف به أبدا
 فى مشهد طبيعى أجرد ورقى
 لعرفان بلا تبرير .

✽ نفس البرودة ؟

أيام كثيرة ، ليال كثيرة ، أعوام كثيرة ، - كان متعبا .
 لم كل هذا العناء ؟
 بعد منتصف الصيف ، كل صيف ، يسمع مجموعة من الشبان
 يملأون خارج نافذته يضحكون ، يغنون ، يمزحون .
 وهو ؟

عندما أضواء الصباح من جديد للذاكرة
 رأى حلزوننا يصعد المجرة ببطء .
 لكن في الخارج أيضا ، - تذكر - بجوار البئر ،
 المزهرات ، في مساءات الصيف ، في كل الحداثق المروية .
 وبجوار الزهور يتمشى سرب من الحلزون .

✽ العرافة

شعرها فوضي ، دائمة ،
 كأنه عويل على جثة ما خفية ،
 أو على جنتها هي .
 « نعمة العرافة » ، تقول « نعمة شريرة » ،
 والشبكة المظلمة في الحمام المعلقة أمام عينيها
 تشبه شعرها -
 ليست شبكة موت فحسب ، بل أسوأ ،
 شبكة اصطيداد ، شرك للحسد أو اللاجدوى .
 والآن تقترب - من جديد - تلك الساعات الفاتنة الهشة من
 الرئيس -
 كطفل يغمس قدميه في ذلك الحوض العميق ،
 يلعب بالصابون ..
 بأطراف أطرافها تصنع شقين في شعرها المنسدل ،
 كأنها تعزف على قيثارة ،
 ثم تحديق في الثقبوب ،
 تخمن عن صواب و - عن صواب - تبتسم .

* ليلة قديمة

- هناك عاليا ، حل الظلام مبكرا
- ليلة شفافة ، مضيئة كالنهار
- بستان الزيتون المعتم
- الشجيرات المحترقة من الشمس وسط كتل الرخام
- المسرح المقفر المعلق على جانب التل
- ترس كبير مرمي ووجهه في الأقدار
- اذا ما أمطرت ، فلسوف يمتلئ بالماء
- وستأتى السنونوات الى هناك لتشرب
- مع الدب والأسد والثور و « كريستوثيميس »
- وكلاب حارس الغابة الثلاثة ، والقمر

* صورة جانبية يونانية

- بحر معتم ، يتنفس سرا في الليل
- قوارب الصيد الفارغة راسية على الشاطئ -
- والسر العميق في أجسادها المبلولة ما يزال غير منطوق
- أشعل شخص ما كبريتا ، ثم سيجارة
- هذه الصورة الجانبية لعشرين عاما من العمر على القارب -
- نعرفها منذ ثلاثة آلاف عام (الشعر منسبد هكذا تماما)
- وراء الأشرطة المعتم ، اندفع شهاب كالبرق
- وهو يكشف شلال شعر لفتاة منحوتة في الخشب

* ضوء غامض

- غربت الشمس منذ ساعات :
- فمن أين يأتى - اذن - هذا الضوء الكبريتى
- فيدفن السهل في أقدام هذه الجبال العمودية ، كما لو فى
- السديم ؟

• قلامة ظفر القمر القرنفلية تفوص في الغرب •
ويمكنك - بالكاد - أن تستكمل النوافذ الأربعمئة وثلاث
للمدابع القديمة ،
وحتى جلود حيوانات الأضحيان ، المنشورة على الأسلاك
الشائكة -
وفي أقصى الطرف الأسفل ذلك الصوف الذهبي ،
الذي يلتصق بجوار مقبض الباب الحديدي •

أوريست

(شابان ، كلاهما فى حوالى العشرين من العمر ،
توقفا أمام الأروقة . بديا كأنهما يحاولان تذكر شيء ما .
واستعادة التعرف عليه ، لكن ما استثارهما أن كل شيء
كان مألوفاً بصورة لا تصدق ، برغم أنه أصغر الى حد
ما - بكثير - مما تخيلاه فى المكان ، كمكان وزمان
مختلفين تماما : الجدران ، هذه الجلاميد الهائلة ،
بوابة الأسد ، والقصر فى ظل الجبل . . . جل الصيف .
كان الظلام يهبط . رحلت العربات الخاصة والآتوبيسات
السياحية الكبيرة ، وأطلقت الساحة المسترخية زفيرها
فى السكون ، زفيرا عميقا ينطلق من مقابر ذكريات
ما قبل التاريخ . قصاصة جريدة ترتعش على العشب
المحترق ، وقد لمستها هبة واهية من ريح . وكان
للمره أن يسمع وقع خطى الحارس الليلي ، وصوت
مفتاحه الثقيل فى الباب الداخلى للقصر . آنثذ ، بدأت
الجداجد تفرع طبولها النحيلة ، كما لو ان ندى الليل
الدافئ قد أطلق سراحها . ضوء غمامض زحف خلف
الجبل - ربما القمر . فى هذه اللحظة - بالتحديد -
انفجرت صرخات حادة عند الدرج الرخامى - عويل
امراة اليم ، بلا تفسير . وقف الرجلان دون أن ينظر
أحدهما الى الآخر ، مندمجين - كظلين كبيرين - فى
الجدار الوطئ . ثم أخرج أحدهما وشاحا ومسح
جبهته ، وأشار - فى ارهاق - باصبعه ناحية الصخب .

وبدا في الحديث الى رفيقه ، والذي سيظل صامتا
منتبها بصورة فاتنة ، كما « بيلاديس » .

أنصت . . . انها لم تكف حتى الآن ، لم تستنفد نفسها .
ذلك لا يحتمل في ليلة يونانية نموذجية ، دافئة ، ساكنة ،
منعزلة ولا مبالية ،

وان منحتنا هذا المراء الفريد
أن نكون فيها ، أن نراها من داخلها .
و - في نفس الوقت - عن مسافة منها ،
أن نشهدها عارية حتى أوهى اختلاجة لجداجدها ،
وأقل رعشة لجدها المظلم

مثل هذا الاستقلال ،
هل نجرؤ - نحن أنفسنا - على الحلم به ؟
بفرحته الفاتنة باللامبالاة ، والصبر ،
فيما وراء العالم ، في العالم ، وفي أنفسنا :
وحيدا ، متحدا ، متحررا ،
فيما وراء هذه التنافسات ، والمقارنات ، والتعسفات ،
فيما وراء معيار الآخرين في الآمال والرغبات ،
يكفى أن ترى رباط صندوقك ،
حيث يفصل الاصبغ الكبير ليديره تجاهي ،
وتجاه مكان يجاوز زهور الدفلى ، سرى ، ولى وحدى ،
فيما تتساقط أوراق الليل الفضية مرتعشة على كتفيك
ومسيل النبع يمر - واهيا - تحت أظافرك .

أنصت اليها ، -
فصوتها يغلفها كمقبرة تطن بالنجيل ،
وهي - نفسها - تتدلى داخل صوتها

كلسان جرس يقرع ويقرع جدران الجرس ،
 لكن لا من أجل جنازة أو حفل -
 فليس هناك سوى هذه الصحراء الصخرية الطاهرة ،
 و - في الأسفل - صمت الصحراء المستكين ،
 الذي يحول غضبها الطائش الى سكينه ،
 وكل ما حولها كطائرات ورقية بريئة ،
 نجوم بلا حصر تتحرك مع الحفيف الورقي الأبدى لذيولها
 الهائلة .

فلننض الى خارج مدى السمع - الى التل الخلفي
 لكن ليس الى مقابر الأسلاف .
 فلن أقدم - الليلة - أية قرابين ،
 لن أجز شيئا من هذا الشعر
 حيث كثيرا ما هامت يدك ...
 ومع ذلك ، فهي ليلة فاتنة ،
 تبدو كأنها جزء منا
 وقد انفلتت وانجرفت بعيدا ،
 نصمت اليها وهي تتحول الى نهر أسود يسعى الى البحر ،
 مزيدا - بين حين وآخر - تحت الأغصان ،
 تحت البريق الخشن للنجوم ،
 في صيف ظالم محروق مجذب من الرحمة -
 نهر مغمم بالانقطاعات القصيرة ، الغامضة ،
 والقفزات غير المتوقعة (ربما كان أحدهم يرميه بججر) :
 الخريز المرح والنوافذ عبر الكروم تومض .
 أمر غريب ،
 فطوال حياتي كانوا يؤهلونني لذلك ،
 والآن ، وأنا أقف هنا أمام البوابة ،
 أحس بعدم التأهيل تماما .
 فلأسدان الرخاميان - هل تراهما ؟

كم أصبحا اليقين ! -
 رغم أنهما كانا يبدوان غاية في الشراسة عندما كنا صغارا ،
 وحشين ، وعرفاهما ينتصيان لقفزة مستحيلة ...
 عما هما الآن ينتهيان على مؤخريهما في قناعة
 على الزاويتين العلويتين للمدخل ،
 فراؤهما بلا حياة ، وعيونهما جوفياء
 - لا شيء يخيف فيها -
 ولهما نظرة الكلاب المكدودة ،
 لكن - حتى - دون أن تكون تعيسة :
 وفيه ، عمياء ، بلا أثر لضغينة ،
 فقط ، بين الحين والحين
 يمدون ألسنتهم ليلعقوا التعل القاتر لليل .

حقا ، غير مؤهل .
 لا أستطيع ذلك .
 لا شيء داخلي مع هذا المشهد ،
 مع الزمن ، مع هذه الأشياء والأحداث .
 ليس ذلك لأنني جبان ، -
 غير مؤهل عند بدء الفعل ،
 غريب بكامله عند غاية رتب لها الآخرون .
 فكيف حدث أن نجحوا - شيئا فشيئا - في تحديد مصيرنا ،
 في فرضه علينا ،
 وفي أن تقبل - نحن أنفسنا - به ؟
 كيف حدث أن نجحوا في نسج حياتنا كلها
 من أجمل الخيوط للحظات ماضية معدودة ؟ -
 رداء خشن ، كالح يلفنا مثل كفن من الرأس الى القدم ،
 ليخفي وجهنا كله ، بل وأيدينا
 التي أقحموا فيها سيفاً لم نره من قبل أبدا ،

وبريقه القاسى يكشف مشهدا لا ينتمى اليينا -
متأكد أنا من ذلك : لا ينتمى اليينا .

وكيف حدث أن قبل مصيرنا الحقيقى - أيضا - بذلك ،
متراجعا وهو ينظر شزرا اليينا
والى مصيرنا المفاير مثل غريب :
أصم ، صامت ، مستغن ، ناء ،
دون - حتى - سيماء المهابة أو الرزانة ،
دون لياقة أن يتوارى ، أن يموت ،
ويتركنا قريسة لهذا المصير الزائف
(مصير واحد قحسب : غير متضارب أو ممزق) .
انظر اليه وهو يستلقى هناك ،
ناعسا فيما يبدو ،
واحدى عينيه مغمضة ، لكن الأخرى مفتوحة قوية ،
ونحن نعرف (كما يشتهى نكون) أنه ما يزال يراقبنا ،
ويمكنه أن يرى اختلاجنا الأبدى ،
دوننا ادانة ولا غفران .

هناك - فيما يبدو - قوتان متعارضتان
تتوافقان مع قدمينا ،
كل واحدة تشد قلما الى أبعد ما تستطيع عن الأخرى
توسع خطوتنا الى حد تمزيق الأوصال ،
ويصبح الرأس نوعا من الزابط
الذى يحفظ هذا الجسد الممزق فى كتلة واحدة .
بينما خلقت الساقان - فيما أعتقد -
لتتحرك كل واحدة بالتبادل ،
والاثنين فى خطوة واحدة ، فى اتجاه واحد ،
هيوطا الى السهل بكرومه المعنقدة ،

فى اتجاه الأفق الذى يتوهج على البعد ،
 فيولد الجسد بكرة •
 أم أن الحقيقة أننا خلقنا
 من أجل تلك الخطوة الأخرى -
 تلك الخطوات الكبرى ، السانحة
 فوق الهاوية المجهولة ،
 فوق القبور ، فوق قبرنا ؟
 لا أعرف •

ومع ذلك ، فتحت الجذور الراقدة العديدة للقوى والخوف
 يمكننى أن أحس الامتداد اللانهائى للضمت :-
 نوعا من العدالة ،
 توازنا مكثفيا بذاته
 يضمنا فى نظام واحد مع البلوز والنجوم -
 فهل لاحظت ذلك ؟

ففى طريقنا الى هنا ، فيما بعد الظهيرة ،
 كان ظل غيمة يمتد عبر السهل ،
 فيغطى حقول القمح ، وأحراش الزيتون والكروم ،
 والخيول ، والطيور ، والأوراق -
 كمشهد بعيد فى السماء
 مطبوع بخفة فى الأسفل هنا على الأرض -
 والمزارع يسير على طول حافة السهل
 فيبدو كأنه يحمل - تحت ذراعه الأيسر -
 ظل الغيمة الكامل كمعطف هائل -
 مهيب ، وان يكن بسيطا كثوبه المصنوع من جلد الغنم -

هكذا تصبح الأرض حميمة للسماء ،
 متخذة لمحة من زرقتها ، من غموضها ،

والسما - بالمقابل - تتخذ شيئا من الأرض ،
 شيئا ما دافئاً وأسير مصقراً ،
 شيئا ما من أوراقها ،
 من جذورها وصيريرها الأرضي ،
 وشيئا ما من العيون الصبورة للبقر - هل تذكرها ؟
 ومن الساقين الثابتتين لذلك المزارع
 وهو يختفي من البصر .

لكن أختي تحاول الإبقاء عليه .
 أنصت إليها .
 كيف يمكنها ألا تسمع صوتها ؟
 كيف يمكنها الإبقاء على نفسها محبوسة
 في لحظة ساكنة من زمن غابر ،
 من مشاعر غابرة ؟
 كيف ، وبأي شيء ، يمكن إحياء
 هذا الهوى الحقود ، وصوت الهوى ،
 عندما تكذبها كل الأصدا ، بل وتسخر منها ؟
 - أصدا من الأروقة ، من الأعمدة ،
 من الأثاث ، من الدرج ،

من جرار حفظ رماد الموتى بالحديقة ، والقناة ،
 من كهوف زارا ، من الحظائر بالوادي ،
 من الحراس القائمين على التلال ،
 من الثنيات الموجودة على تماثيل الالهات في الساحة ،
 من القضبان الرخامية الضخمة لرماة القرص والعذائين .

حتى الزهريات داخل المنزل تبدو كأنها تعارض صرخاتها
 مع إيماء الموافقة من بضع زهرات رقيقة

رتبتها - بذوق - يد الأم ،
 هناك على الخزانة المنحوتة ،
 فى واجهة المرأة الموروثة ،
 فى وهج (مزدوج من الانعكاس)
 يبدو كما لو من خلال ماء - أتذكره منذ الطفولة ؟ -
 ذلك - على الأقل - ما احتفظ به على صافينا :
 وهج مائى ، باهت ، حياى -
 غموض فيما وراء الزمن والخطيئة :
 شىء ما ناعم ، وأثير ،
 كحزن فتاة صغيرة ،
 كزغب على الشفة العليا لصبى ،
 كرائحة جسد نضر من الحمام ،
 على الملاة الدفيئة بأنفاس ليلة ضيف مترعة بالنجوم .

لكنها لا تعى شيئا من ذلك ،
 ولا حتى الأصداء التى تسخر من صوتها المتنافر .
 اننى خائف :
 لا يمكننى الاستجابة لنداءاتها -
 الفادحة والمبتذلة فى نفس الوقت -
 لكلامها المفحم هذا ، البالى
 الذى يبدو خارجا الى النور
 من صناديق كتانية تنتمى الى ما يحب العجائز أن يسمونه
 « السنين الخوالى » ،
 كأعلام مكرمشة هائلة ،

وغضونها يتخللها النفطالين ، وخيبة الأمل ، والصمت -
 كلامها العتيق الذى لا يحمل أى شك فى عمره الحقيقى .
 وهو يواصل القرقة بعيدا بايماءات غابرة

فوق رؤوس السائرين المتعبين ، المتبرمين ، بلا ارتياب ،
 فوق الشوارع الأسفلتية ،
 التي ما تزال - برغم حجمها - متواضعة ،
 بنوافذ محلاتها الأنيقة
 الممتلئة ببضائع البللور وأربطة العنق ،
 وملابس البحر ، والقبعات ، وكتب الجيب ،
 وأمتعة السفر التي تستجيب لاحتياجات اللحظة
 والاحتياج الدائم للحياة التي تقودنا •
 لكنها تضيء في اعداد الميد والمؤن للموتى ،
 الذين ما عادوا يشعرون بالجوع أو العطش ،
 بل وما عاد لهم أفواه ،
 والذين لا يحلمون أبدا بالعودة أو الانتقام •
 انها - وإلى الأبد - تستحضر عصمتهم
 (لكن أية عصمة ؟) ،
 ربما لتتهرب من عبء الاختيار والقرار -
 عندما تصبح أسنان الموتى ، النظيفة المبعثرة في التراب ،
 يذورا ناصعة في واد أسود بلا مثيل ،
 لتنبئ أشجارا من عظام بيضاء ، لا مرئية ، معضومة ،
 تومض كالغوسفور في ضوء القمر حتى نهاية الزمن •

كيف يمكن لسانها أن يحتفل النطق بهذه الأشياء ،
 بكلمات منزوعة من صناديق قديمة
 (من نفس النوع الذي اعتادوا صنعه بمسامير حديدية هائلة
 للزينة) ،
 منزوعة من بين القبعات القديمة للأم ،
 ذات الطراز القديم ، التي لم تعد ترتديها :
 لن يدركها الموت فيها •
 هل تراهنا في الحديقة هذا الأصيل ؟
 انها فاتنة كما كانت ، لا أكبر حتى بيوم واحد ،

ربما لأنها تضع الزمن نصب عينها ،
وترعاه كل لحظة -
أعني أنها عادت شابة من جديد
على وعي بالشباب الذي فقدته ،
وذلك - ربما - سبب استعادتها له .

وصوتها ، الآنى تماما ، اليومى تماما ، المعافى تماما ، -
وهى تستخدم أكبر الكلمات وأصغرها بصورة طبيعية ،
بأعظم المعانى الممكنة - مثلما تقول :
« هناك فراشة تدخل من النافذة » ،
أو « العالم أروع من أن يحتمل » ،
أو « يمكن اضافة مسحوق تبييض أكثر للبياضات » ،
أو « لفحة واحدة من شذا المساء تراوغنى »
ثم تضحك ،
كما لو لتستيق شخصاً ما تخشاه ، يوشك على الضحك .

وفهمها الكامل وتدليلها الرقيق لكل شخص وكل شيء -
هو - غالباً - احتقار ما .
كنت دائماً معجبا بها ،
بل وأخافها ، لهذا الوعي الذاتى ، لهذا الزهو الرفيع ،
فتختلط لدى ضحكاتها الخفيفة ، المتعددة الأبعاد ،
بذلك الهسيس والشعلة الخفيفة لعود الكبريت
وهى تشعل المصباح المعلق فى غرفة الطعام -
وستكون هناك ، مضاءة من أسفل ،
بأقوى ضوء مركز على الخطوط الناعمة لذقتها
وعلى فتحتى أنفها الرقيقتين ، المتسعيتين ،
اللتين توقفتا - لحظة - عن التنفس وضائقا ،
كما لو ان ذلك سيقببها الى جانبنا ،

سيتمهل بها ، يقيها ساكنة ،
دون أن تنوب كخيوط دخان في رياح المساء النشيطة ،
ودون أن تتبدد بفعل الغصون الطويلة للأشجار ،
ولا أن تضع في اصبعها كشتبان إحدى النجوم
من أجل تطريز بلا نهاية .

وكان لها أن تنفرد بحركتها ،
وتوقفها الدقيق في نقطة الغياب بالذات -
كنت دائما ما أخشى أن تتلاشى ،
أو تهبط كأحد الآلهة ،
حينما تنحنى لتربط الصندل
الذي يترك أطراف قدميها الملونة مكشوفة ،
كنبات « بخور مريم » النحيل ،
أو عندما تعد شعرها أمام المرأة الضخمة
بتلك الطريقة اللافتة في تحريك يدها ،
الفتية الرشيقة ،
بدت كأنها تشبك ثلاث نجومات أو أربع في جبين العالم ،
أو تدفع زهرتي ربيع إلى قبلة بجوار النبع ،
أو تنظر بارتياح ، في تأثر واضح
إذا يتسافد كلبان وسط الشارع المترب
في أصيل صيفي حار .
كانت الأم - في آن - بسيطة للغاية في اقناع ، وقوية للغاية -
مهيبة لا يسبر غورها ، معا .
ربما كان ذلك الشباب الأبدى هو ما لم تستطع شقيقتي
غفرانه -

فهى نفسها قد شاخت في السن ،
عاقلة في تناقضاتها ، معارضة - في تعصب - للفرح والجمال -
زاهدة ، بغیضة في حذرهما ،

وحيدة ومنعزلة •
 حتى الأشياء التي ترتديها -
 عتيقة مزمنة ، فضفاضة ، رثة بائسة ،
 والحبل الذي يربطهم الى الخصر قديم متهالك ،
 كشریان جاف حول بطنها (ما تزال تربطه باحكام) ،
 كجبل بعض الستائر الساقطة ،
 التي لم تعد تنغلق أو تنفتح ،
 لتمنح المرء - فحسب - تلك اللمحة الجانبية
 لمشهد طبيعي ضيق وأجرد -
 عالم من صخور نائثة وأشجار هائلة بلا أوراق
 تمد أغصانها تجاه ستارة خلفية من غيوم مخططة بدينة ،
 وهناك ، فى البعيد ، الحضور الخفى لخروف ضائع ،
 كلطخة باهتة للحياة ، نفثة من رقة لاتين ،
 وأختى نفسها جلمود منتصب ، موصدة فى صدفاتها القاسية -
 لا تحتبيل •

أنصت إليها ،
 فهى - عموما - تافهة •
 دائمة المراقبة للأم ،
 تنفجر فى الغضب حينما تضغ وردة فى صدرها أو شعرها ،
 أو حين تمر خلال الردهة بهذا الكمال الايقاعى فى خطوها ،
 أو حين تميل برأسها قليلا الى جانب فى تسليم ،
 وقرطامها الطويلان يقطران نغما فاتنا على كتفها ،
 نغما هى وحدها التي يمكن أن تسمعه -
 انه هبتها الالهية •
 وهو ما يترك الأخرى مستشيطة •

وهى تغذى غضبها بحدة صوتها -
 (بذلك الذى ذهب أيضا ، ما الذى استبقته ؟) -
 أشك أنها خائفة من الفعل ذاته الذى تصرخ من أجله ،
 خائفة - حقا - من أن يتركها بلا شيء .
 فهى لم تسمع أبدا الحفيف السرى لعشب المساء
 وأحد الكائنات الخفية الرشيقة
 يزحف الى ما وراء النوافذ فى الغسق ،
 ما رأت أبدا سلم الجبال المعلق بلا سبب من أعلى ،
 على جدار قاحل ، فى إحدى العطلات .
 ولم تلحظ هذا الافتقار الى سبب .
 ولم تر الريشة على أذن من ذرة
 وهى تنظف قدم غيمة نحيلة ،
 أو شكل إبريق ، مرسوم قبالة النجوم ،
 أو المنجل الذى سقط بجانب النبع ، فى أوج النهار ،
 أو حتى الظل الذى يرميه نول فى غرفة مغلقة ،
 وهم يرشون الكروم بالكبريت ،
 وصيحات الحصادين تطفو من السهل ،

بينما العصفور ، وحيدا تماما فى العالم والساحة ،
 يشاكس الذباب ، والبذور ، والفتات القليل ،
 ويحاول اكتشاف حريته .
 لم تر أى شيء .

بليدة ، مسجونة فى عماها .
 كيف يمكن لها - مهما كان - أن تعيش حياتها منفردة
 فى تضاد مع حياة شخص آخر -
 بدون مكان حقيقى لها -
 بدافع كراهيتها لحياة شخص آخر
 لا بدافع حبها لحياتها ؟ -

ماذا يريدون ؟

ما الذى يريدونه منى ؟

الانتقام ، يصرخون •

الانتقام !

اذن ، فعلهم أن يتلقوه ضدهم ،

طالما أن الانتقام هو ما يبقينهم أحياء •

لا أستطيع أن أسمع المزيد • كفى •

فما من أحد يستلك الحق فى التحكم فى عيني ، وفمى ، ويدي ،

وقدمى اللتين تختاران الأرض التى أمشى عليها •

خذ ييىدى •

ولنمض •

ليالى صيف طويلة ، كاملة لنا وحدنا ،

مزيج من نجوم ، كؤوس نبيذ مهشمة ، آباط عرقانة ،

حشرة تثر فى رقة فى طيلة أذن الصمت ،

سحالى تندفأ عند أقدام شبان من رخام ،

يرقانات على دكك الحديقة ، أو فى دكان الحدادة المخلق

تمشى فوق السندان العملاق ،

تاركة خلفها على الحديد الأسود

آثارها البيضاء من السائل المنوى واللعاب

علينا ألا نعود الى ميسيناي •

فالأرض هنا تمور بصدأ البرونز والدم الأسود •

و « أتىكا » أقل ظلما بكثير •

اننى أحس أن هذه الساعة هى ساعة نكرانى الزاهد الأخير :

فلن أكون أحد شؤونهم ، خادمهم ، أداتهم •

ولا حتى الحاكم عليهم •

انه أوان البدء في أن أعيش حياتي الخاصة •
ولا مكان فيها للانتقام •
فلماذا نستبقى موتا آخر ، موتا قاسيا ،
مستمدا من الموت ذاته ؟
ما الذي سيضيفه الى الحياة ؟
ذلك كله قديم غابر •
ذهبت الكراهية •
فهل نسيت ببساطة نفسى الممزقة ؟
لا أدري •
بل اننى أحس بتعاطف مع القاتلة -
فقد حدثت فى قلب جحيم عظيم ،
وعى هائل فتح عينيها عن آخرهما فى الظلام ، لترى -
ترى ما لا ينفد ، مالا ينال ، ما لا يتغير :
ترانى •

وأنا - أيضا - أريد رؤية مقتل أبى فى الضوء المعزى للموت
المجرد ،

• وأن أضيئه فى توحد الميتات التى تنتظرنا جميعا •
لقد عرفت الليلة براءة كل غاصب •
ونحن جميعا غاصبون لشيء ما :
بعض الناس ، بعض العروش ،

الحب من الآخرين ، أو حتى الموت •
وأختى قد اغتصبت حياتى الوحيدة ،
وأنا اغتصبت حياتك •

صديقى ،
لقد شاركتنى - فى صبر - هذه الشؤون الغريبة ، التافهة •

لكن يلى هى يدك -
 خذها ، اغتصبها (نعم ، حتى أنت) •
 فهى لك ، ولى أيضا •
 امسك بها ، ضمها اليك •
 أعرف أنك تريدها متحررة من الذكريات ،
 من الجراح القديمة ، وأنام الأسلاف -
 متحررة بشكل حقيقى •
 أنا - أيضا - أحلم بذلك ،
 فأنشد - فحسب - ستكون بأكملها ملكى ،
 ملكى - أنشد - لأمنحها لآخر •
 اغفرلى هذه العزلة والانقسام الداخلى -
 فأنت تراه بوضوح - والذي يتركنى ممزقا ...
 يا لها من ليلة فائنة •

أريج حاد لزهور الكبر ، والأورجانو ، والزعتر -
 أم انه منقار الكركى ؟
 اننى أخلط بين الروائح المختلفة •
 فأحيانا ما يفوح الدم برائحة تشبه مياه المحيط المالحة ،
 ورائحة السائل المنوى تشبه الغابة - تحول واع ربما -
 فذلك - بالتحديد - ما أبحث عنه الليلة •
 هل تذكر ما أخبرنا به الجندي ذات ليلة فى أثينا ؟
 كيف أنه أخفى نفسه ذات مرة فى الأكمة المظلمة

على شاطئ دمرته الأنات ، وحديد المعركة المصلصل ،
 وهو يرقب الظل المتأرجع الذى يرميه ضوء القمر
 لعضوه شبه المنتصب تجاه فخذه -
 محاولا أن يثبت وجوده ،
 ويختبر قوة ارادته على جسده ،

على أمل الانتقال من السهل المفعم بالموت ،
على أمل حرية يؤمن - جزئيا - بها .

فلنمض بعيدا في الأسفل .
لا يمكنني الاستماع الى ذلك .
قصرخاتها تسحق أعصابي ، وأحلامي ،
والطريقة التي ارتطمت بها مجاذيفنا بالأجساد الطافية
التي كنا نلمحها بين حين وآخر على ضوء مشاعل السفينة ،
وشهب أغسطس التي تومض بالشباب والشهوة ،
أبدية أبعد من الظن
في هذا الموت المنساب الذي حمى ظهورهم وكواحلهم ،
وأفخاذهم .

يجيء تحول الفصول في صمت تام
ودائما ما يتزايد الظلام .
مقعد خيزران يقف منسيا تحت الأشجار
في الرطوبة الشفيفة والبخار الصاعدين من التربة .
انه ليس الأسى .
ولا هو - حتى - الأمل .
لا شيء .
حركة تمتد بلا حركة الى الأمس والغد .
سلحفاة في العشب تبدو كحجر .
سرعان ما ستتحرك .
انقياد بلا توقع ، مشاركة سرية في جريمة ، في سعادة .

ما يزال في بسمتك أثر واه من خواء -
أهو بسبب ما أحكيه لك ،
أم بسبب ما سأحكيه وإن كنت لا تعرفه .

ما لم تكتشفه في ايقاع كلمائي
التي تواصل الركض بعيدا الى الامام من افكاري ،
فتكشف ايقاعي ، وذاتي ؟
مثلا ذات مرة ،
وأنا أتفرج على العدائين يأتون متناثرين الى خط النهاية ،
وقد تحموا بالعرق ،
حين لاحظت أحدهم وقد ربط قطعة خيط صغيرة الى كاحله
بلا سبب ،
ببساطة عن نزوة .
ذلك كل شيء .

انها تبحث عن بطولة ، عن تضحية .
سنوات عديدة ، وما الذي تغير ؟
أم أننا من أجل ذلك قد أتينا -
من أجل هذه النبوءات الصغيرة بالمعجزة الكبرى
التي لا تعرف كبرى ولا صغرى - لا قتل ولا خطيئة ؟

كل شيء هو حب شبقى -
سحر وقتنة ، كما اعتادت أمي أن تقول -
حينما تمس أوراق المساء العريضة ، الشهوانية جباهنا في
هدوء ،

والثمرة الساقطة تصبح رسالة راسخة لا تصل أحدا
كالدائرة ، والمثلث ، والمعين .
ويرى عقلي منشارا قديما يصدأ في مخزن أخشاب مهجور ،
والأرقام على البيوت تزحف الى الأفق - ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٠٠٠ عدد
بلا حصر .
لكن انصت .
لقد توقفت .

سكون عميق - سكون فوق التصديق •
لا يد أن ألف حصان أسود يتحركون في غموض أعلى المنحدر
الى « تريوس » ،
كنهر من ذهب يفيض في الجانب البعيد تجاه السهل ،
تجاه يتابعه الجافة - وتكناته الخاوية ،
تجاه الحظائر حيث ما يزال يرسل الدخان .
مع الدفء الأبدى لحيوانات و كلاب غائبة وذيلها بين أرجلها
تختفي كبقع حبر في أعماق الليل الوامضة •

أخيرا ، رحلت •
هذا الصمت عجيب - اعتاق •
انظر كيف تخلف ظلال الحشرات الهاربة
آثارا دقيقة من رطوبة على الجدار ،
أجاسا دقيقة سترن بعد دقائق قليلة •
وذلك الوجه الأرجواني في البعيد ، كشيء مريب :
القمر شعلة نار صغيرة ، وحيدة بعيدا وراء الأشجار ،
والمداخن ودوارات الرياح بالبيوت
التي تلتهم القراص الكبير والجرائد القديمة ،
لتخلف وراءها قبولها -
بحياة بلا أمل ، بلا انتظار ،
بغيت قابل للاثبات :
تمجيد قريب يمتد الى البرارى التي لا تبجل ، الى حافة الطريق
والوميض الشبيه القاسي لقطة ما •

حينما يظهر القمر ، تغوص البيوت في السهل الى أسفل ،
وتصدر سيقان الذرة صريرا مع الضيق ، أو قانون التكاثر ،

وتلتحم جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
المحصودة في حرب صامتة ،
وتعلق الشارات فوق الدكاكين الصغيرة المغلقة ،
كتبوات شهدنا تحققها •

لا بد أن المزارعين كلهم - الآن - نائمون ،
وأيديهم الضخمة مستقرة على بطونهم ،
والطيور - بمخالبها الصغيرة - تقبض ، في ارتخاء ، على
غصن في نومها ،
كان الاستمرار لا يحتاج الى مجهود ،
كان المجهود لا شيء أبدا ،
كان شيئا لم يحدث ،
ولا شيء على وشك الحدوث -
هكذا بخفة بالغة ، تبدو السماء كما لو دخلت أجنحتها ،
كما لو أن شخصا ما يسير في ممر طويل بمصباح في يده
وكل نوافذه مفتوحة على آخرها ،
بينما في الخارج ، في الساحة، ترعى الماشية في سلام كامل،
كما لو خارج الزمن •

أحب هذا الصمت الشافى •
في شرفة قريبة ، امرأة تمشط شعرها الطويل ،
تفرده بجانبها ، ومخاوفها الداخلية تتنهد في ضوء القمر •
يصبح العالم سائلا ، زلقا ، مرحا •
الآباريق الكبيرة في الحمامات تصب الماء فوق أكتاف وصدور
الفتيات ،
والصابونة الصغيرة المعطرة تنزلق على القرميد ،
تنبتق الفقاعات خلال أصوات الماء والضحك ،
تنزلق امرأة وتهوى ،

وينزلق القمر من ضوء السماء ،
يصبح كل شيء زلقا بالصايون ،
ولا يمكنك أن تمسك به ، ولا - حتى - بنفسك :
هذا الانزلاق والسقوط العاجز هو الإيقاع المتوالد للحياة :
تضحك النساء وتسقطن بفضاوات كأبراج من رغبة ، بلا وزن
فوق الأحراج الصغيرة لأفخاذهن •
هل تشبه السعادة ذلك ؟

ان بقاءنا هنا هذه الليلة يضعنى فى موقف بين بين •
وبالكاد يمكننى التمييز :
هناك - ربما - أفنعة كبيرة مهشمة ، وزخارف من حديد
وصندل الميت يتوه فى الرطوبة ،
يتحرك من تلقاء نفسه كأنه يمشى بلا أقدام لا تمشى :
والشبكة الكبيرة فى حوض الاستحمام - من الذى نسجها ؟ -
عقدة عقدة ، سوداء ، لن تحل - لم تكن أسمى •

ظل بلا حدود ينتشر فوق القناطر •
حجر يتقلقل ويهوى أسفل واجهة الجرف -
لكن لا أحد كان يسير هناك :
ثم لا شيء •
ومن جديد ، غصن ينكسر تحت أوهى ثقل للسماء ،
وضفادع صغيرة تقفز بلا صوت فى رشاقة خلال العشب
الميلول •

سكون •
فأر رمادى يسقط فى الآبار ويفرق ،
وسط الأشكال البطيئة ، المتخثرة لدائرة البروج ،

هناك يرمون ببقايا المآدب من الأباريق والكراسى وأكواب
النبيذ والمرايا ،
وعظام الحيوانات والقيثر ، وكلمات الحكمة •
ولا تمتلى الآبار أبدا •

شئ ما يشبه أصابع اللهب والندى يمر - متعاقبا - خلال
صدورنا ،

يرسم دوائر حول الحلمة مثلما حول ضخية ،
ونحن أنفسنا منطلقون ، دائرة فوق أخرى ،
حول مركز غامض فوق الإدراك ، لكنه راسخ :
لوالا لا نهائية حول صرخة كظيمة ،
جرح من سكين ،
والسكين ، فيما أظن ، مغروسة فى قلبنا ،
لتصبح المركز ،
كالوتد فى منتصف ساحة الدراس ، على التل ،
والأحصنة ، والقمح ، والفوانيس ، والبغالة ، والحصادون
يستلقون أمام أكوام التبن ، والقمر يريح رأسه على أكتافهم ،
وهم يستمعون الى الأحصنة تصهل عند حدود النوم ،
الى الثور وهو يبول على الصفصاف والشجيرات ،
الى الخطوات الألف ل « أم أربع وأربعين » على الصرير الخزفي ،
الى الأقعى الكسولة وهى تزحف على بطنها خلال أجبة الزيتون ،
الى صوت الأحجار التى ألهمتها الشمس وهم تبرد وتنكمش •

هناك كلمة صامتة عن الحب ، موصدة - أبدا - فى أفواهنا ،
كحصاة أو مسمار ناتئ فى صندلنا :
لا نكلف أنفسنا عناء التوقف وخلعه ،
أن نحل السيور ، فنتناخز :

نحن أسرى الايقاع اللاواعى للرحلة فيما وراء الوجدع الأليم
للحصاة ،

فما وراء ما يلح على تذكيرنا بتعبنا ، وارجائنا •
ولربما نحس - حتى - ببعض الوهن ينخس الابتهاج
حين نتذكر أن الحصاة من شاطئ نكن له محبة خاصة ،
تمشية سارة ، مفعمة بالأفكار المضيئة والصور المثالة ،
ونحن نستمتع الى هذر التجار فى مقهى الشاطئ •
والى أغنية البحارة ، وأغنية البحر :
أبعد ، أبعد ، مفقود ، أقرب ، غريب ، ملكنا •

لقد توقفت ، تلك المرأة البائسة •
وتلتحم جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
كاننى أستطيع أن أسمع حقيقة كلماتها فى صمتها -
مباحة فى غضبها ، مقهورة ،
وشعرها يسقط على كتفها فى مرارة كزهور جنائزية -
مكفنة فى صدقها الهزيل •
ربما تكون - الآن - نائمة ، ربما تحلم ببلد بلا خطيئة ،
بماشية أليفة ترعى وسط بيوت مطلية بالأبيض ،
وشذا الورود والخبز الساخن •

لا أعرف السبب ،
لكننى فكرت - فحسب - فى تلك البقرة
التي رأيناها هذا المساء فى السهل الأتيكى - هل تذكرها ؟
متحررة من النير ، وقفت تحملق فى البعيد
وريشتنا البخار من منخريها تضييان أرجوان الغروب ، وذهبه ،
وبنفسجه •
صامته ، تتحمل جراحا جديدة فى ضلوعها وظهرها ،
علامات للضرب على وجهها ،

كانها جاءت لتعرف الطاعة والعصيان -
فالعناد. والحقد يوجدان متوافقين .

لقد وازنت أثقل جزء من السماء بين قرنيها ، مثل تاج .
ثم خفضت رأسها لتشرب من الجدول ،
ولسانها المتخثر يلحق ذلك السائل الأبرد من صورته
السائلة ،
كانها بهذه الملاحظات الرجبية ، الأمومية ، المحتومة ،
تلحق - فى سكينته - جرحها الداخلى ، من الخارج ،
كانها تلحق الجرح العميق ، الدائرى ، الصامت ، للعالم -
قربما يرتوى عطشها .
من يدرى ، قربما لا يروى عطشنا غير دمنا .

وحين رفعت وجهها عن الماء .
دون أن تمس شبيثا ، أو تمس
مهيبة كقديس ، رفعت بين القائمتين الأماميتين الراسختين فى
الماء
بحيرة قرمزية ، صغيرة ، دائمة التحول - دما من شفيتها -
كخريطة للعالم تنتشر وتلاشى تدريجيا ،
متبددة كان الدم قد انسرب الى شريان أرضى ، خفى ،
ليتحرر أخيرا ، أبعد من الألم :
وكان أن عثرت هنا - بالتحديد - على سكينتها ،
كانها عرفت أن دمنا أبدا لا يهدر ،
أن لا شيء أبدا يهدر ، لا شيء ،
أن لا شيء قد أهدر فى هذا اللا شيء العظيم القاسى ، بلا عزاء ،
وغير المتكافئ فى النهاية :
فادح العذوبة ، فادح العزاء - فادح العدم .

فى ذلك تكمن لانهايتنا الانسانية .
 فلاى هدف - اذن - لهائنا ، والحاحنا ، ومجدنا ؟
 بقرة مشابهة تتبعنى كظلى - غير مربوطة .
 تأتى معى من تلقاء ذاتها ،
 هى ظلى على الطريق حين يظهر القمر ،
 ظلى فى غرفة مغلقة .
 ولا تنسى أبدا :
 فالظل ناعم ، بلا جسد ،
 وظلا القرنين يمكن أن يتحولا بسهولة
 الى جناحين مدبيين ليرفعاك فى الطيران -
 كأن هناك طريقة أخرى لعبور الساب .

ورغم أن ذلك غير هام ، على نفس النحو ، فأننى أتذكر عينيها :
 عيني مظلمتين ، واسعتين ، بلا بصر ،
 مستديرتين كتلين صغيرين من ظل أو زجاج أسود .
 وكان هناك برج كنيسة ينعكس على الزجاج بلا وضوح ،
 مع طيور « الزاغ » الجائسة على الصليب ،
 آنثى ، صاح شخص ما ، ففرت الطيور من عيون الحيوانات .
 كانت البقرة - كما أظن - رمز احدى الديانات القديمة .
 لكن مثل هذه الأفكار ، وهذه التجريدات -
 لا تعنى لى شيئا .

بقرة عادية مهمتها لبن الفلاح ، والمحراث ،
 مع كل حكمة عملها ، والصبر ، والفائدة .
 ومع ذلك ، ففى نفس اللحظة الأخيرة ،
 قبيل أن تبدأ الحيوانات فى العودة الى القرية ،
 استدارت الى الأفق وخارت بصورة تدعو الى الرثاء
 تبددت الغصون القريبة ، والعصافير والسنونو ، والأحصنة .
 والأغنام ، والمزادعون ،
 ليتركوها وحيدة ، وسط دائرة جرداء

انبتقت منها الكواكب اللولبية فى أعماق الفضاء ،
الى أن تلاشت البقرة نفسها ، هبطت ...
لا ، لا - أظن أنها كانت هناك فى القطيع ،
صامتة ، طيبة ، تشق طريقها فى الممر المعشب نحو القرية ،
والذى كان - فى تلك الساعة - يضى مصابيحها فى ساحات
تخفيها الأشجار .

انظر . شروق النهار .
الديك الأول يصيح من وراء الأسيجة .
يقظة البستاني : ربما يسند شجرة فى الحديقة .
وهذه الأصوات المألوفة الحميمية لأدوات العمال :
المجارف والمناشير ، حنفية مفتوحة فى الساحة ، شخص
ما يفتسل ، روائح التربة .
ماء القهوة يفل فى البراد ،
نسيج ناعم من دخان فوق السطح ، والأريج الدافئ للمريمية .
هكذا ، عشنا ليلة أخرى .

تعال ، ساعدنى فى رفع هذه الجرة التى تضم رمادى المزعوم -
فمشهد التمييز على وشك الابتداء .
سيعثرون فى على الرجل الذى ينتظرونه ،
سيعثرون على « الرجل الحق » ، حسب قوانينهم ،
ونحن وحدنا اللذان سنعرف أن هذه الجرة
تضم - فى الحقيقة - رمادى ، رفاتى الحقيقى .
ووسط احتفال الناس بالصنيع الذى قمت به ،
سيكون لنا - نحن الاثنين - أن نبكى على السيف اللامع ،
المجيد ، الدامى ،
نبكى هذا الرماد ، الذى كان - ذات يوم - لهذا الرجل ،
الذى يواجهه - فى مكان ما - رجلا آخر ،

وجلد وجهه الممزق يختفى تحت قناع من ذهب -
 قناع طاهر ، كريم ، وربما - حتى - مفيد ،
 فى شكله المنحوت الحشن ، كرمز أو تمثال ، كمخدر للشعب ،
 صورة للرعب من الطاغية :
 تدريب يدفع التاريخ الى الأمام -
 مهما يكن ببطء ، وخراقة - مع كل انتصار وموت متتابع ،
 لا بأدوات أى وعى جديد رهيب (غير متاح للجماهير) ،
 لكن من خلال بعض الأعمال الصعبة ، والايان السهل -
 ايمان صارم ، اجبارى ، وبائس ، معقود ألف عقدة ،
 حيث يتشبث به الكثيرون بأسنان وأظافر روح الانسان -
 ايمان جاهل يمكن - كالنملة - أن يجترح معجزات تحت
 غطاء الليل .

وأنا - غير المؤمن - قد اخترت هذا الايمان
 (طالما أنهم لا يختاروننى)
 لكننى أفعّل ذلك عن وعى .
 أختار معرفة وفعل الموت الذى يهذب الحياة .
 فلنمض الآن ، لا من أجل أبى أو أختى
 (لا بد أن يجرى الوقت لأودعهم) ،
 ولا من أجل الانتقام ، من أجل الكراهية ،
 ولا - حتى - باسم العقاب (من يعاقب من ؟) -
 ربما - فحسب - من أجل استكمال برهة وقت ما -
 ذلك - على الأقل - يظل اختياريا -
 ربما - فحسب - من أجل انتصار بلا معنى على خوفنا الأول
 والأخير ،
 أو من أجل نوع ما من « نعم » ، التى ستشرق غامضة ،
 بلا فساد ،
 فيما أبعد من كل منا ،
 على أمل أن تساعد هذه الأرض على التنفس .
 انظر كم هى جميلة ههناك فى الشرق .

يمكن أن تكون رطبة قليلا فى الصباح الباكر فى الأرجو -
والجرة مثلجة تقريبا ، تلتصق بقطرات قليلة من الندى
كان الفجر ذا الأصابع الوردية ، كما يقولون ، قد نضح عليها
دموعا ،

وهو قابض عليها بين ركبتيه •
فلنمض الآن •

فالساعة الموعودة قد حلت •

لماذا تبسم ؟ هل اتفقنا الآن ؟

أكان ذلك لأنك كنت تعرف كل شيء ، دون أن تتكلم ؟
هذه الخاتمة العادلة لصراع أكثر عدالة ؟

فلتسمح لشفتي أن تقبلا ابتسامتك هذه المرة الوحيدة
الأخيرة ،

الآن حيث لا يزال لدى شفتان •

فلنذهب بها • فمصرى الآن واضح لى •
هيا بنا •

(حينما وصلا البوابة ، تنحى الحراس كأنهم كانوا
يتوقعونها • فتح حارس البوابة العجوز الباب الكبير ،
مطاطئا رأسه فى احترام كالترحيب • وسرعان
ما تصاعدت - من الداخل - آهة ثقيلة لرجل ، تلتها
الصرخة المفاجئة الأليمة لامرأة • ومن جديد ، سكوت
عظيم ، لم يكسره سوى طلقات الرصاص المتقطعة من
الصيادين فى السهل ، وذكزقة الخضيرى والدورى
الطنان والشحرور والقبرات غير المرئية • طيور
السنونو تنعطف - فى حدة - على الجناح الشمالى
للقصر • خلع الحراس - بلا حراك - قبعاتهم ، ومسحوا

الشريط الجلدي الداخلي بأكامهم • وبعد لحظة ،
انثقت بقرة ضخمة تحت قوس بوابة الأسد ، وعيناها
الكبيرتان الساكنتان الفاحمتان تحدقان عميقا في
سماء الصباح) •

بوخارست ، أثينا ، ساموس ، ميسيناى
يونيو ١٩٦٢ - يوليو ١٩٦٦

١٨ غنوة عن الوطن المير

* إعادة تميميد

كلمات بائسة تلك التى تعمدت من جديد فى المראה والعويل
لتشمر أجنحة وتبدأ فى الطيران ، كطيور تبدأ فى الزقزقة .

أما هذه الكلمة ، الأكثر تفردا ، الكلمة السرية للحرية
فانها - بدلا من الأجنحة - تنبت السيوف وتمزق الريح اربا .

* حديث مع وردة

بخور مريم ، وردة بخور مريم صغيرة داخل شق صخرى عميق
أين وجدت الألوان لتزهري ، من أين الساق لتتماوجي ؟

داخل الشق ، قطرة قطرة ، أنسج الدم الذى ظللت ألمله
منديلا ورديا ، وألملم - الآن - الشمس .

* الانتظار

أصبحت الليالى طويلة طويلة بكل هذا الانتظار الذى لا ينتهى
حتى أن غنوتنا مدت لها جذورا وكبرت بطول شجرة .

وأولئك المقيدون فى أغلال من حديد وأولئك البعيدون فى
المنفى
يحاولون أن يطلقوا تنهيدة مريرة - فتنبت ورقة حور .

* الشعب اليوناني

كثيرا ما يواصل اليونانيون القتال بدون سيوف أو رصاص
من أجل شعوب العالم ، وخبزهم ، وأغنيتهم ، وضوئهم .

تحت لسانهم يحتفظون دائما بالعويل والهتاف
وإذا ما بدأوا في الغناء عنهم ، فستشوق أغنياتهم الصخور .

* طقس جنازى

الجد يقف في ركنه ، وعشرة أحفاد في الركن الآخر
وعلى المنضدة رغيف خبز ، مع تسع شمعات فوقه .

الأمهات يمزقن شعرهن ، والأطفال محتفظون بهدوئهم
ومن النافذة تنظر « الحريّة » وتنوح .

* فجر

عظيم في البهاء ومترع بالشمس ، الفجر الرهيف للربيع
لكن أين من له عينان لينظر اليك ، ومن هناك ليحييك .

في موقد البخور جمرتان وبضع حبّات بخور
وصليب أسود ، مرسوم بالبسنتاج ، على عتبة باب وطننا .

* غير كاف

متواضع وبليغ لكنه يرى بضع كلمات على الأرض
يظنها ظل طائر صغير وظل الأعصالي .

هل يعلن ذلك ، وما الفائدة ، فالسباب وحده لا يكفي .
آه، بلا عمل تتعلق بندقية المزينة في شجرة الكمثرى البرية .

* يسوم أخضر

يوم أخضر ، يتلألأ في الشمس ، منحدر جميل لتل منسوج
من أجراس و ثغاء الماشية ، من آس وخشخاش .

الفتاة تنسج أشياء المهر ، والشاب يجدل السلال
وقطعان الغنم على طول الشاطئ ترعى المالح الأبيض .

* طقس ديني

تحت أشجار الحور سرب طيور وقباطنة متمردين
يبدأون معا طقسا دينيا مع مايو الجديد .

الطابق الأرضي للوطن تضيئه أوراق الأشجار كالشموع
ونسر كبير يقرأ - من أعلى - الأناجيل .

* الماء

ماء قليل من الصخرة ، تطهر بالصمت
وبسهر الطائر ، وظل الدفلى .

يشربه المطاير في السر ويرفعون أعناقهم عاليا
تماما كالعصافير ، يباركون اليونان ، وطن الفقراء .

* نبات بخور مريم

طائر صغير ، وردى اللون ، مربوط بخيط نحيل
وبجناحيه الصغيرين الملتوين يرفرف تحت الشمس .

إذا ما نظرت اليه مرة واحدة ، فسيبدأ في الابتسام
وإذا ما نظرت مرتين أو ثلاثا ، فستنطلق في الغناء .

* فتيات نحيلات

فتيات صغيرات نحيلات بامتداد الشاطئ يجمعن الملح
ممرورات ، محنسات - لا ينظرن الى المحيط .

هناك فى الخارج ، شراع ، شراع أبيض أبيض يومى اليهن من
الزرقعة
وعندما لا ينظرن اليه ، ينقلب الى أسود من الأسى .

* الكنيسة البيضاء

الكنيسة البيضاء ، على المنحدر ، التي تواجه - مباشرة -
الشمس
تطلق الرصاص من خلال نافذتها الضيقة والقديمة .

وجرسها المربوط عاليا ، أعلى من أطول شجرة دلب
يستعد طوال الليل ليدق احتفالا بعيد « الشعب المقدس » .

* تذكّار

الشبان الشجعان سقطوا فى المعركة ، محافظين على رأسه
مرفوعة
لن يهال عليها الطين ، لن يمسه أبدا الدود .

الصليب فى عنقه كجنّاحين . وما يزال يندفع عاليا
ينضم الى نسور قوية هناك والى ملائكة من ذهب .

* هنا الضنوء

هذه الكتل الرخامية الناضجة البياض لن يلوثها أى صدأ قبيح
ولا يمكن ليونانى أو لريح وحشية أن تقيّد من كاحلها .

هنا الضوء ، هنا البحر - ومضات ذهبية وزرقاء فاتحة ،
وعاليا على الصخور ينطلق الدب حرا، محطما الأغلال الحديد.

* تزايد

كيف للبيت أن يبني ، من سيركب الأبواب في أماكنها ،
طالما أن الأيدي العاملة هنا قليلة ، والأحجار ثقيلة ؟

فلتصمت ، فالأيدي ستزداد - أثناء العمل - عددا وقوة
ولا تنس أن الموتى أيضا يقومون بالمساعدة طوال الليل .

* ضمان

صامتة هنا كل الطيور ، والأجراس أيضا صامتة
وصامت اليوناني المزير وجميع موتاه حوله .

وعلى هذا الصمت ، كما على صخرة ، يسن أظافره ،
وحده ، بلا مساعدة ، نحو حرية مضمونة أبدا .

* من أجل روميوسيني لا تبكوا

لا تبكوا من أجل روميوسيني : عندما يلتف على عنقها الطوق ،
والسكين تدنو من العظم ، على حافة الاحتضار ،

فهنا سوف تثب ، مبتدئة من اللا شيء ، الى القوة والعنفوان
وتطعن الحيوان الوحشي بشمس كأنها حربة .

———— أقواس ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ————

* معنى البساطة

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا على ،
وان لم تعثروا على فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدي ،
وتمتزج بصمات أيدينا •

قمر أغسطس يتوهج في المطبخ
مثل قدر مطلي بالقصدير
(أخذ هذا الشكل بسبب ما أقوله لك) ،
يضئ المنزل الخاوي والصمت الراكع للمنزل -
دائما ما يظل الصمت راكعا •

كل كلمة باب للقاء ،
لقاء من ليس في الحسبان ،
ذلك حين تكون الكلمة صادقة : حينما تتمسك باللقاء •

* جوع

انقضى الليل بفمه المليء بماء أخرس •
في الصباح ، أشرقت الشمس مبلولة على الخطوط المتعرجة •

• ظلال الوجنه ، ظلال الصاري ، الرحلات -
• رأيانهم واضحين - وجوعنا لم يشبع .

• كان شخص ما يصيح وراء الجبل ،
• وشخص ما آخر وراء الأشجار ، وآخر من جديد ،
• ومن جديد الامتداد الأقصى للقروب -
• أين يجب أن نجرى ، أى طريق أولا ؟
• هل يمكن أن نكون الأشخاص الذين كانوا يصيحون ؟
• والجبال تصبح أكبر وأكثر حدة
• مثل أسنان الشخص الجائع .

* وجه

• وجه صاف ، صامت ، وحيد تماما
• مثل وحدة كاملة ،
• مثل انتصار كامل على الوحدة .
• هذا الوجه ينظر اليك بين عمودين من ماء ساكن .
• وأنت لا تدري أى الاثنين يستحك أكثر .

* صيف

• النوافذ الأربع معلقة تنظم رباعيات
• عن السماء والبحر فى الغرف .
• شجرة خشخاش وحيدة
• ساعة فى معصم الصيف ،
• تعلن الثانية عشرة ظهرا .

وهكذا تحس يشعرك تقبض عليه أصابع الشمس
لترفعك حرا في الضوء الريح .

* وبما ، ذات يسوم

أريد أن أريك هذه الغيوم الوردية في الليل .
لكنك لا ترى . انه الليل -
فماذا يمكن للمرء أن يرى ؟

الآن ، لا اختيار عندي سوى أن أرى بعينيك ، قال ،
وبذلك ، لا أكون وحيدا ، لا تكون وحيدا .
وفي الحقيقة ، لا شيء هناك في الأعلى حيث أشرت .

وحدها النجوم تزاحمت معا في الليل ، متعبة ،
كهؤلاء العائدين - في عربة نقل - من نزهة ،
محبطين ، جائعين ، لا يفنى منهم أحسد ،
بزهور بريئة ذابلة في أيديهم العرقانة .

لكنني أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ،
لأنك إن لم تر أنت أيضا ، فكأنني لم أر -
سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك -
وربما ذات يوم ، من اتجاه مختلف ؛ سوف نلتقي .

* اكتفاء ذاتي ؟

الصباح الخاص حمل الشمس على ظهره
وهو يتسلى التلال الأتيكية
كشباب يحمسل أكورديونه .

- انقضت الليلة الأخيرة بمتعته ،
وبخوفها من متعتها •
انقضى أيضا ذلك الحزن الذي لم يأمل في انتهائه •
أشجار الصنوبر ، والشمس ، والنوافذ - هناك •
تحت الأشجار كرسيان • لماذا هما اثنان ؟
آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجلتيك •

* اتفاق نهائي

- عندما ضرب المطر زجاج النافذة بأحد أصابعه ،
انفتحت النافذة الى الداخل •
أهو صوتك ؟
صوتك تشكل في أذنيك •
وفي الطرف البعيد هناك وجه ، وصوت مجهول -
في اليوم التالي ، زحفت الشمس الى الحقول ،
مثل نزول الفلاحين بالمناجل والمذارى •
وخرجت الى الطريق تصيح ،
دون أن تدري علام تصيح ،
لتتوقف برهة وابتسامة تحت صوتك ،
مثلما تحت المظلة القرنفلية ، المشرقة
لامرأة تمشي بامتداد سياج حديقة •
هناك ، أدركت - فجأة - أنه كان صوتك الحقيقي
متوافقا مع كل الأصوات غير المتشككة
التي تملأ الهواء •

* اعسادة تشكيل

- ما تسميه سلاسا أو انضباطا ، شفقة أو لامبالاة ،
ما تسميه فنا مقلقا علي أسنان مطبقة ،

لتشير الى الصمت العذب للفسم ،
 وهو يخفى الأسنان المطبقة ،
 هو - فقط - الاحتمال الصبور للمعدن
 تحت المطرقة النافعة ،
 تحت المطرقة الرهيبة -
 هو معرفتك بأنك تنتقل من الاشكل الى الشكل .

* فحصة

ليلة هادئة ، هادئة .
 وقد توقفت تنتظر .
 كانت - تقريبا - آمنة .
 وفجأة ، لمسة على وجهك ، مفعمة بالحيوية ،
 من شخص غائب . سيأتي .
 ثم صوت المصاريع . وهي تنغلق بنفسها .
 الآن ، تتزايد الريح .
 وأبعد قليلا ، كان البحر يفرق في صوته .

* سيرك

سيرك ليل ، الأضواء ، الموسيقى ،
 العربات الوامضة بامتداد الشارع .
 عندما تنطفئ الأضواء في المنطقة المجاورة
 عندما تلقى الملاحظة الأخيرة كورقة جافة ،
 تبدو واجهة السيرك
 مثل طاقم ضخم من أسنان مستعارة
 آنئذ ، تنام آلات النفخ النحاسية في صناديقها ،
 وتسمع الحيوانات تخور على المدينة ،
 والنمر يحدق في ظله ، في قفصه ،
 يخلع مروض الحيوانات رداءه ، ويدخن سيجارة .

وبين حين وآخر تضيء المنطقة المجاورة
عندما تومض عيون الأسود خلف القضبان .

* أصيل

في الأصيل سبقت الجص كله، وحجارة سوداء، وأشواك جافة .
للأصيل لون صعب صنعتته خطى عجوز تعرج في المشى ،
وجرار قديمة مدفونة في الباحة ، يغطيها التعب والتبن .

قتل اثنان ، قتل خمسة ، اثنا عشر - كثيرون كثيرون .
كان لكل ساعة قتلها .
خلف النوافذ وقف أولئك المفقودون ،
والابريق المملوء بالماء الذي لم يشربوه .

وتلك النجمة التي هوت على حافة المساء
تشبه الأذن المقطوعة التي لا تسمع الجدادج ،
لا تسمع تبريراتنا - لا تنزل لتسمع أغانيينا -
وحيدة ، وحيدة ،
وحيدة ، معزولة تماما ،
لا تبالي بالادانة أو البراءة .

* فهم

الأحد . أزوار السترة تومض
مثل ضحكة متناثرة . الأتوبيس رحل .
أصوات سعيدة -
غريب أن تكون قادرا على أن تسمع وتجبب .
تحت أشجار الصنوبر عامل يتعلم العزف بآلة نفخ .
وامرأة قالت صباح الخير لشخص مائة .

صباح خير بسيطة وطبيعية
حتى أنك - أيضا - ستحب أن تتعلم
كيف تعزف بآلة نفخ تحت أشجار الصنوبر .

لا قسمة أو طرح .
كى تستطيع النظر خارج نفسك - دفء وسكينة .
لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » .
اضافة صغيرة ، حاسبة عملية صغيرة ،
سهلة الفهم ،
الى حد أن طفلا يمكنه حلها ،
وهو يلعب بأصابعه فى الضوء ،
أو يعزف بآلة النفخ تلك للمرأة التى تسمح .

* نسخة مصغرة

وقفت المرأة أمام المنضدة .
تبدأ يداها الحزینتان فى تقطيع شرائح ليمون نحيلة للشاي
مثل عجالات صفراء لعربة صغيرة جدا
مصنوعة لاحدى حكايات الأطفال .
الضابط الشاب الذى يجلس فى المواجهة
مدفون فى الكرسي القديم . لا ينظر اليها .
يشعل سيجارته .
يده التى تمسك الكبريت ترتعش ،
وهى ترمى بالضوء على ذقنه الرقيقة
ويد فنجان الشاي .

أوقفت الساعة دقتها برهة .
شيء ما تأجل .

موت اليرحمة • فات الوقت الآن •
فلنشرب شاينا • أيمن للموت ، اذن ،
أن يأتي في عريسة من هذا النوع ؟
يمر علينا ويمضي ؟
ويكون لهذه العريسة وحدها أن تبقى ،
بمجلاتها الصفراء الصغيرة المصنوعة من ليون ،
موقوفه لسنوات طويلة في شارع جانبي منعطف ،
وبعدها غتوة صغيرة ، وضباب قليل ،
ثم لا شيء ؟

✽ نساء

النساء بعيدات ، بعيدات •
تفوح ملاءاتهن بـ « تصبح على خير » •
يضعن الخبز على المائدة حتى لا تشعر بأنهن غائبات ؟
تسرك - آنشد - أنه خطأ •
تنهض من الكرسي وتقول :
« لقد بذلت اليوم جهدا شاقا » ،
أو « دعيه ، سأضيء المصباح » •

عندما نشعل الكبريت ، تستدير ببطء •
وتخرج الى المطبخ في احتشاد غير مفهوم •
ظهرها تل حزين ممزور ، مثقل بنوتي كثيرين -
موتى العائلة ، موتها ، وموتك •

وأنت تسمع خطواتها تفرقع
على ألواح الأرضية العتيقة ،
تسمع الأطباق تصرخ في الزف •
ثم تسمع القطار الذي يأخذ الجنود الى الجبهة •

* لوحة ثلاثية :

١ - الى أن حل الظلام :

أمسك بيدها في يده • لم يتكلم •
سمع بعيدا ، وربما داخله ،
البحر ، وأشجار الصنوبر ، والتلال كانت بيدها •
ان لم يقل لها ذلك ، فكيف يمكن أن يمسك بيدها ؟

كانا ساكنين ، الى أن حل الظلام •
وتحت الظلام ، لم يكن هناك
غير تمثال يدين مكسورتين •

٢ - امرأة :

تلك الليلة : وهي عشيرة المناء ، ثم تقبل أحدا -
وحيدة في خوفها من عدم وجود من يقبلها •
بخمسة أصابع من نجوم تفتقن جميلة تنزع بيضاء ،
وهي جميلة مثل انكار ذاتها الغائبة •

٣ - لماذا هو خطانا ؟

تحت لسانك بقايا رقيقة من سبك البريل ،
بلور عنب وألياف خوخ
في ظل رموشك بله دافئ •
يمكنني أن أتمدد وأسترخي بلا سؤال ، قاله •

ما الذي يعني ذلك الآن • هذا البعيد أماننا ؟ •
لماذا هو خطاك • فوق شك ، أن تظن وسط الأوراق -

جميلا ، بسيطا ، فى الشكل الذهبى لحرارتك ؟
ولماذا هو خطتى أن أمضى قلعا فى الليل ،
سجين حريتى ، قال ، أعاقب المعاقب ؟

* مفسرة

موسيقى ليلة سبت بائسة
تأتى من مدرسة الرقص المختلطة .
موسيقى بائسة ، مثلجة ، بأحذية خشبية -
فى كل مرة ينفتح الباب غير المظلي
تندفع الموسيقى خارجة الى الشوارع ،
ترتفع تحت الضوء - فى الركن ،
تحلق فى نافذة عالية أو فى الليل ،
ثم تهبط بنظرتها الى الطين ،
باحثة عن شيء ما ، منتظرة شيئا ما ،
كان شخصا ما مريض . وأبطأ الطبيب فى المجيء اليه -

موسيقى بائسة • برد •
لا أحد يفتح نافذة ليقيم لك قليلا من الضوء ،
أو بعض الزبيب الأسود ،
ليقول لك : اننى أذكر - منذ عشرين عاما أو ثلاثين -
بعض الأصوات من عربات قديمة فى المطر ،
مشهدا طبيعيا ضبابيا مرسوما على نظارات «تيلوس أجراس» .

لكن الأحذية طينية ومليئة بالثغوب ،
الأزواج يهربون الى الشوارع - لا يسمحون -
رجل يتوقف بجوار النافذة ،
لا يسمح لك -

- يلصق شيئا ما بالحائط .
- والسكين وحلها على المائدة فكرة ، ومضة ضوء .

موسيقى بائسة ، ان استطعت أن تتوافق
• غلتأت عبر فتحة ابط الجوار .

* نفس النجمة

- الأسقف تلتح - مبلولة - في ضوء القمر .
- النساء يتدثرون بالشيطان .
- يندفعن ليختبئن في منازلهن .
- واذا ما ترددن قليلا على العتبة
- فسيمسك بهن القمر صارخا .

ذلك الرجل يشك في أن كل امرأة
بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة في عريها -
• تقريرا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ .
• تستغرق في النوم وهي تتشمس نجمة .

- ويستلقي يقطانا وهو يتشمس نفس النجمة .

* نتيجة

- هذه النافذة وحيدة .
- هذه النجمة وحيدة .
- كسيجارة منسية على المنضدة -
- تدخن ، تدخن في الزرقة ، وغيدة .

• وأنا وحيد ، قال
أشعل سيجارتي ، أدخن
أدخن وأفكر • لست وحيدا

* نتكلم

يبطء يحل الظلام حولنا • لا نستطيع النوم •
ننتظر الصباح • ننتظر الشمس
أن تضرب صفيح السقيفة مثل شاكوش ،
أن تضرب جباهنا ، وقلوبنا ،
أن تصبح صوتنا
وأن يصبح الصوت مسنوعا -
صوت مختلف
لأن الصمت مليء بطلقات البنادق من أماكن مجهولة •

* هل تستطيع ؟

رايناه يركع في أقصى الأوضاع عبودية ،
ينفخ تحت القدر النحاسي الضخم
ليطعم النار باستهلاك ناره •
نافذ الصبر ، وهو ينفخ بقوة ،
يكبحه جلده ، عاجزا عن التلاؤم داخله •

ارتعش الضوء في الأفق
عندما انفتحت عروقه وانفلقت •
من نبضه انتفخ لحاء الكروم
ودفع الأوراق الجديدة مدومة بلا حركة •

هكذا ، منحنيًا ،
أنفق نفسه من أجل أنه تظل منتصبين .
أنت وأنا ، دون أن يفكر في مرة واحدة
أننا مدينون له ، ذات يوم ، بشيء .
كيف - اذن - يمكنك أن تظل منتصبًا على الأبد ؟

✽ الشكر

لن نقول شكرا لـ ،
مثلما لا نقول شكرا لدقات قلبك
وأنت تمنحت وجه حياتك .

لكنني سأقول لك شكرا
لأنني أعرف ديني لك .

هذا الشكر هو أغنيتي .

★★★

— اقواس ١٩٥٠ - ١٩٦١ —

* نقاعة الطفولة

فلنخلق أعيننا برحة

ليمكننا أن نسمع الأم وهي تفسل الأطباق في المطبخ

ليمكننا أن نسمع السكاكين والشوكات وهي تسقط في
الدرج

ليمكننا أن نسمع حفيف ثوبها في الممر

وابتسامة السيدة العذراء تطوف بحاجز الأيقونات •

في الغد لن نكون مرضى بعدة • انظروا في الترمومتر •

ما يزال دافئاً من إبطنا •

أبانا الذي في السماء

فلتقل لابنة عمى الصغيرة أن تأتي غدا

كي نستطيع أن نقوم بنزهة قصيرة في الغابة مع الأيل •

سأجمع لوزا طازجا لها •

أيل أزرق سيأتي ، يا أبانا ،

لنستطيع النوم

أيل أزرق أزرق

يا أبانا

الذي

في السماء •

✽ تسخير

- متأخرون دائما • وساعتنا أيضا مخطئة • بطيئة •
- نبحث عن مقعد في الظلام ،
- مثل تلك المرة في نهاية المسرحية
- - مر وقت طويل من العرض -
- ونحن نسقط على ركبنا في المشي وفوق المساند الخلفية •
- وفجأة يضيئون الأنوار وسط التصفيق •
- ونحن واقفون ، ما نزال نبحث ، كأنهم يصفقون لنا
- نحن من لا نستحق •
- انتهينا الى أول مقعد
- ونحن ندوس على أقدام عجوز قبيحة •
- لم نصرخ •

✽ تبديد

- بددنا نظرات ، وكلمات ، وحركة •
- في الظهيرة سنحلق - نحو البحر - في خسارة ما
- بين أصوات زيز الحصاد ، بين الأوراق -
- نظرات مبعثرة كي لا نرى ما بأيدينا •
- في المساء أخفت العمة ظلالنا المتناثرة •
- مقعد خشبي ، طويل ، ضيق
- مع قمصان رياضية ليست للبيع
- منتصب خارج الطريق في الميدان المجاور •
- فاح الميدان برائحة شموع منطفئة •
- ما من ذريعة أخرى لنا
- غير الاستماع الى فواق نجمة خلف البساط •

* نصيب الانتساب

أيا ما كان ما تمسكه في يديك
بكل هذا العرص ، بكل هذا الحب ،
مهما كان - يكامله - ملكا لك ، يا رفيقي ،
فعلبك بالتخلي عنه
ليمكن له أن يصبح ملكا لك .

* حنان منسى

كانت الجدة امرأة طيبة ، كانت هادئة ،
بجانب عينيها كانت هناك تجاعيد دقيقة كثيرة
كتجاعيد مفارش الشاي المطرزة بعناية .
كان لها أيضا قلب خفيف
مثل حقيبة صغيرة ملأى بالقطن .

• رحلت الجدة .

ربما ذهبت لتغزل قطنها على حافة مستوقد الليل العظيم .
لكن كيف أمكن للجدة أن تخرج من المنزل ، وفي المطر ،
بل وحتى دون أن تأخذ شالها الصوفى ؟

• الفتاة الصغيرة تبكى في كرسى المدخل .
المطر الخفيف يبكي أيضا على سلالم كنيسة « الكومينوس » ،
لم يبك أصغر الأحفاد ، وهو يرى كم هو جميل
أن يبكي المطر والسلالم والكرسى والفتاة الصغيرة جميعا
على الجدة الصغيرة التي تنسج الآن صوفها الخفى .

* كسبل

جلس وحيدا في ظلام الغرفة يدخن .
ما من شيء كان يرى .

ومضة سيجارته وحدها تحركت ببطء ، بين الحين وآخر ،
ياحتراس ، كأنه كان يطعم فتاة مريضة يملقة من فضا ،
أو كأنه كان يداوى جرح إحدى النجيات بصمغ صغير .

✻ أيدى

كثيرا ما تشبه الأيدى الوجوه أو الأجساد بكاملها .
هذه الأيدى تبقى كسولة فى الربيع المبكر ،
تطس ، تكج ، تشكو ، تصمت ،
كعجوزين على كرسيهما ، وأزرارهما مفتوحة ،
بعضائهما التناسلية الذابلة فى الشمس .
فى المواجهة ، امرأة ترضع طفلها .
ويداها ، برغم سكونهما ، عداوان غاريان
فى حلبة شاسعة من رخام .

✻ تقويم مكتسب

شهور على شهور ، أسابيع ، أيام - عام غير معروف .
أبريل بنظارات قصر النظر على دكة الحديقة .
يوليو يمنعك من النوم وحيذا .
سبتمبر يتذكر المنازل المقلقة -
وردتان من ورق ومشط بأسنان كبيرة على المنضدة .
فى نوفمبر يحمل رجل ما حجرا على ركبته .
يناير ، فبراير - الجميع ذهبوا الى الخارج
ملاحح اليأس من الريح
فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المفلق .
ثم تظهر خادمة النهار الضامطة فى الفجر
بمسحة كبيرة لتنظيف النوافذ .

* ليل

الليل يعريك • يداه توتعشان •
عاريًا تمامًا ، يلتصق جسديك في الظلال •

ذلك الضيف الحكيم الذي اعتصر رقابنا
ينقسم فجأة نصفين
كبيضة مسلوقة تنشطر بسكين •

* نقطة

حدير عميق يطن حول كل نجمة •
قوة ما سرية ، مخزنية
أعتمت الأشجار •
نقطة الجذب الوحيدة في العتمة :
دوائر ضوء ملئة دقيقتين ،
وركبنا المرأة الصامتة •

* التمساح

لا أريد أي شيء ، قال •
انه يشبه ذلك تمامًا •
فما يرى طوال الخريف كله
غير النوافذ المغلقة لبنت المسكين •

ذلك الحبل الذي استخدموه في ترويض الحصان
مرمى الآن وحيدًا حول جذع الشجرة •

* الوحيد

ذلك الذي توقعوه - لبعض الوقت - لم يحدث
في الشرفات ، أنزلوا الأعلام
الجدان تفوح - بقوة - بالغربة
السند الوحيد - الآن - هو الاقتدار لأى تبرير

* نفس الشوكة

وقب الليل فى مواجهتنا ،
تماما كواجهة لدار أيتام من طابقين ، مغلقة النوافذ
فى اليوم التالى ، أخرجت امرأة - تحت الأشجار -
شوكة من باطن قدمها -

نفس الشوكة التى ندوسها كل يوم

* مؤكّد - غير مؤكّد

العالم سلسلة طويلة من أغبان
عليك أن تغنيها ، قال
العالم شجرة ملأى بفاكهة
لا يقطعها غير سيف

السيف يقطع الأغنية
والأغنية تشلّم السيف
فما الذى تختار ؟ قال
كيف يمكنك الاختيار بين ما تم اختياره بالفعل ؟
العالم أغنية عميقة مغلقة

* ألقى لم يرقص

حرك أصابعه الضخمة على المنضدة
كانه يغمسها في نهر • لم يتكلم •
وجهه مصبوب في حديد •
أحس يصهيل حصان أحمر
يحطم داخل غرقات مبتوته •
لم يرقص • رمى بعملات كبيرة ، غليظة
إلى عازفي الكمان كي يرقص الآخرون •

* تخطيط

يحل الظلام • والنساء الفقيرات مازلن ينتظرن في طابور أمام
المخيز •
الشعراء ينتظرون في طابور أمام القمر الجديد ،
حتى لو كان العشب المعزول على حافة الطريق
لا يسمح بإية فائدة بالمرة •

أتوبيس مر • أضيئت الأنوار •
كم تحدثنا - ببساطة - هذه الليلة •

* صوت الصمت

ليل • لا صوت أبداً •
مدبر القضاء وحده
وذلك القمر الشفاف غير المجدد
والذي ظل ضوءه بلا شكل ويجرحه •

* علامة

أحيانا ما لا يكون في الغابة كلها غير شجرة وحيدة
تهتز أوراقها جميعا ، بلا أية نسمة أبدا .
وفي الحال تتحول الى شكون وخامن من جديد
مثل شمعدان غير مضاء في قلب الليل
يقطع أنفاس الرعاة والأحصنة والنجوم .

* في أطلال معبد قديم

حارس المتحف كان يدخن أمام حظيرة الغنم .
كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية .
وفي الأسفل البعيد كانت النساء يفصلن في النهر .
وكان يمكنك أن تسمح طريقة المطرقة في ذكان الحداد .
صغير الراعي . جرت الغنم اليه كان الأطلال الرخامية كانت
تجبري .
والقفا الغليظ للماء التمع بالبرودة خلف أشجار الدفلى
نشرت امرأة غسيلها على الشجيرات والتماثيل -
نشرت سراويل زوجها الداخلية على أكتاف هيرا .

الفة ضاممة ، ساكنة ، غريبة - عامما بعد عام -
على الشاطئ الأسفل ، مر الصيادون بسلال عريضة
ملأى بالسك على رؤوسهم ، كأنهم يحملون
ومضات ضوء طويلة وضيقة :
ذهبية ، وردية ، بنفسجية -
موكب شبيه تماما بنفس ذلك الموكب
الذي كان يحمل وشاح الرية الطويل المطرز بشرف ،
الذي قمنا به في اليوم الآخر
لنصنع منه مناشير ومغارش لمنازلنا الخاوية .

* جريسة *

- منحدر التل يتغطى بأقماع الصنوبر وأشواك الصنوبر .
- في القمة توقفتنا لنستمع الأسفل
- الوهد يهدر بأشجار البلاذرة في البعيد
- مع التعيب الوحش للطيور والأنهار
- والشكوى المزققة الخافتة من طائر أسود
- نقشت المساء المتجمد فوق الهدير العظيم .
- هنا تزاوجت الأحصنة المتعجرفة، دون ارتباط بحب أو أبوة -
- الأفق سهيل بلا حدود
- وفي الأعلى هنا ، لا يحقق البركوع أى غفران .

- روح الجبل ظلت ساهرة - في عناد - على المعرفة والجهل
- بالموت ،
- شامخة بكبرياء الحاضر غير الهادف . غير المحجود .
- فوق الكانتين النجوى سيمنا ،
- مثلما فوق حنوت طبوله هجنسدة .
- الأصابع المقتحمة للبرد الهائل .

ساموس - ليكا : ١/٧/٩٥٨

* بغيود *

- حدث في الصباح من خلال الخافتة .
- أحسن أن الزرقعة تزحف - بالضغط - على جثة الطائر
- أو القيمة .
- ارتاب في أن نفس الأحصانيات بالتمس رائحة حبة نخل الشجرة
- أضنا .

والدخان تصاعد من المداخل كأنه يعترف
بسر الحرارة في الغرف التي كانت ما تزال مغلقة .
على هذا النحو ، كل صباح ، تلحن كل البيوت .
والرجال ، وهم يخرجون مبكرين الى العمل ،
يشعلون سجاثرهم على العتبة ،
كانهم يتذكرون الها مجهولا ، ملكهم تماما ، ولا يبلغه أحد .

✽ نكابة

مرت الليلة مظلمة للغاية .
ركضت في الريح صرخات هائلة .
في اليوم التالي ، لم نتذكر شيئا .
كانت هناك فجوة عميقة باقية في الزمن .

هناك حيث أوى الذئب ،
كان أخدود يتغطى بشعر ذئب دافئ .
الآن يمكن للأغنام أن تستلقي هناك .

✽ أحداث جارية

صخف ، ثورات ، استنكارات ، اكتشافات ، زيجات ، ميثات ،
عرق ، غبار ، ظلام ، صيدليات طول الليل ،
سلم يرتفع في تهور ، سرقات ، جرائم ، ظلم ،
بغايا ، كلاب ، سباسة ، سجون ، رطوبة ، سكارى ،
عميان ، متسولون ، جيتار ، الشجرة ، المشنوقون ، عمود
الانبارة .

نجمة بين مليختين طويلتين . شكرا .
لقد تركت المفتاح في نفس المكان الذي تعرفه .

* ربيع

جلسا فى الحقل فى مواجهة بعضهما ،
خلعا حذاءيهما ، وباطن قدميهما - العاريان هكذا
تلامسا فى العشب الطويل • وبقيتا •

* اكليل

كان وجهك مختبئا فى الأوراق •
قطعت الأوراق واحدة واحدة لأقترب منك •
عندما قطعت الورقة الأخيرة كنت قد ذهبت •
فضفرت من الأوراق المقطوعة اكليلًا •
لم يكن لدى من أهديه له •
فعلقتة على جبينى •

* صور جانبية مسائية

ما تزال يداها صغيرتين ،
معذبتيں بالتوقع وبالزمن المضاعف ،
شاحبتين على ثوبها الأسود •
كانت تجلس وحيدة فى الباحة ،
تحقق - فى عزلتها - فى المراكب التى تتلاشى •
فجأة ومض الغروب على خاتمتها
كما على نوافذ قرية عاليا فى التل •
آنثذ ، غطت الخاتم - فى حنان - بيدها الأخرى ،
أغمضت عينيها أولا ، ثم ابتسمت •

* تعبير الغريف *

- الرطوبة الهائلة بدأت • رحل المصطافون •
- بهتت الآن علامة الفندق ، صفراء
- مع الاسم بالأزرق ، معلقة تحت غيمتين •
- عاملة النظافة ستمر بها يبطء في الصباح
- في طريقها الى غرف المتزوجين حديثا ،
- يستأثرهم المسدلة وشبابيهم ما تزال دافئة تحت الأسرة •

* وسالة *

- السمكري في الأفول على السلم •
- باطنا قدميه عريضان •
- أنابيب موقد التدفئة تلمع على الأرضية
- مثل سيقان أشجار في غابة فضية •
- عاليا هناك ، في مواجهة الحائط ، يشعل سيجارته •
- مطرقة تدق وسط شرارات حمراء صغيرة •
- ما الذي تفعله في موقد تدفئة هذا الوقت ؟
- فالآن ، سيحل الصيف في أي يوم هنا •
- والدجاجات بدأت - فعلا - في وضع بيض أزرق قوى
- بجوار برميل النبيذ والمحراث •

* ثلاثية *

- وهو يكتب ، دون أن ينظر الى البحر ،
- يشعر بأن سنن قلمه يرتعش -
- انها اللحظة التي تضاء فيها المنارات •

* الليالى والتماثيل

- ترحل الليالى بخطوات واسنة
- ذلك هو السبب فى أن أجمل التماثيل
- تقف مضمومة القدمين

البعيد

* بيظه

قسنا المكان ، ألقينا بالميت فى الجير ،
بعد ذلك اعتلينا القارب تحت أوهى الأقمار ،
الرابع حمل الصندوق الحديدى على ركبتيه
تكور على نفسه
كانه يستمد حرارة من نار سرية داخله .
والدخان ظل خفيضا فوق الماء ، لم ينقشع .

* هبوط

« ايوريديس » ، نادى . نزل جريا على السلالم .
لم يكن هناك ضوء فى صالة المدخل .
بحث بيديه عن المرأة .
وفى الطرف البعيد كانت المرأة ذات المظلة الصفراء ترحل .
المرأة الثانية فى الطابق الأرضى زعقت فيه : « لقد ماتت » ،
والطيaron الثلاثة خرجوا من المصعد بدولاب كبير -
داخله كانت يداها المقطوعتان ومخطوطاتي .

* حوار قصير

اشتعلت السماء وحيدة خلف البيوت .
لماذا تبكين ؟ ، قال ، وهو يثبت حزامه .

العالم جميل ، ردت ،
جميل جدا يمثل هذا الصداق القطيع ،
والسرير حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل .

* لأن

لأن الأتوبيسات قد توقفت أمام السياج
لأن الدمى في نوافذ الدكان المضاء أومأت لي
لأن الفتاة ذات الدراجة توقفت خارج الصيدلية
لأن النجار حطم الباب الزجاجي لقاعة البيرة
لأن الطفل كان وحيدا في المصعد مع قلم مسروق
لأن الكلاب هجرت فيلات الشاطئ
لأن المبشرة الصدئة قد تقطعت بالقراص
لأن السماء كانت رمادا به سمكة حمراء
لأن الحصان على الجبل كان أكثر وحدة من النجمة
لأن هؤلاء وأولئك قد تم اصطيادهم
بسبب ذلك ، بسبب ذلك وحده ، كذبت عليك .

* اكتمال تقريبا

تعرفين أن الموت غير موجود ، قال لها .
أعرف ، نعم ، أننى الآن ميتة ، ردت .
قميصاك تم كيها ، فى الدرج ،
الشيء الوحيد الذى أفقده هو وردة صغيرة .

* عرض غزلى

كانت المرأة ما تزال ممددة على السرير .
أخرج عينه الزجاجية ، ووضعها على المنضدة ،
خطا خطوة ، وتوقف .

هل تصدقيني الآن ، قال لها •
التقطت العين الزجاجية ، قربتها من عينها ،
نظرت اليه •

* حمى

ميادين صغيرة فى حركة دائبة ، والواحد يخترق الآخر ،
الواحد يخرج من الآخر : مبنى ، خرابة ،
مدينة من نوافذ فوق نوافذ ،
فى اليمين واليسار ركنان ينتصبان بلا اتساق ،
وفى الوراها تماما ، بلا ضوضاء ، الانهيار العظيم وسط حركة
صامتة ،
بينما الكلاب المهزولة الثلاثة تزداد ابتعادا فى الميادين المتتالية
التي تفوح برائحة موتى غرباء عند سلالها الكبيرة فى الطرف
البعيد ،
هناك حيث المرأة ترفع - عارية - الأرنب المسلوخ أمام مرآة •

* الرجل ذو الذراع الواحدة

أربع مناظير مستديرة ، عارية بطول الصالة الضيقة الطويلة،
يضربهم الضوء مثل رماد، يهطل من النافذة البللورية الكبيرة،
بحوار المنضدة الثانية ، دون انفصال
وقف الرجل ذو الذراع الواحدة ، معاديا تقريبا ،
ذراعه كانت حمراء كلها ، وكان يحمل كتابا برتقاليا صغيرا -
المسألة كلها أنسا لم نعرف أبدا ما الذى سيجرى •

* شكرا

سمعت صوتك وهو يقول : شكرا
(بطبيعية بكاء ، غير متوقعة) -

كنت على يقين الآن :

• أن جزءا كبيرا من الأبدية قد أصبح من نصيبك •

* خطوات واسعة

- استلقى السكارى ، وغرقوا - حالا - فى النوم •
- واجع الحسابات ، أطفأ النور ، وذهب الى الحديقة •
- أحس - تحت حذائه - بطراوة البرعم الدائرية •
- أيها البعيد ، أنت المنسى ، بلا سياج ، أيتها النبوءة •
- قطرة من نبيح قمر سرى على ورقة واحدة •
- وفجأة تضاء النوافذ السبع كلها خلف الأشجار •
- السكارى ، وهم يقفون على الأسرة ،
- يعرضون لبعضهم بعضا انتصابتهم •

* فى السر

- سمعهم ينادون باسمه فوق الماء •
- تأكد أن ذلك كان من أجله • اختبأ •
- خرجت سفينة ضخمة مضاءة بصورة ساطعة من الميناء •
- على المعبر المرأة ذات القبعة - مزركشة ضخمة •
- حجبت عن الرؤية البرج المعتم ، والقمر ، والسقالة •

* وضع مريب

- شاحب ، شاحب للغاية ، فى شعره أشواك -
- أشواك حتى كتفيه ، حتى خصره ، حتى باطنى قدميه -
- ربما كانت بالفعل أجنحته ،
- لأننى ما ان نظرت - مرة ثانية - ناحية الباب ،
- لم يكن هناك سوى دخان قليل مكان المطرقة •

* متلبس بجريمة

صوب كشاف الضوء - مباشرة - الى وجهه ،
فلنره ، وهو مختبئ على هذا النحو فى الليل ، ونجعله يحمر
نجلا ،

له أسنان جميلة - ويعرف ذلك ، يتسم
والقمر الصغير فوق التل المقصوف بالقنابل ،
وأطفال الخطابين فى الأسفل عند النهر .

* مع ما يتحذر بلوغه

بعيد جدا جدا - ولهذا منيع أيضا - قال ،
لكن لا أحد بعيد بما يكفى ، لا أحد بقدر ما يريد
بقدر ما يستطيع أو ما يجب .
يربط رسفه بمنديله
أبكم ، لا ايماءة واحدة ، لا أحمر ولا أسود ،
منديل أبيض : الأبيض الأكثر كثافة ، والأبعد .

* فجر

ظلمة أرضية عميقة حتى النهاية .
أضيئت نافذة واحدة -
ماسة خضراء كبيرة مسروقة .
السماء بيضاء تماما ، عارية تماما .
أيها الفجر السرى ، قال -
جلد أبيض منقوش بمسام حمراء ، حلم ،
حلم مندمل ، وندبتك أكثر بياضا فى معابدنا .

* مع الموسيقى

خزانات كثيرة ، دواليب كثيرة ، والكمان مرمى على السرير ،
 الأسود والأبيض في معينات متزاحمة متقاطعة
 والعجوز الشمطاء الأولى ذات العجيزة المشوهة ، السمينية
 وزهور وسجائر ولؤلؤة عمياء
 وزخرفة صغيرة موشاة بالذهب على البيانو -
 في الدخان طفت الأيدي النبيلة ،
 اللوريات المحملة بالامدادات العسكرية قعقت على طول
 الممرات السرية ،
 وأنت تجلس على الأرضية تقشر الفول السوداني
 و « بام » و « يوم » ، والموتى يعيدون في الداخل ، يعيدون في
 الأعلى .

* الأعداد للاحتفال

خطأ ما حدث في الاحتفال الذي كانوا يعدونه لي .
 صعدوا وهبطوا السلالم ، تصادموا في الممرات .
 والشمعدانات الثلاثة ظهرت في الصالة الكبيرة .
 فوق المنصة تلتهم أكواب الماء .
 يقدموننى .
 أستحث قدمي ، أتفحص نفسي بيدي ، اننى ضائع .
 وإذا ما حاولت نزول السلالم ، فسيقبض الحاجب على .

* أرق

الترديد الدائم لنفس النص المستغلق -
 في أعلى الجريدة الثقب الصدى من المسمار ،
 في الأسفل قطرتان من دم أسود -

الاثنان - قال - الاثنان ، الزوج ، الصوت المزدوج ، المعنى المزدوج .

- متعب من الأبواب التي تفتح وتغلق مع الموتى والنساء .
- ليفترس يسرع بالذهاب قبل أن يبدأ المطر .
- عاد - بعد ذلك - بالبطانية المبلولة والقبعة التي تخص الشخص المشتوق .

* مقياس مصغر

- تكيف سهل للجسد في كل أوضاعه ، كل ساعة ،
- في كل اضاءة ، هو نفسه مع الأثاث .
- الباب الأخضر في مكانه الأيمن .
- شعرك يسقط بكثافة أكبر من رموشك .
- لم أهتم عندما تأخرت .
- الطائر الثاني قال ما قاله الأول .
- لا أحد يحمل مفاتيحه الخاصة .
- مازى ، وكأنها عارية لا ترى بعد موتها ، تشعل الكبريت .
- وخلال برهة صوت الانفجارات في الضاحية السفلية .

* في اتجاه السبب

- الصوت العميق سمع في الليل الأعمق .
- ثم مرت الصهاريج . ثم بزغ النهار .
- ثم سمع الصوت من جديد ، أقصر ، أبعد .
- كان الحائط أبيض . الخبز أحمر .
- السلم استند - عموديا تقريبا - على عمود الاضاءة القديم .
- المرأة العجوز للممت الصخور السوداء واحدة واحدة في حقبة من ورق .

* اعادة ترتيب

- كل منهم يحمل ميتة أو أكثر على ظهره .
- طريق بعد طريق ، صخور ، عوارض خشبية ، شجرة محترقة .
- شخص ما أنزل المصباح ، الخبز على جذع شجرة .
- الى أين تحملون الموتى ؟
- لا أرض هناك في هذا الطريق . لا عشب ينمو .
- طوال شهور ثلاثة لم نفلح الا مع بذر الخروب وحده ،
- والذاكرة تنفذ .
- ان لم يكن للموتى أى أرض ، فليس لنا أيضا أى أرض نقف عليها .
- آنئذ أشعلنا النيران الهائلة ، وضعنا العجوز على الصخرة ،
- خلعنا أحديتنا ، ونحن نجلس هكذا على الأرض
- قسنا أقدامنا اثنين اثنين ، وباطن القدم يواجه باطن القدم .
- قوسطنطين الشاب ، صاحب أكبر قدم ، هو أول من رقص .

* هجوم

- شوينيا البطاطس في الجمر . وفيما كان الملح ما يزال بين أصابعنا
- سمعنا الصراخ في الساحة ، بالقرب من البئر .
- حسنا ، قال ، فلنرحل عبر السياج الخلفي . خذوا البطانية .
- قمر زائف من نافذة الى نافذة ، من سطح الى سطح ،
- والمرأة في دولاب الملابس خائنة ، ذات عينيْن معصويتين ،
- أبعد في الداخل ثياب الميت معلقة والتذاكر التي لم تستخدم في الجيوب .
- انفصال صامت عن مخاوفنا وعن أحلامنا المريرة .
- والتمثال الموجود في المدخل يهذى . وجهه مضرج بالحمرة من شيبه .

- تم صوت الكلاب وهى تنبح
- بذلك ابتعدوا
- عبروا النهر

✽ تسبب ما

- ربط الحبل بالشجرة • لم يربط أى شىء بالحبل ،
- تركه مرميا على الأرض
- لهؤلاء الذين يقفزون الى النهر فى الصباح
- لهؤلاء الذين يقفزون من سطح الى سطح فى الليل -
- شىء ما سيسقط من جيوبهم ، مهما كانت محمية تماما ،
- وسيعثر عليه كناسو الشوارع فى اليوم التالى
- والأوامر ستكون قاطعة : عليهم تسليمه -
- (فداثما هناك حاجة لشيء ما عام ، فى النهاية)

✽ الجانبان

- حفنة عظام وقطعة من حديد صديء •
- كانت المرأة تجمع الخضر فى الحقل -
- وساقاها مكشوفتان الى أعلى من كل ناحية ،
- فى الخلف ، يحرس الكلب الطفل تحت الشجرة •
- وما ان حل الظلام حتى عدنا الى المدينة ،
- توقفنا أمام المنزل الأحمر ، نظرنا عبر النافذة المنخفضة •
- كلاهما على المائدة ، بجوار المصباح ،
- أطباق العشاء ، حركات بطيئة - ضغينة صامتة •
- يقف الثالث فوقهما بسكين ، يقشر تفاحة •
- فى تلك اللحظة التفت وقال : دائما ما ننتهى بنفس الشىء •
- ربما كان يعنى بذلك الخطيئة الأولى
- أو نسيانه لمشطه فى حمام شخص آخر •

* اليوم التالي

أعمدة اضاءة ساقطة ، وشجرة - الضوء ينتشر من أسفل ،
 الطريق الثانى بمحاذاة البالوعة .
 جاءوا بالأوناش ، ورفعوا الأتوبيسات - لم يكن خطأنا ، قال .
 ووسط الدروب كانت المرأة العجوز تجمع أزهار اليايونيغ .
 عثرت على ساعة النائب العام ، زلقتها فى معصمها -
 أظن ، يا بنى أن الموتى لا يعرفون الغضب ؟
 انهم يقتاتون الحديد والأبواب والصخور -
 آنئذ ، صاح فانجيليس ، أعلى الجدار الباقى -
 انهم لا يستطيعون استيعاب الكلمات -
 أخرج الآخرون الأعلام من تحت قمصانهم
 ومضوا نحو الفارس البرونزى -

* شروق شمس الشتاء

ما حدث هو أننا تطلعنا الى كلا الاتجاهين -
 سقط الزمن فى توازن ما -
 المرأة الداخلية والشجرة وكشك المحارب القديم المعلق -
 ساعة بعد ساعة
 المجلات والجرائد الملونة -
 المرايا ، دخان ، هؤلاء القتلى ، الوهباء ،
 هذا التجهيل المعتم ، والحوائط المقابلة : مضاعفة -
 متعة ، صرخت المرأة ، متعة حمراء ، بأظافر حمراء ،
 جسد أحمر مذبوب ، والملاءة تتدلى الى الدرج الجبرى
 والشبان الثلاثة المتأنقون ، المترابطون كتفا يكتف
 (الأوسط منهم تمثال)
 يتمشون - على مضض - فى اللامبالاة المضيئة للبحر -

* متوقع وغير متوقع

- ذلك ما لا يحتاج ولا له - حتى - أى علاج .
- قمر ناقص ، ساكن يخرق الحائط باصبع واحد .
- من الداخل ، فتشت المرأة عن تأكيد فى وجوهنا .
- وكنت تجسّد فى مكان آخر .
- طرّقوا الباب - فتحت له - لم يقولوا أى شيء .
- حدّقوا فِينَا كأننا كنا الأشخاص الذين ارتكبوا خطأ ما -
- ورحلوا .
- وعلى الدرج الأسفل تركوا المسامير الثلاثة الأخرى ،
- والشاكوش والقسيمة .
- فى الحديقة ، تحركت فضة قمر ما خلف أذن التمثال .
- وسمعت .

* الأكثر كفاية

- يمكنك أن تستكمل بسهولة أكبر -
- فيكفى ألا تريد الاقناع أو الخداع .
- وحيدة وحيدة الطيور والأطفال والموسيقى والسرير والستائر .
- المرأة المريضة تعالج بالكى .
- ذبابة أخيرة متاهية - تقريبا - للبهوت
- تتجول على امتداد الملاة الدافئة .
- وهناك سلسلة سرية من ميمات فاترة وراء موتنا العادى ،
- وراء تماثيله الرصينة المجيدة ،
- خلال تلك المعجزة الطافية ،
- خلال ضوء هذه المرأة التى تعرف كيف تعكس
- (منها كان الزيف والتشظى) مجد الجسدين العاريين .

✽ بعد كل صوت

نبحث مرة ثانية وثانية - من البداية - عن تلك النعومة المطلقة ،

عن تلك الاستدارة العميقة -

صخرة النسيان البيضاء المحفوظة في خزانة البحر الأسود •
انحنى المرأة على النافذة ، وهي تضغط نديها الأيسر في الخشب •

والكرة الحمراء محشورة في ماسورة تصريف المياه في السطح المقابل •

ذلك ما كنت أفكر فيه ، قال ، وأنا أسمع صوتها في حزن ،
محددًا في التمثال بالحديقة في الأسفل -

ذلك الذي أخرجوه الليلة قبل الماضية من البحر مع المشاعل •
كم ينتصب شامخا ، وابهامه ما يزال رطبًا أمام شفته الرطبة •
وهو يعترض سبيل البياض الكثيف المدهش •
قبل أن ينجح في العثور على تعبير •

✽ ودائع

منضدة الصراف من زجاج - أية عملات غريبة ،
أية أسنان مستعارة من ذهب ، وفضة ، وحديد ،
سنة ذهبية واحدة للميت ، قلادة ايليني ،
دبوس قبعة ضخمة ، العهد القديم مجلد بالفضة
مع أحجار حمراء وخضراء •

الساعة الكبيرة في ساحة المدينة دقت الثانية عشرة •
أخرجوا الدواجن من الثلاجة •

وقف منظر الأحذية عند الباب وحذاء أنتينوس ينزل على يديه •

آنذاك هبت نسمة رقيقة من الجنوب ، ارتعشت الملاة الطويلة
وتحت السريـر

يمكنك أن ترى الحذاء الناصع البياض ذا الكعب العالى للعروس
المتة .

* التماثيل فى المقابر

التمائيل العارية تحت الأشجار فى المقابر
حوصرت بالأصوات المشبوبة لطيور الليل حينما انسحب آخر
الموكب .

التمائيل تقلد - باخلاص - الموت ، الحب الشبقى ، السكون ،
بسيوف حجرية ، بأجنحة حجرية ، بأعلام حجرية ،
من كل مكان الى آخر ، نوافذ تضاء ، أسرة ، رقص ليل فى
الحديقة .

اخرج ، اخرج ، صرخ بيتروس ،
مفاتيحي مع الحارس فى حزامه ، وكلبه يتبعنى -
ذلك ممكن اعتراض عليه .
التمائيل لا تقلدنا ، انها - أيضا - وحيدة ،
تعانى ، تنكر اللاوجود ، تتهيج ، تحمر خجلا ،
وشريانها الرئيسى مترع بالدم .
ذلك هو سبب صياح الطيور هكذا .
لتفطى هزيمة الموت الهادى .

* البعيد

أيها البعيد ، البعيد ، العصى المنال ،
فلتتسع دائما للصامتين فى غيابهم ، فى غياب الآخرين
عندما يصبح خطر القربين ، خطر القرب ذاته ، عبئا ثقيلا
خلال ليالى الوعد بالأضواء الملونة الكثيرة فى الحداثق ،
عندما تلتمع عيون الأسود والتمور نصف المغمضة
بلا مبالاة خضراء وامضة فى أقفاصها

والمهرج العجوز أمام المرأة المعتمدة
يزيل دموعه المرسومة حتى يستطيع البكاء -
أيها المستعصى على الامتلاك ، أنت بيدك الطويلة الكئيبة
خفى ، بلا استعارة أو اعارة ، بلا التزامات ،
تسمر المسامير فى الهواء ، تدعم العالم
فى ذلك التراخي العميق حيث تسود الموسيقى .

دماز ميلروس

(ثلاث نسوة عجائز ، نحيلات ، بائسات ،
 مسببات فى أرض أجنبية ، مأسورات من وطنهن ،
 يجلسن بالخارج فى الشرفة ، قرب منتصف الليل
 فى الربيع ، مقعيات بجوار بعضهن البعض الى الحائط ،
 بثيابهن السوداء ، وأوشحتهن السوداء ، يشبهن أطفال
 الليل ، الأشباح . لا ينظرن الى البحر . ولا الى النجوم .
 شيئا فشيئا يبدأن فى الكلام ببطء ، كأنهن قد نسين
 - أيضا - الكلمات ، كأنهن قد تذكرنها - الآن - توا ،
 من جديد ، ويمسكن بها تحت السنتهن يعضنهما مع
 لعابهن ، ولا يعرفن ما اذا كانت تلك الكلمات أم أنها
 شىء آخر . الآن - من جديد - يتلعثن ، يتوقفن .
 كأنك - وأنت تمضغ شيئا ما تعرف أنه طرى ، كقطعة
 خبز فى فمك ، اذا بأسنانك تصطدم فجأة - بلا توقع -
 بشىء صلب - بحصاة ، بشظية من عصا المكنسة ،
 بكسرة ما ، فتلفظ اللقمة فى احدى كفيك ، وتتحسسها
 بأصبع من الكف الأخرى ، لاشىء - خبز فحسب ، تعيد
 اللقمة الى فمك ، تبتلعها ، - كم كانت لذينة . والنسوة
 يفعلن ذلك . ولا يبين . فهو الليل . وكثيرا ما يرفعن
 آفهن الى أفواههن . ربما ليخطين ثقبا فى جزء آخر ،
 ثقبا غير مرئى - ثقبا فى الروح ، على ما يقولون - ،
 ربما حرصا على ألا يسمعهن أحد من السادة النائمين فى

البيت • مؤكد أنهم لابد أن يكن نسوة عجائز من ميلو
 - اللائي أخبرنا. بهن عمنا. العجوز ثوسيديديس ، منذ
 يوم أو يومين ، عندما أتى فيلوكتيتيس ابن ديمياس -
 فى العام الثالث - من أثينا مع سفن كثيرة وسحق
 الجزيرة ، مضرا النار فى البيوت والمعابد ، معدما كل
 الرجال - الكبار ، والشبان والأطفال ، مستوليا على
 النساء كمسيبات - نسوة عجائز ، ونساء حديثات عهد
 بالزواج ، وأمهات وفتيات صغيرات • حقا ، انهن نسوة
 من ميلو، على جزيرة أخرى الآن ، مسيبات، بائسات •
 على الشرفة الأجنبية يتحادثن فى صوت خفيض -
 وبالتدريج يتكلمن بسرعة أكبر ، بوضوح أكبر ،
 بهدوء دائما) :

المرأة الأولى : يبدو أن القشعريرة وصلت • الصيف تأخر •
 وساعة الكنيسة تدق •

المرأة الثانية : دقت الثانية عشرة • منتصف الليل •
 هس - سيسمعوننا بالداخل •

الثلاث معا : فلنجلس هنا ، نقى معا ، فيمكننا الاحساس بالهواء
 المنعش •

المرأة الثالثة : أليس غريبا أن الساعة تدق ونحن نعد من البداية -
 اثنين ، ثلاثة ، خمسة ، تسعة ،

المرأة الأولى : ذلك أنها تدق ونحن ننصت - غريب •
 وهل نحن اللائي نتكلم ؟

الثلاث معا : هل نحن اللائي نحرك شفاهنا ،
 نحن الموتى منذ أعوام ، نحن نسوة ميلو ؟

المرأة الثانية : نحن نفتح أفواهنا - فهل يخرج منها صوت ؟ -
 وهل نسمعه ؟

الثلاث معا : هل كان ليلو وجود ، وكان لنا أيضا وجود ،
ولنا أيد ، ونحرك أيدينا وتذكر ؟ - هل يتذكر الموتى ؟

المرأة الأولى : وهل يتحدثون وتطرف رموشهم ؟

الثلاث معا : هل تعتقدون أننا كنا نائمات لأعوام وأعوام ،
ورأينا هذه الأشياء في نومنا ، كي يستردها - بعد
ذلك - النوم ؟

كانت جزيرتنا صغيرة (كانت مكانا - لاذكريات وأحلاما)،
كانت جزيرة صغيرة كخاتم ، -
كانت هناك أشياء كثيرة لا نمتلكها ، وأشياء كثيرة
لا نعرفها ،

المرأة الثانية : أعوام تعيش ممت أيضا - أمطار وعواصف حينها ،

المرأة الأولى : وحينها الحرارة الحارقة للشمس والجفاف العظيم -
ولا حتى حبة قمح ، ولا طائرا يعبر ،

المرأة الثانية : المكان أتون ، والهواء حديد محمى - البحر يعنى بوجهه •

المرأة الثالثة : وبياض حائط الحظيرة المطلية كان سكيننا - تجز شعرك ،
فجأة ذاب جرس الكنيسة وانساب نهرا من حديد على
الدرجات •

الثلاث معا : وكان للزيتون أن يدوى ، فيسقط بعنف على الأرض
مثل عيني شخص مريض ،

المرأة الثانية : مثل عيني شخص نعبان ، مثل عيني شخص أعمى -
ويكون علينا أن نلملمها من الأرض ،

الثلاث معا : ننحنى وننحني من جديد - ونحن نؤدى كفارتنا أمام
أيقونة فارغة ،

وندهسهم فى كيسنا كأننا ننتزعهم من أسنان الموت ،
وفوق رأسنا محصلو الضرائب

المرأة الثالثة : وفوق رأسنا الأمراض ، والجرة المكسورة ، والمكنسة
بلا شعر

مثل اللقلق النحيل الذى هرب فى الليل وترك روثه على
الملدخنة .

الثلاث معا : لم تقبل شيئا - كانت الكلمات صعبة -
المكان سجن ، والصمت يزيد .
فى الصمت كنا نبدو أكثر أمانا ،

المرأة الأولى : والحجر - فى حائط البيت - كان يبدو أكثر أمانا أيضا .
والكرسى المجاور للنافذة .

الثلاث معا : أحيانا ما كان أسيادنا سيئين ، وأحيانا أسوأ - دائما
أسوأ ،

لكننا حتى فى هذه الحالة لم نكن أبدا بلا قوت تماما -
كنا نعد لقيماننا ، نعد الهواء الذى نتنفسه فى السر
فوق سرير الطفل -

المرأة الأولى : وفى العد ننسى أنفسنا ، -

ونحن نرفو الجوارب الصوفية الكبيرة غرزة غرزة ، ه ،
٧ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥ ، - كنا نهدهد أنفسنا كي ننام ،

المرأة الثانية : كنا نسقط فى النوم على الكرسي ،
تسقط رؤوسنا فننتطلق من جديد ، نفتح عيوننا فنوقف
العد ،

كان الجورب كبيرا كبيرا ،

المرأة الثالثة : كبيرا كميناء فسارغ - وكلما نسجت كان الثقب يكبر
مثل عين الرجل الأعور المختبئة التي لا تريد أن تراك ،
بل وتخاف من أنك قد تلمس المقلة بالابرة •

الثلاث معا : كنا نعمل عملا شاقا ، حتى في الليل -
بل لم تكن نعرف ما اذا كان هناك قمر في الخارج ،
ولا حتى كنا نريد أن نعرف - الآن ، فقط ، فكرنا فيه ،
كنا نعرف ما اذا كانت الريح تهب - كنا نستطيع أن
نسمع الريح ،
فمعطفها كان يعلق من وقت لآخر - في الخارج - بالمسمار
في الحائط ،
حيث تركنا جدائل الثوم معلقة ،
كان يعلق بالفتاح •

المرأة الثالثة : وعندما تتوقف ، كانت يدنا اليمنى تظل - لبرهة - في
الريح ،
ووبر البطانية ينام برفق كعرف الحصان الذي عاد الى
الحظيرة •

الثلاث معا : عشنا بالكاد على خبز الشعير والذرة والنخالة -
أيضا عاش معنا الدجاج ،

المرأة الأولى : لم يكن لدينا وقت لنمرر المشط في شعرنا - لم نهتم -

المرأة الثالثة : هل ينظر الحمام والدجاج في المرأة ؟
ما كان يفرغنا هو أن نرى أطراف كم قميص أزواجنا
الليلى مبلولا ،
حينما كانوا يقتسلون في الباحة ، - أحسبنا بها ،
ولو انه لمسنا آنته - وفي يديه سواران باردان -
لأحسبنا بالبرودة على ظهورنا •
الثلاث معا : يا الهى ، كم غريب - عالم أعجوبة - كمان مبلولان •

المرأة الثالثة : وفى يوم آخر ، ونحن نقشر كوز ذرة كبير ، ورقة ورقة -
أوراق كبيرة مجبوكة ، قفزنا وأقواهنا مغمورة -
كانت الذرة تضحك بألف سنة مصفوفة ، ذهبية بفعل
الشمس .
وعاليا على التل ، فى الأقرآن ، كانوا ينادون « جورج ،
جورج » .
دفسنا الذرة فى صدورنا ، لم نقضمها .

الثلاث معا : كنا نحرق ، نقطف العنب ، نقلم الأشجار ، نروى الحقل ،
نقوم بالغسيل ، بالعمل الروتينى ، نكوى -
بينما فى الخارج يحل مساء ربيعى هادئ ،
وفجأة يتردد فوق البحر هناك ، فوق الماء الذى يتكلم فى
السر ،
صوت منفرد صاف كالبللور

المرأة الثالثة : صوت أجش ، صوت صياد شاب - متحجرا برهة فى
الهواء ،
لينتشر بعد ذلك ، فيمتصه السكون كما لو بورقة نشاف ،
ونحن هناك فى الظلام ، فوق الحديد ،
نجاهد - بمرارة ضاحكة - لحل شفرة الحروف المقلوبة
على ورقة النشاف -
نحن الذين لم نستطع - حتى - أن نميزها على نحو
صحيح ، -
بل وحتى لم نستطع أن نراها جيدا ،
حيث كانت فضة القمر تلتمع على تويجة الشاطئ -

الثلاث معا : كان القمر ورقة واهية ، يظهر خلف النافذة ،
بعيدا كأننا كنا نحن اللأئي ابتعدن عن العالم . كنا نضئ ،
المصباح .

المرأة الأولى : آتئذ ، فى موسم عصر العنب ،
عندما يكون على أزواجنا أن يعودوا من المعاصر ،

المرأة الثانية : ملطخين بخميرة العصر من الرأس الى القدم -
الأقدام ، الأيدي ، الوجه ، الملابس الداخلية ، القمصان ،

المرأة الأولى : يتخرجون من الحماس والبهجة ، محمرين كتلك الآلهة
القديمة ، كما يقال ،

المرأة الثالثة : كانت قطرات من الدم تتجلط على شعر أرجلهم الملتف
كانهم عائدون من مجزرة سرية كبيرة فنندفع لنخبثهم ،

المرأة الأولى : لنسخن الماء فى القدر ، نغسل أقدامهم وأرجلهم ،

المرأة الثانية : نغسل سراويلهم ، وقمصانهم ، نزيل الآثار ،

المرأة الثالثة : نطعمهم العشاء على عجل ، ونخبثهم تحت الأغطية .

الثلاث معا : ثم كان لهم أن يضحكوا فى السر من وراء شواربهم ،
كانهم قد سمحوا لنا أيضا بالاطلاع على سرهم الكبير -
ولم يكن هناك أى سر ، -
لكن النوم الناجم عن ذلك كان مريحا .

المرأة الثالثة : آه ، موسم العصر ، مع الحصيد القش ، والسلال ،
والسكاكين ، -
كانت الباحة عاطرة ،

المرأة الثانية : كان الشاطئ يفوح بأريج الورد ، والخيول تنزلق على
الحصى ،

المرأة الأولى : وبراميل كبيرة مملوءة تغط فى نومها بالطابق الأرضى -

الثلاث معا : التبيذ الذي سيشربه الآخرون ،

عناء على عناء - القطار ، التقليل ، الرى ، التجفيف -
ركبنا أصبحت يابسة كالعظام ، -
لم يكن لدينا وقت للنظر فى أنفسنا ، لم نشأ أن ننظر فى
أنفسنا ، -

ولماذا حقا نجلس - من جديد من جديد - متربعين -
برأس محنية على الركب ، كالجنين المنحنى
داخل الظلام الدامس ؟ -
فأين نجد الوقت • تقليل وحرق وترتيب ،

المرأة الأولى : أشعل النار ، زنى السمك ، املئى الجرار ،

المرأة الثانية : نظفى زجاج المصباح والنوافذ من غبش البحر ،

المرأة الثالثة : نظفى العدس واحدة واحدة -

نسجنا - أيضا - زوجا من مناشف الوجه على النول ،

المرأة الأولى : نسجنا قطعة أو قطعتين من الصوف ، وبطانية كبيرة -

المرأة الثالثة : ولم ننس أن نضيف إليها النقوش -

زهرتى ربيع ، طائر أحمر ، ودولفين ضخيم فيروزى ،

الثلاث معا : كبرنا ونحن نعمل ، ونحن نعمل تعلمنا أن نعمل ، ونحن

نعمل تعلمنا أن ننسى هومنا ، أن ننسى أنفسنا ، أن
ننطلق من جديد •

المرأة الأولى : فى الصيف ، فوق جزيرتنا ، كم كان الأصيل يتلألا ،

المرأة الثانية : عندما كانت رياح الصيف العظيمة تصفر ،

والبحر يرتعش - متكسرا - بكامل جسده ،
والعالم كان وهضة ، وحدها ، وشرارة •

المرأة الثالثة : وداخل البيوت كانت البرودة تقعى كطائر ، كبير كبير ،
يحتل المطبخ - دون أن يترك لك أبدا غرفة لتتزوج
اليها ،
لترتبها ، لتقف عند النول ، دون أن تدوس على ذلك
الطائر الذهبي
ذى العينين البنفسجيتين .

المرأة الأولى : ولا حتى غرفة نذهب اليها كأنك تهش ذبابة مزعجة
وقفت على كوب ماء نظيف -
وتهرش قفاها بقدميها الاثنتين -

المرأة الثالثة : لاشئ ، لاشئ ، بدون نتف قليل من زغب الطائر الذهبي
وبعثرته على العالم ، آه ، قليل من زغب ، -
وتجلس غريقا مثلما فى كرسيك جامدا ،
واليدان على الركبتين ، فى خدر عميق ،
وأنت أيضا مذهب كأيقونة مرسومة على لوح من خشب
سرو ،
كان شخصا ما ربما آمن بك فجعلك نلرا ،
وذهبك -

الثلاث معا : كنا كأننا - فى داخلنا - نؤمن بأنفسنا .

المرأة الثانية : كان ذلك الضوء العظيم للحصاد - هو ما غطى على
العبودية والموت ،

المرأة الأولى : كان الضوء العظيم وأوراق الشجر ورياح الصيف غير
الحليقة

مع أصدافها الهائلة التى تصيح بالخارج برفقة الزين ،

المرأة الثالثة : وداخل البيت القطة النائمة على رأس السرير .

الثلاث معا : آه ، كم آمنا ، نحن المظلمات ، بالضوء ،
وكم آمنا ، نحن المهدومات ، بالحياة .

المرأة الثالثة : وذات أصيل آخر - كيف حدث ذلك -

ونحن ننحنى على البئر ، متلهفين على أن نرى شيئا -
لا لنسحب ماء - لاندري ، سر كآنة خطيئة ، -
أجفلنا من صرخة المارة في صرخة طائر يمرق عاليا في
السماء ،
في مكان لم يخطر لنا ببال - على التل تماما -
كان يستهدفنا من خلف ظهورنا •

الثلاث معا : تحسسنا - آئنذ - مفاتيح المخزن في جيب مريلتنا ،
نظرنا الى شجرة التين - أوراقها عريضة كالأيدي العاملة -
لم يكن أى شيء ، دخلنا ، هادئين •
فقط جرادة واقفة على أرجلها الخلفية ، هناك ، على حوض
الماء
ترقبنا يعيون خضراء ، كروية ، كبيرة •

المرأة الأولى : وأحيانا كان يحل صمت قصير وسط الساعات ،
كأننا رحلنا ورتب البيت نفسه ،

المرأة الثانية : كان الساعة على المائدة - فجأة - توقفت
ومعها توقف الزمن أيضا ،

الثلاث معا : ولم يعد من الممكن أن يحدث شيء بعد ذلك ،
لأشياء يمكن أن يكون قد حدث ، -
كان الولادات والجنازات كانت - آئنذ - أكاذيب

المرأة الثانية : والقدر الذى يمكن أن نسمعه يغلى على الرجل يصمت ،

المرأة الأولى : والدلو الذى يستخدمونه فى سحب الماء من البئر يصمت
أيضا ،

المرأة الثانية : انقطع الجبل ، غرق الدلو ، غرقنا -

الثلاث معا : غرق هادى ، راحة مؤقتة - أن تعرف أنك غرقت
ولو ان شخصا ما فوق الماء ينادى باسمك ، فلن يعثر
عليك ،

المرأة الثالثة : صوته وحده يغوص ببطء فى الماء
كالقرط الذى أسقطته أختك غير الشقيقة وهى منحنية على
البنس .

الثلاث معا : آنذاك ، وفيما تنعس ، تخز اصبعك الابرّة التى كنت
تمسكها فى يدك ،
من تلقاء ذاتها - تقول لك « استيقظ استيقظ ، ليس
ذلك صوابا » ،
تقول لك ، كأنه ليس صوابا فى الكنيسة أن تنظر خارج
النافذة ،

وفجأة تنتزع الابرّة ، تهز يدك اليمنى لأعلى وأسفل
على نحو ما ترسم الصليب على نفسك ،
لتتخلص من الشر ، لتطرد الروح الشريرة -

المرأة الثانية : وفى الحال تشد الخيط كأنك تشد حبل الدلو ،
تنتزعه وتقفز ،

المرأة الأولى : تنظر حواليك كمجرم ،
خوفا من أن يلمحك أحد هناك فى المضيض ،
خوفا من أن تراك المرأة على الحائط ،

المرأة الثالثة : خوفا من أن تكون أنية القهوة التى تعكس الشفق
قد قالت أى شيء لبعضها ،

الثلاث معا : وعيوننا متأهبة دائما للاعتذار للجميع ،
للطفل ، والكلب ، والكنارى ، ما من كائن يظهر فى
طريقنا .
تتشبث بهذا الخيط الذى نمسكه ونتسلقه .

المرأة الأولى : وحده الخوف دائما ما يبقى -

ذلك الخوف من أن يضل أولادنا الطريق - كل مرة
يخرجون فيها -
ويقبلون في الرجوع ،

المرأة الثانية : من أن تعثر عليهم روح شريفة هائطة والسكتي بين
أسنانها ،

المرأة الأولى : من أن تسقط على رؤوسهم - وهم سائقون - لاقتة
المطعم الضخمة ،

المرأة الثانية : ضخمة جدا ومحدبة ، بمسامير قاطعة كاستان الأسد ،

المرأة الثالثة : هل ذلك هو المطعم الذي تعينه ؟ -
عنده دجاجتان في سفود مرسومتين في الركبتين العفوج -

المرأة الأولى : خوفا من أن تضربهم صاعقة وهم يفتحون أقوامهم ليقلوا
ما هو صواب *

الثلاث معا : خوف ورعب - كان الشتاء قاردا - فترتد جسدنا
بكامله ،

يقشع جلدنا ، ندس أيدينا في الجوارب الصوفية
لأولادنا الغائبين
كاننا نمسك بأقدامهم كي ندفنهم ، -
ونتدفأ *

المرأة الثانية : ننظر - فقط - الى الباب ، حتى لا يدخلوا فجأة
فيجدوننا غائبين - هكذا - عن الوعي - وأيدينا في
جواربهم *

الثلاث معا : آه ، لو - فقط - يجيئون
حتى لو وجدونا نقضم أطرافنا بجوار القدر -

المرأة الاولى : كانت هناك أيضا فجوة سرية في الحائط -
 هناك احتفظنا - لأعوام وأعوام -
 ببعض العملات المتبقية - أحيانا - من الشراء ،
 هناك احتفظنا بهدايا العام الجديد للأوقات الصعبة -
 ببعض الأشياء الرخيصة ،
 وكنا نسد الفجوة بالورق - فلم تظهر .

الثلاث معا : وفي بعض أيام الأحد ، عندما كان الجميع بعيدين في
 الميدان ،
 أو على الشاطئ ، كنا نستخرجهم ، نخصيهم -
 شيء ما لحطبة البنت ، كنا نقول ، زوج بنطلونات للولد
 الأكبر ، -
 لم يكن هناك ما يكفي ، سيعطينا الرب ،
 نقول ،
 وكنا نبتهج ببيضة العش الصغيرة .

المرأة الثانية : كم كانت ترتعش رموش ابنتنا وأنت تقودين زوجا من
 الملاءات المطرزة ،
 زوجا من أكياس الوسائد أمام عينيها ،

المرأة الثالثة : غطاء أخمر للسريير بطائرين أبيضين جنباً الى جنب ،
 يتعانقان منقارا لمنقار .

الثلاث معا : لم يكن هناك ما يكفي ، كنا نعيدهم الى الحائط .
 ذات يوم ، فتحنا الفجوة ، كانوا قد اختفوا . لم نطق
 بكلمة .
 ظهرت أشياء أخرى ، أكثر خطورة - غطت عليهم .
 عدا ذلك ، فمن حين الى حين ، نتذكرهم ونحن نقوم
 بأعمال المنزل
 أو في السريير عند المساء ،

فى المعدة تماما ، أسفل المعدة ، قرب السرة ،
عقدة ، نتوء مجوف ثقيل ،
كأن تلك الفجوة فى الحائط قد حدثت فى جسدنا •
ساوينا الحائط فيما بعد • ما ظهر شيء •
ولم تكن - حتى - ندير أعيننا نحو هذه البقعة •

المرأة الأولى : أوقات مسترخية جاءت أيضا - لا نستطيع الشكوى -
مثلما حدث مساء السبت ، عندما سددنا ديوننا للبقال ،
وبقى من الزيت ما يكفى لأسبوع أو اثنين ، بل ربما شهر -

المرأة الثانية : ومثلما فعلنا مع الغسيل ،
وكانت سلة الغسيل تجف سعيدة فى الباحة ، والملابس
تجف مكشوفة ،

الثلاث معا : بعدئذ كنا نلهم ، نلقيهم فوق كتفنا ،
فيلمسون خلودنا دافئين ، ينفثون البخار ، بملبس
الزغب ،
يفوحون بالشمس والصابون وبالأريج الآخر لعمل اكتمل
ولشيء ما وردى ،

المرأة الثالثة : وشذرة زغب من نبات شوكى حطت على قميص الولد
وداعبتنا تحت الأذن - أرادت اضحاكنا ،
أرادت ردنا الى الشباب من جديد ، -
نجحت ، - وضحكنا داخل أنفسنا ،

الثلاث معا : على هذا القبيل ، لانت أنفسنا بفعل عنائنا ،
متباهيات - فى السر - بكل هذه الملابس على أكتافنا .
كأننا كنا - بأنفسنا - نرفع العالم بأسره - وكان خفيفا -
كنا نحن الذين جعلناه خفيفا ، وجعلنا خفيفات •

المرأة الثانية : أوقات مسترخية - لا سبيل للشكوى ، -
والكى لم يكن ملحا •

الثلاث معا : ذات ليلة ، ونحن جالسات على العتبة •
عندما كنا نحاول في السر تخيل شكل القمر -
زهريّة زجاجيّة

المرأة الأولى : مليئة بملح - رطب قليلا -

المرأة الثانية : أم انه - بالأحرى - مصباح ندور ذهبنى
أم أيقونة عذراء لازوردية -

المرأة الثالثة : أم عشي من قش زغبى وبداخله العنديل
وكان يغنى ، لكننا لم نستطع أن نسمع صوت زقزقته
العذبة - تويت تويت •

الثلاث معا : وأحيانا ما كنا نتأمل أيضا ، وأحببنا ذلك •

المرأة الأولى : أو أحيانا ، في مساء إحدى العطلات ،
نمضي من باب إلى باب نثرثر مع السيدات الطيبات في
الجوار -
من كانت تتزوج ، أو تتعمد ، أو تحتضر ،

المرأة الثانية : وكان بجيب مريتك بضع لوزات ،
وكثيرا ما كنت تلمسينها بأصابعك ، تعتصرينها ،
لكي تحسى بشكلها القوى ، بخوافها الحادة ،
كقوارب صغيرة موصدة بإحكام
تطبق على الجوزة البيضاء في قشرتها -

الثلاث معا : تحسسنا اللوز القوى في جيوبنا ،
لأن المساء كان واضحا ، وروحك أيضا كانت واضحة ،
وكانت الحياة واضحة
وكانت تهرب من يديك دون أن تدركها •

المرأة الثانية : هل تعرف أن ذلك هو السبب في أننا كنا ، في داخلنا
الأعمق ،

فيما وراء الكلمات ، نتكلم ونحن صامتون
وكننا ننصت لذلك الصمت العظيم الذي يزدحم بأشياء
مجهولة •

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما تهتز الستارة من ذاتها ، دون ريح ،

المرأة الثانية : مثلما يحدث عندما ينطفئ المصباح الذي كنا قد ملأناه
منذ ساعة ،

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما يستقر الغبار على الصندوق الحديد
الذي يضم أكاليل الزفاف الشمعية ،

المرأة الثالثة : مثلما يحدث عندما تجد - على المنضدة التي نظفتها حالا -
قطعة جبس مفتتة ، -

وترفع رأسك - على الفور - لأعلى
فاذا بالسقف على حالته ،

وعنكبوت كبير يجاهد ليختبئ عن نظرك - لا يختبئ •

الثلاث معا : في أمسيات الصيف ، لا تستطيع احتمال دخول البيت
للنوم -

قليل من وقت اضافي في الباحة ، قليل من وقت
اضافي لمشاهدة العالم -

ويجيء العالم الينا من جديد كحمار صغير طيب
بأذنين كبيرتين حادثين في السمع -

المرأة الثالثة : وكثيرا ما يهز أذنه اليسرى ليهش نجمة أو بعوضة •

الثلاث معا : وكننا نعص على شفاهنا لنمنع أنفسنا من الضحك
بصوت عال ،

حتى لا نسمعنا الأطفال النائمون بالداخل ،

المرأة الأولى : حتى لا نسمعنا أزواجنا فيظنون أننا قد أصبحنا أطفالا
بسخفاء •

الثلاث معا : كانت الأشياء - آتشد - طيبة ،

ولم تكن - حتى - نعرف ذلك - هناك في الباحة مع البئر .
كانت الصخور ما تزال دافئة من شمس النهار في برودة
الليل .
ومع الباب التالي يمكنك أن تسمع الدجاجات الدافئة في
العشة وهي تنفث ريشها ،

المرأة الأولى : وغناء الصياد في قاربه في المياه الضحلة ، في الأسفل

المرأة الثالثة : والورقة الجافة الكبيرة تسقط من شجرة البشملة
بصخب عال
بعدها يصبح الصمت أكثر صمتا كمرأة مهجورة تحت
الأشجار .

الثلاث معا : كنا نتعرف على الأصوات -

نستعيد تعارفنا مع شيء ما عطوف ، منسى -

المرأة الأولى : السلحفاة التي تزحف - دون أن يلحظها أحد - في
الحديقة ببطء ،

المرأة الثانية : طابور الحباب الذين يشعلون قناديلهم الصغيرة لينبروا
طريقهم ،

المرأة الأولى : النحلة التي تنام في الوردة -

يمكنك أن تسمعها وهي تبتلع لعابها ،

المرأة الثالثة : وصرير أجنحة الفراشة -

لم تتكيف داخل القرنفلة ، مهتاجة دائما ، متقلبة دائما
في نومها .

الثلاث معا : وكانت أنوفنا تدرك الروائح واحدة واحدة من حديقتنا :
المروية الصغيرة .

المرأة الأولى : هذه عترة - تقول أنوفنا - وتلك نعناع ،

المرأة الثانية : وتلك ريحان أو بابونج أو ورد

المرأة الثالثة : هذا بقدونس ، - وضحكة تقهقه داخلنا ،

مثليا يحدث عندما تهز ثوبا قديما

فيسقط - مصلصلا - على الأرض خاتم طفل صغير كنا

نظنه قد ضاع •

الثلاث معا : كانت الأشياء طيبة - وليس من الصواب أن تكون
جاحدين للحياة -

تلك الأمسيات التي يتحد فيها كل شيء ويتصالح الجميع ،

البرعم ، والقمر ، والكلب ، والكناري - الجميع في واحد ،

المرأة الأولى : والقمر ، حقا ، لم يكن غريبا ، كان قمرنا ، أبيض ،
كاللازورد ،

دافئ كبيض كبرة باضتها الدجاجة منذ لمحات •

الثلاث معا : آه ، نعم ، حقا ، - فبين حين وآخر كانت لدينا قطرة وقت

لنرفع يدنا ونمسح العرق عن جبهتنا ،

بين حين وآخر لنلفظ «آه» بين ورقتين خضراوين ناضرتين

ونحن راكعات على الحوض ، نعجن الخبز للصغار ،

رفعنا - بلا قصد - عيوننا ، - الى النافذة التي كان يقف

بها طائر صغير ويرقبنا - نسينا أنفسنا ،

المرأة الثالثة : أعتقد أن الطيور قد أكملت لنا العجن ونحن ننظر -

المرأة الثانية : وربما أكملناه نحن أيضا - من يدري ؟ -

لم نصنع أرغفة ،

المرأة الثالثة : بل صنعنا طيورا من العجين ، نثرنا عليها سكرا ،

ونثرنا على أجنتها حلوى حمراء وزرقاء ،

وضمنا قطعتي قراصيا مكان العينين ، -
استمتع أطفالنا كثيرا بهم

الثلاث معا : بل لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم :
هل يأكلونهم أم يلعبون بهم •
أزواجنا - وحدهم - تجهموا وعبسوا ، عاقدين حواجبهم -
من يهتم ؟

المرأة الثالثة : لمرة وحيدة ، صنعنا ما أردنا ،
بالطريقة التي دلنا اليها الطائر وقلبنا •

المرأة الأولى : يا صديقتي ! تذكرن ذلك الغروب الربيعي ،
الهادي ، الصامت ، هبة الرب - والبحر ناصع
كالكريستال ،

المرأة الثانية : صوار وحيال ومجاذيف مبلولة ،
حمرة داكنة تومض ،

المرأة الأولى : هلب منصوب - تتعلق في أطرافه فلائد براقية -
أى مرجان ، أى يواقيت وذذهب -

المرأة الثالثة : فتاة صغيرة تتمشى وحيدة على الشاطئ في الأسفل
كأنها تتمشى في عالم آخر الى نفسها -
لم تكن جبهتها محنية •

المرأة الثانية : وفجأة تظهر جزر صغيرة في البعيد ، بعيدا في البحر -
لم نرها أبدا من قبل ، لم تكن هناك من قبل -

المرأة الثالثة : جزر صغيرة لازوردية ، شفافة ،
تضيء كلها دفعة واحدة في الغروب ،
تومض كالجواهر ، تحترق وتموت ،
ثم تتحول الى رماد ، لتذوب في الليل •

الثلاث معا : لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ،
وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ،
وأننا لم نكن وحدنا •

المرأة الأولى : وفجأة وصل مندوبون ذات شفق ،
من بلد ، على ما يقولون ، بلد كبير ، بعيد ،
به ملايين السفن ، به بيوت بيضاء كبيرة ،
المرأة الثانية : ناس من حجر ، على ما يقولون ، يقفون منتصبين على أعمدة
طويلة ،
ولديهم مدارس كثيرة من حجر أبيض •

الثلاث معا : واعترانا شعور قلق -
ثيابهم كانت جديدة ، وصولجاناتهم المزخرفة في جمال
لامعة ،
لم ينظروا إلينا مباشرة في عيوننا ،
كانوا ينظرون من أعلى ، فيروا شيئا ما لم نستطع رؤيته •
سفن كبيرة بخمسين مجدافا اصطفت أمام جزيرتنا
الصغيرة •
لم يطأ بحارتها أرضنا ، لم يدخلوا مطاعمنا ،
استلقوا هناك منبطحين في انتظار الاشارة •
جاء هؤلاء المندوبون وحدهم من الأرض الأجنبية ،
وكانوا - على ما يقولون - يونانيين أيضا •
جمعوا أزواجنا وأبناءنا

المرأة الأولى : عند المتراس العلوى ، حيث يوجد المدفع القديم الصدى ،
المرأة الثانية : ذلك المدفع الأعور ، المهمل هناك منذ عهد أجدادنا
المرأة الثالثة : ليتسلقه الحمام والعصافير والأولاد ويمطوه ،
متظاهرين بأنهم فرسان عظماء
في أمسيات الصيف ، قبل العشاء ،

ويمدوا أيديهم في فمه الخاوى
ليمسكوا بقدم الجنية ، ربما ، ويصبحوا رجالا شجعانا .

الثلاث معا : جمعوهم عاليا هناك ،
ونحن في كل ناحية ، . التصقنا بالأبواب :
تكلّموا بهدوء (آه، هذا الهدوء الذى تشمه قبل العاصفة) -
لم نستطع فهم كلماتهم - . التقطنا جرسها وحده .
« استسلموا » - قالوا - « والا سندمركم » .
قالوا الكثير ، قالوه بكلمات مختلفة -
ذلك ما فهمناه : « استسلموا » . -

المرأة الأولى : أمثل ذلك يأتى من البحر ؟

المرأة الثانية : مثل ذلك وأيدينا معقودة ؟

الثلاث معا : كنا نتطلع الى أزواجنا -

المرأة الثانية : الفك مطبق - أخرس -

كانهم يحملون فى أفواههم قصف رعد هائل .

المرأة الأولى : والآخرى واصلوا الحديث -

عيونهم تزداد صفرا ، كلماتهم تزداد سرعة ،

الثلاث معا : أفواههم تزداد اتساعا - كانوا يتلعون كل هوائنا

لم يبق لنا شيء كي نتنفس .

ورجالنا ، صامتين كالحجر . قالوا شيئا ما

من قلب الحجر ، قدموا ردا ما ،

المرأة الأولى : قالوا شيئا ما عن « الشرف » ،

شيئا ما عن « الوطن » (وقرعت هذه الكلمة

المرأة الثانية : على نحو ما يقرقع أساس البيت فى الزلزال

فتظن أن كل النوافذ ستتتحطم ،

ومعها زجاجات « الراكى » الجيد فى الرف على الجدار

المرأة الأولى : الزجاجات التي احتفظنا بها للزوار .

الثلاث معا : تكلموا جيدا - فأحسنوا -

« الشرف » ، « الوطن » ، وينظرون الى أسفل في أحذيتهم .
وبعد ذلك كلمة أكثر صعوبة ، أكثر عظمة -
أسموها « حرية » -

المرأة الثانية : نعم ، « حرية » . فومض ضوء أسود هائل عاليا
حتى منتصف السماء ،

المرأة الأولى : نعم ، « حرية » ، ولم نعرف ما الذي تعنيه -
وفاضت عيوننا بالدموع ،

المرأة الثالثة : فاض البحر تحتنا بالدموع ،
وتحول الشاطئ الى زرقة الحبر .

المرأة الأولى : انفجر طفل في النسيج فجأة ،
كأنهم قد ذبحوا - أمامه - أباه .

المرأة الثالثة : والعمة « كوستينا » تقدمت خطوة ،
وضعت يديها خلفها وفكت مريلتها كأنها لن تعمل بعد
الآن .

ثم جاهدت لتربطها مرة ثانية بأحكام أكبر ، -
ولم تنجح في ذلك .

الثلاث معا : كنا نرى يديها ترتعشان -

يدان كبيرتان كأيدي جزيرتنا كلها ، -
لم تستطيعا العثور على أربطة المريلة ،
وقد تظن أن الأربطة قد ضاعت ،
قد تظن أن أصابعها أصبحت أكثر رخاوة .
كان الصمت حولنا ينتشر ، -

ولا تستطيع أن تسمع سوى قرعته .
الحركات كانت بطيئة في الظهور ،
وتظن أن عامين أو ثلاثة قد مروا منذ أن تدخل يدك في
جيبك ،
فتعثر على فص ثوم ، وتكسره .

المرأة الثالثة : أما الجدة العجوز ذات المائة عام ،
السيدة « كاتينا » التي تداوى بالأعشاب ،
والتي يمتلئ بيتها كله - من الداخل والخارج - بأكياس
صغيرة
لا تحتوى سوى على أعشاب ،
معلقة على الجدران في مسامير صدئة ، -
اندفعت السيدة « كاتينا » الى السطح ، ممسوسة ،
وهي تحمل مرتبتها القش ،
رمتها في الشرفة وراحت تضربها بعصا غليظة
كانها تضرب شخصا ما على مؤخرته .

الثلاث معا : وفجأة
ماذا كان ذلك الضوء الساطع ،
ذلك الهدير ، تلك الغيمة من غبار ؟ -
هل اشتعلت في مرتبتها النار ؟
هل اشتعلت النار في أكياسها المعلقة على الجدار ؟
هل كانوا يطلقون قنابل المدافع من السفن ؟ -
متى - في ذلك الحين - وطأ أرضنا الغرباء ؟
وأين وجد ناسنا السيوف ؟
جدران التحصينات كانت تهوى والصخور تنفجر ،

المرأة الأولى : الزيت الساخن كان يفور في القنوات ، والدم يجري ،
المرأة الثانية : وهذه الكلمة المزدوجة « الحرية أو الموت »
انفجرت في الفضاء ،

المرأة الثالثة : كف مطبوعة بالدم على باب المطعم -

الباب الموارب - كان الجميع يجرون -

المرأة الثانية : صيحات « الحرية أو الموت » من الحصن العالي ،
من الشاطئ الأسفل -

الثلاث معا : كنا نحن الذين نصيح ، ألم نكن نحن ؟ -

أصوات عالية - ألم وخوف -

المرأة الثانية : (بين الألم والخوف ، كان الخوف هو الأقوى) -

المرأة الأولى : لا الألم ولا الخوف -

كانت العوارض الخشبية تحترق ، وتنهوى ،

المرأة الثالثة : والنار اشتعلت في علم مبنى البلدية ،

فتوهج وهوى في الشفق مثل ورقة شجر صفراء كبيرة -

الثلاث معا : التفتنا لحظة ورأينا -

كانت السارية تحترق مثل اضبع وحيد

لم يعد لديه ما يشير اليه .

« الحرية أو الموت » - كنا نجرى من جديد -

المرأة الأولى : أية حرية ؟ - أي موت ؟ - أين ذهب أطفالنا ؟ -

كنا نجرى على غير هدى ، الى أعلى الى أسفل -

كان المكان يتبدل

ولم تكن تستطيع القول أين توجد بيوتنا -

الثلاث معا : لم تكن هناك بيوت بل السنة حمراء كبيرة ،

المرأة الثالثة : في جرة واحدة كانت تبتلع شرفة + أو سقفا ،

المرأة الثانية : معلقا ، تعريشة كروم ، بابا ، نافذتين ،

المرأة الأولى : الكنيسة بأبراج الجرس - خوف وألم ،

- لا الخوف ولا الألم -

الثلاث معا : آه ، كيف تنطقون « جربة » ؟

كيف تنطقون « موت » ؟

لقد حددتم اختياركم مقدما - وحده الموت .

المرأة الأولى : لم يتركوا أى كائن ذكر -

وعيوننا لم نعرف كيف تبكي ،

المرأة الثانية :- والأقدام كانت تجرى من تلقاء ذاتها -

لم نعرف الى أين كانت تجرى ،

المرأة الثالثة : والفم كان يصيح من تلقاء ذاته -

لم نعرف بم كان يصيح ،

المرأة الثانية : والعيون كانت ترى من تلقاء ذاتها -

لم نعرف ماذا كانت ترى .

الثلاث معا : كل شيء سواد واحمرار ، - حصان يجرى ،

المرأة الثالثة : بقرة تهز ذيلها - فتهدش ذبابه -

ذلك ما رأيناه ،

المرأة الأولى : زجاج نافذة مكسورة فى العشب ،

المرأة الثانية : قطعة مقتولة على القرميد - لم يكن هناك بيت -

المرأة الثالثة : قرميد المطبخ وحده ، -

واحدى عيني القطعة نصف مفتوحة ،

المرأة الأولى : والمستوقد يشتعل فى الشاة ٤ ، -

دجاجة تقوقى

المرأة الثالثة : امرأة عجوز ترتدى أسبلا خطفت البيضة .

كانت البيضة بيضاء ، مستديرة تماما -

كسرتها وامتصتها ، والبياض سال على شفيتها ،

الثلاث معا : كان شخص ما يصيح « ابنى ، ابنى » -

يصيح من داخل الأبار

المرأة الأولى : والمتسول الأعمى على سلاله « سان نيقولا »
كان ما يزال يمد يده ،

المرأة الثانية : قطعها أحد الجنود بضربة سيف واحدة ،
والتقطها من الأرض ،

المرأة الأولى : كان الدم يتفجر نهرا -
« خذها » قال له ، ورماها عند ركبتيه ،
« يا الهى » صرخ أحد الأصوات - من صرخ ؟ -
صرخ مرة ثانية « يا الهى » .

الثلاث معا : وذلك الصوت « ابنى » ، « ابنى » ، « ابنى »
المرأة الثالثة : من أطافر قدمك الى جذور شعر رأسك - لن يتوقف .

الثلاث معا : ثم لاشئ - خرس مع صوت خطى أجنبية ، -
وحل الليل .
بالنسبة لنا ، قيدوا أيدينا ، ورمونا فى السفن ،
الواحدة فوق الأخرى ، أكياس مربوطة ، أكياس طرية -
لم يكن بالأكياس شئ ،

المرأة الأولى : ولا حتى شئ تافه ، لا ملدرة ، ولا ذكرى - خاوية .
المرأة الثالثة : كيس خاو يحس بالآلم ولا صوت له ،
ولا يلفظ « آه » ،

المرأة الثانية : كيس خاو - لا ، ليس خاويًا ، -
كانت به عظام ، فعندما كان كوع بداخله يرتطم بخشب
السقيفة ،
كان يصدر صوتا مكتوما ،

الثلاث معا : كان يمكن سماع صوت واهن ، -
كانت عظامنا داخل الأكياس .
حملونا الى هنا - عبيدا فى أرض أجنبية -

المرأة الأولى : لا تعرف المكان ،

وأيدينا لا تعرف الإمساك بالمكنسية ،

المرأة الثانية : مطرقة الباب ، ركن المنضدة ، الإمساك بالجرة -
أجنبى ، أجنبى -

المرأة الثالثة : أنوفنا لا تعرف الهواء ، لا تعرف على الروائح .

الثلاث معا : المرتبة محشوة بمسامير -

تقلب يمينا ويسارا - لن يغلبك النوم ،

وذاكرتك مليئة بمسامير ،

لا مكان لتحنى ظهرك ،

جدار وحيد ، عال ، بلا ركن لتحتنى به من الريح ،

جدار مليء بالمسامير ، مثل جدار السيدة « كاتينا » -

وأين يمكنك الآن أن تعلق الأكياس الصغيرة

ذات الأعشاب القديمة ، حيث المقصات ،

وسلة من التوت البرى ، وقبعة حمراء ، ومرأة صغيرة ؟

المرأة الأولى : ما الذى يمكن أن تفعله امرأة ؟

ما الذى يوجد لتراه - وجه الموت القبيح بالأنف المجدوعة؟

المرأة الثانية : الأسنان العارية فى ظلمة الليل ؟ -

عيوننا أظلمت - لا ترى ،

المرأة الثالثة : عيوننا لا تعرف الأشجار ، لا تعرف البحر ،

المرأة الأولى : بحر بلا ملوحة ، بلا طحالب أو أسماك - لا رائحة .

الثلاث معا : هنا ، سرا فى الليل ، اجتمعنا معا ، مستوحشين ،

بالمنديل الأسود يعصب عيوننا

هنا ما نزال نتساءل ، نتساءل بلا كلام

هل كان ليلو وجود ، هل كان لنا أيضا وجود ،

نحن نسوة ميلو ، آكان لجزيرتنا وجود ،

وهل كبرنا نحن أنفسنا هناك ، وعملنا وتزوجنا

أنجبنا أولادا ما عادوا لنا ؟

كيف حدث ذلك ؟

كيف يمكن حقا أن يكون ذلك الذى ما نزال نتأمله
ونذكره ؟

لابد لذلك أن يعنى - اذن - أن ميلو كانت موجودة ،
أننا - أيضا - كنا موجودين ، وأننا ما نزال -

المرأة الأولى : وأن تلك الكلمة ، ذات شفق ، « وطن » موجودة فينا ،

المرأة الثانية : وأن تلك الكلمة « حرية » موجودة ، ذات مساء ، فينا ،

المرأة الثالثة : وأن تلك الكلمة الأخرى ، رفيقة الحرية ، « الموت » ،
تاكل فى أحشائنا ،

الثلاث معا : كبذرة أزواجنا ، تكبر وتكبر ، فتملأنا -

هيه ، حامل من جديد فى السبعينيات ، فى الثمانينيات ،
لنلد - من جديد - أطفالا كثيرين ، ألف طفل ، أولاد
وبنات جزيرة ،

لنلد - من جديد - ميلو ذات الخدين المتوردين

يا الهى ، هل أصابنا الجنون ؟

يا الهى ، هل متنا وبعثنا كطيوف ليلية من الجانب الآخر
من العالم ؟

الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى -

نرسم الصليب على أنفسنا ، ها هى يدنا ، - نراها ،

انها ترسم شارة الصليب هناك ،

وهناك ظلها على الشرفة -

يد جديرة - آه ، يا الهى - بأن تحمل من جديد

الخبز ، والطفل ، والسكين ، والعلم .

(الفجر يشرق عن بعد ناحية البحر ، - وهج

وردى فاتن . كتلة جزر صغيرة مبعثرة هنا وهناك

تنبثق - لازوردية ، شفافة ، بعيدا ، كذلك الشفق الذى

يعود - الآن - الى ميلو . النسوة العجائز يتطلعن .
وجوههن تبدو وردية - وتظن أنهن يعدن الى الشباب
من جديد . ويطونهن تبدو - حقيقية - كأنها تكبر ،
وهناك ميلو ، هناك ، هناك ، الى اليسار أكثر قليلا ،
بكل بيوتها - ليست ذكرى وحلما - حية . الزجاج
يلتصق في النوافذ . وأربعة شبان رائعون عند الميناء في
الأسفل على الطريق الساحلي - اثنان في المقدمة واثنان
خلفهما . وعارضتان كبيرتان على أكتافهم . على قمة
العارضة ، يحملون كنيسة بيضاء . والفخار الأول
يمر مع حمارة الصغير المحمل بجرار وأباريق جميلة
الزخرفة . « صباح الخير ، يا سيداتي الكبيرات » ،
يقول . « هل قال لنا ذلك ؟ - » تساءلت النسوة
العجائز . « صباح الخير ، أيها الشاب الوسيم » ،
يجبن . يمر . « ألا يشبه ذلك ما يحدث في ميلو ؟ » ،
قالت احدهن . « الشاب ؟ الأباريق ؟ - نعم ، تماما
كما في ميلو » ، قالت الثانية دون انتظار لاجابة .
« انهم يشبهون تماما ميلو » ، قالت الثالث ، وفتحن
أذرعتهن الى البحر كأنهن يتمطين ، كأنهن يستيقظن
من كابوس رديء) .

(ساموس ، سبتمبر - نوفمبر ١٩٦٩)

حجرة البواب

* بياض كثير

خلف النوافذ الزجاجية ، الدكان الخاوى ، كله أبيض -
حوائط بيضاء ، طاولات بيضاء ،
على الطاولات صناديق بيضاء بها بيض أبيض .
فقط ذبابة كبيرة سوداء رفرفت أمام زجاج النافذة .
وكننت متأكدا تماما أن صاحب الدكان
قد توفي منذ برهة يسيرة في الحمام
والعملات في جيبه من بيع البيضات الأخيرة -
بياض كثير لم يطلق سراحه ، بياض كثير غير مطلوب ،
وحيد تماما ، باهر .

* أعمق

أكثر عمقا ، - قال - بل أعمق
(بايقاع - أيضا - في الهبوط ، باستمراره) -
هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة .
شيئا فشيئا تعتاد العين على الظلام .
تميز افتقاد الحوائط - افتقاد السقف ، افتقاد السلالم .
لا نوافذ زجاجية ، لا مرآة ، ولا الخزنة القديمة .
السبائن معلقة في الفراغ الأوسط بدنايتين .

وذبذبات خطواتك المبكرة الواهية
على أبريق اللبن النحاسي
الذي ترك في الصباح الباكر ، مع ندى الربيع ،
أمام بوابة الحديقة غير المحكمة ، البيضاء
أو على الأبريق الفخار الآخر
الذي تحمله على رأسها المرأة الصامتة •

✽ قرب الفجر

آخر الليل ، عندما يبدأ المرور في الخفوت في الشارع
ويترك رجال المرور أماكنهم ،
لا يعرف ما الذي يفعله بعد ذلك ،
ينظر من النافذة الى أسفل
الى التوافد الزجاجية للمقهى الكبير ،
المغشاة ببخار السهر ،
ينظر الى عاملي المقهى منكسرين في الضوء ، كاشباح ،
متجاورين خلف الطاولة الطويلة ،
ينظر الى السماء بثقوبها البيضاء ،
التي يمكن - من خلالها - رؤية عجلات الأتوبيس الأخير •
وبعد ذلك ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر »
يعود الى الغرفة الخاوية ،
يخني جبهته على كتف تمثاله (الأكبر من الطبيعي)
فيحس ببرودة الصباح على الرخام ،
بينما الحراس - أسفل في الساحة مع أحجار الرصيف
المكسورة -
يللمون شظايا الآلات التزيينية من طرود المنافي •

* استقالة جزئية

- هكذا حدث أن انقلب النهار فجأة الى نهار غائم .
- فقد الساحر قبعته الرسمية مع الطيور .
- وربط البهلوان حبله الى رجل المنضدة .
- فى الممر أوراق لعب الليلة الماضية مرمية مبعثرة .
- وفى الغرفة العلوية، الرجل الميت ممدد - وحيدا - على السرير
- بشبابه والحذاء متقاطع فى يديه ، مفتوح العينين ،
- يخلق فى السقف بذلك الغثيان الواضح
- من كل هذه الذرائع ، والالتواءات ، والأقنعة ،
- من كل هذه الأضرار فى البنتولونات ، وخاصة فى الصدرية
- عندما يكون الموت واحدا ، بلا نظير ، وحيدا
- وحوض الغسيل ذو المرأة المكسورة غير صالح للاستخدام .

* حركة

- توفيت أمهاتنا مبكرا .
- فكيف كبرنا على هذا النحو بين أيدي غرباء .
- صباحات شتائية مع كسرة خبز مغموسة فى ماء وقايل من
- سكر .
- رنين المنبهات قطع نومنا الى النصف .
- خرجنا الى الشارع دون اغتسال .
- ظللنا ننتقل من بيت الى بيت كل حين وآخر .
- وكنا دائما ما نترك خلفنا شيئا ما -
- صندوقا به بعض الكتب ، مائدولين مكسورا .
- سوف نمر - هكذا كنا نقول - ذات يوم أحد لناخذهم .
- لم نمر أبدا .
- وحقيبة الملابس هذه وسط الغرفة ، مغطاة بالخدوش .
- مع أربطتها المبعثرة على الأرض .

بالداخل تركنا تعويذة قديمة فى خيط أسود
مع تلك الصور المتسخة التى رأيناها ألف مرة
المزدحمة بنساء عاريات ، من النموذج القديم ،
لهن حوض عريض ، وخصر نحيل وصدر كبير .
أحدهن كانت ممددة ووجهها لأسفل كأنها تبكى .
كانت - بالفعل - تبكى أمام الحائط
ذى المسامير الصدئة التى يتعلق بها زوج من المقصات وحمانه
البنطلون .

✽ اقتراح

لا تتكلم بصوت عال ، فلا أستطيع احتمال الأصوات العالية .
فجميع يزعمون ، ما الذى يجنونه ؟ - قال
فاذا ما تكلمت برقة أكبر ، فسوف أصدقك .
المنبه خبأته فى صندوق الثياب ، -
فهو مصمم على تقطيع وقتى الى فتات ، كأنه من أجل عصافير
الشتاء .
لكننى لست طائرا ، - أريد وقتى سليما
بلا صرخات أو صخب مثل قطار ما بعد الظهر ، المنحدر فى
الشارع ،
أسفل طريق « ليوزيون » بعربات كثيرة ، واحدة وراء الأخرى.
محملة بالفحم والمجارف فوق الكومة .

✽ فناء

عميقا فى الفضاء الداخلى ، بلا أية أشجار ،
لكنه يضم الأشجار التى أصبحت مقاعد ،
وكراسى ، ومناضد ، وصناديق .
على صندوق الثياب تجلس المرأة الصامتة ، تغطى رجليها

تنظر الى اليرقة وهى تزحف على الأرضية -
يرقة خضراء ، لزجة تائهة ،
نفس اليرقة التى أكلت الخشب وتأتى الآن لتأكل البيت .
والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف .

* رقصة امرأة تجاوزت الشباب

لا تخبرنى • دعنى أأمن - تقول - اننى أأمن •
أقفز من شرفة الى أخرى ،
وأنا لا أحرك غير أصابع يدي واحدة •
أحل الستارة البيضاء • أرميها على كتفى •
أتذكر أننى حافية •
وهو ما يجعلنى أشعر بما يشبه الرقص •
أرقص فى الهواء • انظر •
قدمى اليسرى أكثر خفة • اليمنى أكثر مهارة -
اننى مطاعة ، انظر ، وموجودة •
فكل جبل ، فى طرفه ، فى حافته الأخيرة ،
له عقدة محكمة تمنعه من الانتقال •
أليس ذلك هو ما يحدث مع غير المتوقع ؟ - دائما فى النهاية -
آه لو أستطيع تعليم أحد ما هذه الرقصة •

* أبنية

أكنت أنت الذى علقت البطانية الصفراء فى الشرفة ؟
أكنت أنت الذى رسمت شارة الصليب فوق الخبز ؟
لقد كنت وراء الحائط • ورأيت ظل يدك اليسرى على الباب •
أما السكين فلم أرها أبدا •
الباقى أغفلناه كله -

كيف تشكلت الكلمات، كيف يتمشى حارس الغابة وحيدا على
التل ،

قبل حلول الليل والأحجار تنجدر -
تقضمها الكلاب ، تحملها الى النهر ، عند الرجل ،
حيث تغسل النسوة - فى هدوء - ملابس الميت ،
آنئذ تقف الكلاب بلا حراك ، وأقواها مفتوحة ،
تكشف عن أسنانها ، كأنها ما تزال تحمل نفس الأحجار
وتنظر الى أعلى -
هذه الأحجار التى بنينا بها البيت غير المأهول بلا سقف .

* اعتراف صعب

لقد كنت أنا الذى أخذت المسامير والأواح الخشب . فلا تخنى
كان بمقدورى ألا أخبرك . لا أستطيع .
بينما كان الآخرون يدقون ، وهم عرايا فى الشمس ،
صعد السلالم مرتديا ثيابه ، وربطة عنقه .
فتح الخريطة ، كبيرة تماما ، وأشار بإصبعه .
جعلنى أتجمد . فلم تكن الشواكيش مسموعة فى الدق .
الآن أعرف الفرق بين الورق والحديد .
فالعالم ينقسم الى اثنين .
وسواء وافقت أم لا ، فلن يتوحد .

* تحولات

تعاملت مع الدب الأسود برفق - يقول - فروضته .
فى البداية قدمت له خبزي ، ثم رأسى .
فالدب - الآن - هو أنا والمرأة .
أجلس على الكرسي ، أبرد أظافرى ،

ألونهم بالأحمر أو الأصفر ، أنظر اليهم ، يرضوننى •
 لا أستطيع لمس أى شىء • فأنا خائف من الموت •
 صنعت تاجا بعد ما تحررت من السلسلة حول رقبتي ،
 وضعته على جبهتي •
 والآن ، ماذا أفعل ؟
 على أن أقف مرفوع الرأس ، أنظر دائما الى أعلى •
 مع ذلك ، ففى منتصف الليل ، فى سهري الجديد ، ولا يهم
 كيف أمشى ،
 أسمع صدى خطواتى يتردد فى الأسفل تحت الباب المسحور ،
 بينما السلاسل الأخرى تتدلى من الجدران •

* علاقة

لقد اتهمت السيدة العجوز الوحيدة ،
 بفكها الملتوى ، وعينيها القاسيتين ، وأسنانها السوداء •
 الآن تمشى مع الكلاب وسط القاذورات •
 يداها طويلتان ، نحيلتان ، معتنقتان فى سمو بكر •
 تنظر الى نافذتك • ترمى لها منديلها الذى نسيته •
 تتركه يسقط على الأرض ، وتلتقطه ، تفتحه ،
 تضعه تحت ذراعها ، تصعد السلالم ،
 تضعه على عتبة بابك من الخارج -
 لا تدخل •

* ايماءة

ها هنا - مرة أخرى - شىء ما يستهويك ، بلا توقع ، شىء
 ما بلا أهمية
 كإيماءة امرأة تأخذ الورود الجافة من الزهرية
 لا تتخلص منها على الفور ، بل تتوقف ، تفكر ،

حركة مرجاة ، بل نادمة سلفا -
 اذا ما حادتها فلن تسمعك -
 ايماء صماء ، كالكلبة التي تضعها في قصيدة
 وبعدها تدور هنا وهناك متسائلا : « هل قلت شيئا ؟ »
 ولا تبالي بأن الحرب قد أعلنت
 وأن الطائرات الكبيرة تمزق الغروب
 بظلال سنوداء ذات خدين فوق الأجر ،

* مقارنة مهينة

المقهى ، والصيدلية ، والمخبز ، باب أحدهم بجانب الآخر ،
 أبعد قليلا محل الزهور الصغير .
 الناس لا يتوقفون .
 النساء ينظرن الى انعكاساتهن في النوافذ قبل حلول الليل
 مباشرة .
 خلف الحائط غير المكتمل في حقل الخبازي
 يرمى الجميع أشياءهم - صواني كرتونية ،
 زجاجات دواء ، أكوابا مكسورة ، فناجين ، زهورا عفنة .
 هناك مكان تجمع النساء والكلاب :
 يبحثون في الكومة بعناية ، بذهن شارد -
 لا يرون الغروب الذهبي ،
 يبحثون كالشعراء يبحثون عن القصيدة ،
 وأكثر النساء العجائز يؤسا ، المهجورات ، سعيديات
 بقشرة برتقالية جافة ، بجزء من امرأة مكسورة ،
 بزجاجة دواء زرقاء ما تزال تحمل
 الآثار البيضاء للحلزون المتشرد
 وفي جوفها صوت القطار الذاهب الى « لاريسا » .

* النوع الآخر من الدقة

عليك بالقياس جيدا ، وأن تحسب بدقة الحدود والأبعاد ،
بذلك ، تمد - منحنيا - عصا القياس على الأرض ،
مستغرقا - بذلك - في المرات التي قد تكون نسيت فيها
الحدود - من يدري - ،
فقد تكتشف الدقة الكبرى ، وحيدا وذاتيا ،
عندما ستلمس أصابعك - بالصدفة - على الأرض
مشبك حزام « هيلين » - الحزام الذي كانت ترتديه ذات مساء
وهي تراقب - من فوق الأسوار - معارك اليونانيين والتروجانز
وخلفها - كالمصير - الكلبة السوداء الحامل
تتبعها - منتشية - بعينيها الناعستين .

* لقاء غير متوقع

لا شيء ، بالطبع ، ينشأ بكامله من تلقاء ذاته .
وأنت أيضا لابد أن تبحث كي تعثر عليه .
في الصباح تدخل الشمس من النافذة الشرقية ،
تغير لون الكرسيين الأرجوانيين ، تبقى برهة ،
ثم تنسحب مخلقة وراءها الشعور بالسكينة -
هذا التلاشي الهادي .
وزهور السجادة التي داستها الأقدام ، لها حقها ،
لها آذانها التي سمحت في الأرض ،
تسمع الركض الايقاعي للخيول السريعة .
آنثى تدخل المرأة الصامتة ،
ولك أن ترى أنها حريصة على ألا تدوس هذه الزهور .

ما لا يصدق ربما يمكن قبوله من شخصين معا
رغم أنه لا يكشف نفسه - أبدا - إلا لشخص واحد .

* تعاطف

البيوت التى قضينا فيها حياتنا
 نفس البيوت التى نبحث كل يوم فيها
 فى الأقبية ، والدواليب ، والمصاييح ،
 خلف المرايا ، أو تحت الأسرة ،
 عن دبوس شعر ، صندوق مجوهرات ، ساعة مكسورة .
 عن علبة كبريت قديم - لم يعد يشتعل -
 عن أشياء كنا نعرفها فأصبحت فجأة
 مجهولة وبعيدة ، أو العكس تماما ،
 فى هذه البيوت ، تحت المناضد
 عن شريحة خبز بالية (من يدري من أى عشاء ؟)
 لا لنأكلها ، بالطبع (فلم يعد أحد جائعا) ،
 فقط لنكتشفها .
 ولو ان شخصا ما دخل الغرفة فى هذه اللحظة ،
 فائنا - نقضم الخبز فى الحال
 - رغم الخوف من كسر سنتنا الأخيرة ، -
 هناك فى شفق الأمسية الهادئة للغرفة ،
 فى الليونة العذبة العميقة للزمن
 فى تعاطفنا مع أنفسنا ، مع كل شيء ، مع الجميع .

* كلب عجوز مالمسوف

عرفنا هذا الكلب لسنوات طويلة ، - دائما هو
 دائما بعظمة كبيرة فى أسنانه ، لا هو يأكلها
 ولا هو يرميها من أسنانه (فكيف يستطيع بذلك أن ينبج ؟)
 الا اذا كان يختبئ - كل ليلة ، ونحن نائمون -
 ويقضمها فى السر ،
 ثم يجد ، بالتنقيب فى مكان ما - من يدري -

عظمة جديدة لليوم التالي ،
 الا اذا كان قد عرف أن النباح بلا قائمة أبدا
 أنه لا يحمي أحدا ، لا البيت ولا الحديقة
 لا النافورة ولا هو نفسه من القمر ، والزمن ، واللصوص .

* الى أعلى

كان ذلك كل شيء .
 من النافذة كان الناس يرمون عملات ذهبية .
 والآخرون ، في الشارع ، لا يأخذونها .
 ظلوا بلا حراك ، بلا صوت ينظرون الى أعلى
 ربما الى الجائعة ، المغلولة ،
 ربما الى الغيمة أو التمثال الطيني
 أو الى ذلك الخطاف الكبير
 حيث شنت العمة « أنسا » نفسها منذ سنوات .
 بعدئذ ، انحنوا وأخذوها .
 وبقيت أنت - من جديد - وحيدا في القبار
 تخفي يدك المبتورة في قميصك .

* توجيه

خطط اقتصادية ، خرائط ، فرجار ، أدوات رسم -
 لم نفهم شيئا من كل ذلك .
 والتخطيط ينتهي دائما الى فشل .
 نزلنا، ونحن نمسك بالحبل، نزلنا الى الأعماق في البئر القديم،
 ونحن نحس على أعقابنا بالبرودة المظلمة للأعماق .
 في فوهة البئر ، وهناك عاليا ضوء ضئيل
 (ربما كان طرف سجاثرنا المشتعل)
 والأحجار التي تهوى الى القاع
 حددت موقعا لنا داخل العالم المعلق .

* ونواصل

كل مرة ، اذ يقول « لقد انتهيت » ، لا ينتهى أبدا .
 ذات مرة تكون النافذة يستارثها الطويلة ، المسدلة ،
 وفى المرة التالية الرجل الأمامية للكرسى ،
 بعدها كوب الماء المنسى تحت السرير قرب الحذاء ،
 قبل كل شيء داخل الثلاجة - البيضاء بصورة مصطنعة -
 بالتفاحة الحمراء المقضومة التى ما تزال محفوظة
 وهى تكشف بوضوح تام آثار نفس الأسنان .

* على مستويين

خميلة الورد المتسلقة الجميلة
 هذه التى تنحنى على التعريشة الحديد - بلون أحمر داكن
 يتحول (من يدري بأية عملية سرية) الى قرنفل نبيل بمسحة
 فضية تقريبا -
 تتوهج مشرقة هذه الأيام الربيعية
 فتضىء السلالم الحجرية ، والحوائط الداخلية
 بل وفناجين القهوة داخل المطبخ ،
 هذا الغنى الوافر هو ما يستحضر فى الذاكرة
 فصول الخريف الماضية (والقادمة)
 عندما تغطي أحجار الرصيف فى الساحة ، والمخزن ،
 والصهريج ،
 حتى الغرف العلوية ، ودولاب المكتب ، والأسرة
 ببتلات ، وغصون ، وأشواك ، وأوراق شجر جافة
 ويكون عليك أن تكنسها بين الحين والآخر .
 ذلك هو السبب فى أننا - عندما نبلى اعجابنا بسيدة المنزل
 على خميلتها الوردية الجميلة - يا له من لون، يا له من اشراق -
 فانها بالكاد تبتسم بطريقة حزينة شاردة ،

كان الشيء الوحيد الذى تتمناه
لم يكن سوى خاتم رفيع حول اصبعها الصغير .

* بعد مقاطعة

عندما جلس ليكتب شيئاً بعد شهور عديدة
أحس فجأة أنه أشعث ، غير مفتسل ، مهجور
كأمرأة غير متزوجة تمر بالصدفة فى المساء -
بعد انشغالها طول اليوم بأعمال ترتيب البيت الروتينية -
أمام المرأة ، فتلتقط لمحة من صورتها العانس ،
لتدرك فجأة أنها طوال اليوم لم تنظر الى نفسها فى المرأة :
فهل شاخت ، اذن ؟ هل هى - الآن - ميتة ؟
ولماذا يكون عليها الآن أن تمشط شعرها ؟ -
لقد انتهى اليوم . ولن يراها أحد - لا أحد بعد ذلك .
تأخذ المشط الأسود وتبدأ فى تمشيط شعرها الطويل ، كله
الى أسفل
كانها تمشط صديقة ميتة ، كانت حميمة
وتباعدت فجأة بعينين مغمضتين ، ودمل صغير على أنفها .

* المعجزة

انها معجزة - يقول - بل وأكثر من معجزة :
هناك حيث استهلك كل شيء (وأنا فى المقدمة) ، اكتشف
وسط الحصى على الشاطئ الجمجمة المقدسة
لأحد أحصنة أخيل - ربما جمجمة « زانثوس » ،
اكتشف صولجان الأسقف وسط البابونج ،
أخذه فى اجلال ، وأصعد السلالم الرخامية .

لا أخبطه فى السلاالم ، الحشد يجتمع
أخطو على المنصة ، أسمع شعري ، المنسدل على كتفى
يصبح بلا حراك ، والحشد ينفذ صبره ،
يتدافعون ويتخبطون ،
أفتح فمى لأتكلم
أدرك فجأة أننى أخرس وأنهم يستطيعون أن يسمعونى .

———— أنجسد والدم ————

(١٠)

هناك حيث الآفاق رفعت بالحبال والبكرات والجواكت الممزقة
 هناك حيث السكين تبلغ العظم
 هناك حيث صرخة واحدة تعيد توحيد المدينة المتناثرة
 بعد أعوام وأعوام من قضبان حديدية ، ودخان ، تحرس
 السجن ، وسكاكين فى الظهر
 ألوان مشوهة ، سلال مشوهة
 وليس لك — حتى — أن تحب شجرة ، أو شقيقك ، أو نجة
 خلال شق فى الباب
 صعدت الأتوبيس ، هبطت فى المحطة الخطأ، صعدت أتوبيس
 آخر
 كان الزحام دافئاً رغم اللامبالاة الزائفة
 نظرة مختلسة الى جريدة الرجل المجاور لك أو الى عيني شخص
 ما أبعد
 هبوط القلب ، هبوط اليد الصغيرة على المنبه الكبير
 دم ينساب من منابح خفية تحت الضخور
 أعرفك — قال — من ظلك على الجدار
 من يديك فى جيوبك دون استغراق ذهنى كسول
 من عينيك فى أعماق العالم
 نزولا الى العمق « أعرفك بالنصل » — كانوا يرقعون أعلاما

أعمدة كانت تصعد من آبار سوداء
أعمدة فى شكل الآبار ، أعمدة معلقة فى الهواء
عمودا عمودا لبناء المعبد الهائل هناك فى الأعلى
شبان ونساء وقواصر نار مع خيول ، مع مسطرين ، مع ألواح
ملاط

عاليا نساك الحقة الأخيرة فى التاريخ الجوهري ،
صحت صباح الخير لثلاثة أيام وثلاث ليال وسط الغاز المسيل
للموع

مثل المشاعل • والسفن الحارقة فى البحار البعيدة
نيران فوق نيران ، دخان فوق دخان
أحرقت الثياب والحذاء ، الخطابات ، وبطاقة الهوية ، ايصالات
الضرائب

قصائد الحب الأولى فى جيبك السرى
الى هوية واحدة للفرد ، للكثيرين
— ماذا كان اسمها ؟ (يقول)
الى نار واحدة تلغى الليالى والليالى
عليك أن تقول اسمها (يقول) •

(٢)

أحدهم يكتب شعارات على الجدران ،
الآخر يهتف بشعارات فوق الشوارع ،
الثالث — داخل اطار النافذة — ينشد علنا « روميوسينى
روميوسينى »

حملوا الجريح الى المكتبة
ورقة عنب مثل الكف على الركبة الجريحة
تماثيل حزينة وسط الدخان — أين نسيت الحب
طلاب ، بناءون ، لعنات ، لافتات ، هتافات ، أعلام
الحب هو الحلم ، الحب هو العالم

الرأس المنحنية للمخبر ، ناس أكثر فأكثر يأتون
كبار وصغار ، تلاميذ مع حفنة جوز ، مع حقائب الظهر
طائران أحمران مرسومان متقاطعين على كراسياتهم
المتزوجون حديثا يطلون من حقيبتي المصور
يربطون أشرطة في البوابة الحديد
باعة أوراق يانصيب عميان، جيتار منتصب، مصابيح صيدلية
الليل يحل بالمدينة ، أرقام مضيئة ، مسارح موصدة ،
ختامات مغلقة ، قصائد سرية ، زهور مثقوبة
المشهد الطبيعي الخفى يصعد في السر فوق الليلة من الأعماق
اللانهاية .

الليلة هي أوان كل شيء - يقول
الليلة هي استمرار لكل شيء - يقول
الغد للانسانية كلها ، للمستقبل كله
ذلك ما قاله على السطح
كان يمسك بعجلة قيادة هائلة ويقود المدينة
وفي الأسفل على الأسفلت يمكن للمرء أن يسمع ضوضاء -
الزحام
كلب أسود ، سلة ، امرأة صغيرة
هذان ضحيمان للمهرج الحزين والكوب المكسور
والرائحة تأتي من شواية بائع الكستناء الكبيرة مثل سفينة .

(٣)

الشخص الذي كان يتكلم داخل نفسه وكان مسموعا بالخارج
الشخص الذي صعد الدرج الرخامي درجتين درجتين
الشخص الذي كان ينتظر في الساحة بشوكة طويلة
المرأة العجوز التي جاءت بالحبز والملح في منديلها المربعات .
الفتاة بالوردة ، الولد بالطائر والمنديل
الحشود التي تجلس متربعة على الرصيف ، والرموش تخترق
نظرات داخلية

جاءوا بأسبرين ، ويود ، وكحول ، وقطن ، وشاش
 هذا الشخص جاء بالنار فى كفيه ، كعصفورين
 مزقوا القميص أربطة
 وظلت صدورهم عارية
 لأنهم كانوا كثيرين فأكثر ، فأكثر يصلون من لحظة الى أخرى
 عبارات أخوية كتبت على عجل بأقلام حمراء
 رسائل قصيرة لثورة صامتة على الزجاج الأمامى للسيارات
 الشوارع تفضى الى هنا ، والآتوييسات تتوقف هنا ،
 والأيدى صفرت مزقا من بطاطين المنافى على أشجار الزعرور
 صرخات وفولاذ ، يخلع حذاءه ويحك أصابعه
 له قدمان قويتان ، باصبع قدمه الكبير يحفر حفرة فى الأرض
 ويدس مفتاح غرفته المستأجرة
 لأنه الشئ الوحيد الذى لا ينقسم ويمكن المشاركة فيه بالعدل
 ليس ملكك ولا ملكى لكنه - فقط - ملكنا
 الشوارع تنساب كأنهار فى الشوارع
 والحائط الأصفر يتخذ وهجا ورديا فى فجر السهر العظيم
 بينما فى جيوب الأولاد وآباط البنات
 شذرات من ترانيم قديمة ممنوعة تبحث عن مأوى ،
 أوراق دفلى طويلة ، وقرفة وحمص
 شباب ينزل عن دراجته ويقف على الجسر
 تحت الجسر كانت الأسماك الحمراء والخضراء
 وسمكة صفراء كبيرة تجر بأسنانها ستارة بيضاء
 هى التى تبقى بالبيت عندما نكون بالخارج وتحلم - فى
 ضبابية - بالمستقبل
 والخواتم تصلصل واحدا بعد الآخر على درجات الماء بأصوات
 صغيرة
 كأصوات قيود المساجين على القضبان الحديدية عندما يحل
 المساء
 أو كأصوات الطابعة المخبأة فى طابق تحت الأرض

والتي تواصل - من تلقاء نفسها - كتابة القصيدة القادمة
عن الأبطال الذين أعيدوا أخيراً .

(٤)

مبنى قديم باهت بسلمين دائريين من رخام
في الماضي كانت أشجار نخيل لا تراها الآن
منديل ملطخ بدم ومنى على العشب الجاف
كبقعة بيضاء في مركز الدائرة ،
المحيط اللانهائي طوى داخله المدينة ، والضواحي ، والساحات
البعيدة
باتيسيا العليا ، ثيماراكي ، بانجراتي ، جيزي ، كيسارياني ،
بترالونا

رائحة بطاطس مشوية في الشوارع الضيقة المجاورة للبحر
سفن صدئة قديمة ، سفن جديدة ، رافعات ، صناديق شحن
في الأسفل البعيد الصدى العجول للصوت الشاب في الراديو
وهج سيجارة ، وأبعد منها أسى الموت
شرائط حمراء ، سهر أحمر ، الحراس بالتفصيل الدقيق
ميجارا ترد ، نيسالونيكى ، فولوس ، بريفيزا ، ايونيئا ، دارما ،
أركاذى ، ميسولونجى ، ثيودور العجوز بخوذته القديمة
فيضان من الناس داخل البوابة ، خارج البوابة
كرسى مكسور ، أمبول كينين أزرق
كوب على الأرض ، العلم الثالث ، غصن موسيقى على العتبة
هنا حيث بقينا صامتين مع ثمرتي بطاطس مسلوقتين وخمس
سجائر

هنا حيث لم يكن لديهم ما يقدمونه سوى حياتهم
التي بدت لهم ضئيلة للغاية في ساعة الشباب العظيمة
الفتاة ذات الرداء الأحمر بكت
وبكى الفتى ذو القميص الأزرق

قمر كان يتنخل النخالة
ناس أكثر جاءوا ، عبروا ، وسيعودون بالفوانيس
فيما وراء الموت ، فيما وراء البعث ، ليسوا - أبدا - موتى
مقاتلون شيان ، عمال يومية ، رؤوسهم على صواني الكرتون
أى ، أى ، صاحت المرأة العجوز ، أولاد أولادنا ، أكثر من
أولادنا

سوف نمشط شعركم الطويل بأمشاط كبيرة للعرس الكبير
فاض الدم ، الدم يمتزج بالدم ، الوجوه والأيدى تصبح حمراء
أصبح الطريق أحمر ، والبيوت ، والخبز ، وشرفة آريتوسا
لقاء الأحمر بإعادة الشباب الى العالم العجوز
وطفل يجلس فى المنتصف ، محدقا فى أظافره التى طالت
فجأة بفعل الشمس .

(٥)

الربع ، الثورة ، المارة - أيهم الأول ، أيهم الثانى ، أيهم
الثالث

عيون ساهرة بلا شكل ، ضائعة فى نظرتها المتنقلة
المثبتة هنا ، هناك ، فى لا مكان ، فى كل مكان
الشفاه اشتعلت بكثافة الشعاعات
بالبحر وبمجهول الليلة القادمة
والأطفال الذين كبروا فجأة ، أشخاص منحوتون وسط الشعر
واللحي الحمراء

كبروا وكبرت - أيضا - أياديهم تجاه ملامح ثابتة
والشخص ذو النظارات ، ذو البنطلون المتعدد الألوان ، معه عام
على قمة الدرج

يهتف ، يهتف ، فيرمون جرائد فى النيران
هذا الشخص الذى يمسك بسيلاج السلم ، يصبح الحديد دافئا
فى راحة يده
والأربعة جلسوا على الأرض مع كراسياتهم ،

مع القوارير ، والدوارق من المعمل الكيميائي ، والصمامات
المفرغة ، وأجهزة ارسال الراديو
هؤلاء الذين يلتزمون السكون في انتظار
أن يسمعوا
الشخص الذي ينصت للهباء وسط الشمسيات السوداء
المبلولة في المر القديم
وسط منبهات فارغة تنطلق أحشاؤها بعنف
الشخص الذي قطع نصفين متساويين تماما
توحدا فجأة من جديد فيمارس الجنس مع تمثاله ومع العالم
ومضات متقاطعة ، تقارير اخبارية ، أعلام
أسنان تحت الأرض تقضم الجذور
ها هنا البداية الجديدة ، الأغنية المنفردة ، الليمونة المقطوعة
ملصق كبير على بوابة قبضات البروليتاريا .

(٦)

ضوضاء من جارات الصهاريج ، العرف المرتفع لليل
« أخوتي » صرخوا في البداية « أخوتي ، أخوتي »
ثم « قتلة » صاحوا « مرتزقة ، قتلة »
« حملة النقالات ، ببطء ، ببطء أكبر »
يخرجون ببطء ، يمكنون ببطء ، يعودون ببطء
فلتخبيء جمرة نار في جيبك الداخلي ، خبيء العلم
الباب الأول، الباب الثاني ، الثالث ، أصوات مكتومة ، خامدة
سيحين الوقت من جديد ، وستكون هناك أشجار ، وأصائل
على العتبات
مع كسرة منسية في فم أحدهم في مواجهة القمر الجديد
وقت متوقف يفتح الوقت ، والشوارع المضاء بالمصابيح
هنا يتمدد الموتى ، يتغطون بملاءة
يحسون بالبرد، ان لم نهتم بهم، سنحولهم في الغد الى تماثيل

واحد بقيثارة ، والآخر بسيف ، وآخر بطائر على كتفه وفردة
صندل فى يده

حافظنا على المقاييس ، نفس مقياس رفاقنا
نفس المقياس الذى يحتفظ به البروليتارى فى جيبه الخلفى
مع مشطه ومفتاح بيته

مع فصى ثوم وعلبة كبريت
واليد تعرف ، تبهر فى الظلام ، تعثر على الركبة ، وزجاجة
المصباح

تعرف أركان الصبر الأربعة ، الطبق الأرضى ، والسكين
وإذا ما تأخر الكبريت فى الاشتعال فلأنه ينتظر اللحظة
المناسبة

يتكى قليلا ، وينال قسطا من الراحة ، وبعدها من جديد
هناك على الرف الطائر المحنط - انه يتظاهر بأنه محنط
يجلس على القش ، فى انتظار بيضة سرية
داخل البيضة الريش ، والمنقار ، والأغنية
لقد صحت ، وتوقفت ، ركنت الى الصمت ، وسوف تصيح
آى ، آى ، أطفالى

تنهض عيون الموتى كى تستطيع الكتابة فى الظلام
عمت مساء فى رقة ، عمت صباحا فى رقة ، أقيس نبضك
القوى صاخبا صباح الخير .

(٧)

فى هذه الحكاية شارك الكثيرون وأيضا آخرون لم يظهروا أبدا
مختبئين خلف الذكريات أو خلف البوابات الحديد
أو خلف المصاريع القديمة المجفورة بأظافر الزمن
وآخرون أعدوا رغيفا كبيرا من خبز وحفروا بسكين الجيب
صليبا عليه

والنسوة العجائز تجمعن في المطبخ ، الرحمة يارب ، الرحمة
يسارب

وعين على النافذة والأخرى على المنخل
العين الثالثة على الشارع مع الشرطي ، مع الدخان ، والجنود
لأن المفرش على المنضدة يرفرف من جديد
وبآكتافه الدائرية الدافئة يدفع الطائر الآخر الى أعماقهم
والنسوة العجائز مؤهلات من جديد للحمل ،
بصرف النظر عن أن أطفالهن يلعبون مع الموت
وإذا ما فكرت أن تقول سأعود ، فستخشى أن يثبت من جديد
أنك كاذب

فالعقيات هائلة ، وهائل جبين الدخان المتعالى
والترزى ، والنجار ، والحانوتى أغلقوا جميعا دكاكينهم
والرجل المجوز جالس على ألواح الخشب يوزع أوراق
الكوتشينة المسروقة ، ثلاثة فى كل مرة ، لا يمكن تحقيق
الفوز

كم من المرات قلنا « آمين » فأطاحوا بنا من جديد
أطلت الفئران من ججورها ثم انسحبت مرة أخرى
بقية الجحور لم تكن للفئران ، الهواء يتخللها ، كانت مفتوحة
على الخارج

أجزاء من أبراج الجرس ، من الغيوم ، من لافتات محلات الجزارة
يد تحمل شيئا ما ، ساق بمفاصل متصلبة

لا تركع ، ففي طرقات على الرصيف مثل ساق خشبية ، مثل
حجر تدخل الباب

آنثى يتساقط الجبس عنها والحجر السابع يتداعى
فجوة مفتوحة فى السقف ، سماء بعين واحدة
سيأتى آخرون ويحكون الباقي ، لا تنس فحسب - قال
لا تنس ما جرى ، ما يجرى هنا والآن
والا - قال - فلا شيء يمكن أن يتحقق للتوافد الموصدة .
والأعين الحولاء

للآلات الوترية الملفوفة بعناية فى صناديق زجاجية وكرتونية
على يد أناس قدامى منسيين
للاوتار المحفوظة فى الدرج وسط ايصالات الماء والكهرباء
أو فى جيوب المعطف الأسود المعلق فى الدولاب بدون نفتالين
بينما الصخب فى الخارج يذوى، تمتصه طلقات البندقية الأخيرة
والأوتويس الضخم الذى يحترق فى ناصية « باتيسيون »
و « ستيرنارا » .

(٨)

هناك بالطبع أشياء بلا كلمات، لم تكتشف، لم يبحث عنها أحد
إذا ما حاولت أن تقولها ، فلن تكون - بعد - أشياء ،
ستتحول الى غبار أو دخان أو - فى أفضل الأحوال - ومضات
كلمات صغيرة ، عظيمة ، مكثفة ، كلمات الليل ، فراشات
الليل ، بيضاء وسوداء
تجتذبا النار ، تبتلعها ، فتحترق سريعاً
هسهسة واهية من قضة الدهن من أجنتها ، من قرون
الاستشعار
فرقة فى مكان ما ، ومضتان صفراوان أو زرقاوان
ومن جديد النار والأشياء - فى مواجهة النار - مضاءة أكثر
حمرة ، مكبرة
فراشات الليل مختلفة فى شعر امرأة
أو قرب زجاج المصباح - تلك لها أسماء مختلفة
مثلاً وقع الخطوات على الأسفلت
والصرخات التى تنطلق عبر كشافات عربات متوقفة
أربعة أجساد وأربعة أعلام تحت القضبان الحديد
أنا امرأة عجوز - تقول - تعذبت بألف موت
ارتعبت بألف واحد عشر خوفاً
لا من ألم أتكلم ، أعض على لساني ، أغزل قطعة صوف بمغزل

فيها ناس طيبون كثيرون وأعلام وقيثارات وذرة ودجاج .
 لن أكف عنها بأى ثمن ، وبهذا الغزل أصنع سفينة كبيرة
 وبكرة حمراء صغيرة من خيوط تبقت من سهر الأسبوع المقدس
 لقد أصاب الحبال امرأة عجوزا بلا أسنان - يا بنى - فلا بد
 ليدى أن تظلا مشغولتين بشيء ما
 والا فساخلع قميصى وأطوحه فى الهواء عارية تماما فى الشوارع
 اننى أعطى أطفالى لثلا يصابوا بالبرد لهذا يضعوننى معهم فى
 الزنانات
 وأنت تخبرنى كيف للمرء أن يناقش الأشياء ، كيف له أن
 يحولها الى أفعال
 أه يا سفينتى الصوفية العظيمة ذات الأقفاص الخشبية فى
 البحار المفتوحة
 تأتى فى العالم وتمضى لا تعرف حدودا ولا ينالها غرق .

(٩)

وعندما تركت الشمعة على بسطة السلم ، قالت : « انتبه »
 لثلا يلتقط ثوبك الليلي النار وأنت تمر بها حافيا ومشط فى
 يدك

وتحت السلالم تجمع أولئك الباقون على قيد الحياة
 ربما يقرعون الباب بقبضاتهم أو كموب بنادقهم
 لا تفتح ، سيكسرونه فى النهاية
 ظلال البراميل لا تغطي الجدار كله
 والرأس الرخامى ينتصب فوقهم ، يغمز برمسه ، فيفهمون
 يقل وقع الخطوات فى الشارع، يتوغل أكثر عمقا، داخل الأرض
 توقف شخص آخر ليبول على نافذة دكان المجوهرات
 سيعودون فيما بعد ليشعلوا نيرانا أكثر ، ليحرقوا كتبنا
 ليكسروا الأرفف الزجاجية ، أيده حجرية فى الرماد
 خزانات الكتب واقعة ممددة ، صور فلاسفة ، فى الممر زجاج
 نوافذ مهشم

جرائد ، رؤوس مشاجب ، خزانات قواقع ، شعر ، قوارير ،
طباشير

ها هو الدليل ، قالوا ، دعوا الصحفيين وهذا وذاك
مسموح ، يقولون ، فوضى ، لحي ، نساء ، قبلات على السلالم
حملوا البعض الى بوليس الأمن
والبعض الى الضواحي
وآخرين الى المشرحة

وما يزال آخرون الى أن يحفروا - على عجل - مقابر
أسماء مجهولة ، وشارع ، ورقم ، وعائلة ، وأم
وقال من جديد ، أمي آه يا أمي ، خاتم زفاف مهشم ، حوض
غسيل

انتظرنى بعد ثلاثة مبان
ففى ورشة الخشب تركت بعض الخبز وبصلة
للفت العلم حول صاريته ودسسته تحت مريلتى
لينخسنى فى ضلوعي ، فى عمودى الفقرى ، فلا يسمح لى
بالنسيان

فاذ يحل الصمت الثقيل ، فان اليقظة العظمى آنئذ تبدأ
هذه اليقظة التى لا تسمع الا فى مفاصل القتلى .

(١٠)

أهدأ صمت بعد الدبابات ، للموا العربات المحترقة ، والرماد
أزالوا الدماء فى الفجر الباكر
حملوا الموتى بعيدا الى البوابة الحديد ، والأشجار المحطمة
لم يعد الصغار الى بيوتهم
أشباح تطوف حول أكشاك التليفون
ومن نافذة الى نافذة وجه النار المنطفئة
عثروا فى الغرفة المستأجرة على الشخص المشنوق
والآخر فى الدولاب المغلق

والآخر وجبينه على ركبتيه كما لو كان يقرأ كتابه الأخير
مرأة صغيرة على المنضدة كانت مرمية مقلوبة، لا تريد أن ترى
قدر ، ومطفأة سجائر ، والكناري في قفصه بلا ماء وقد تيبس
كعظمه

ستبكي الفتاة عندما تعود ، لحسن الحظ تركنا لحانا تنمو
حتى لا تكشف أننا لم نحلق، فلا أمواس حلقة في الدكاكين الآن
ولا في أكشاك المحاربين القدماء - من يدري
طيور صغيرة فرت من النخيل العالى، وتوقفت في أضيق شارع
« جايار جايار » ، كانت المرأة تنادى في صوت خفيض ، كلبها
في الطابق الأرضى مات

مبكرا في الأصيل تضاء أنوار الشموارع كان الشموارع مريضة
والغرف القديمة مريضة وأسرّة الطلبة خاوية
والملءات ملطخة بسائل منوى جاف
والماء في الكوب يتظاهر بالنعاس حتى لا تتم خيانتة
الرجل الذى شرب قطرات معدودة من الماء مفقود ، لا ندرى
أين هو

أعلام صغيرة تتنفس كالمتأمرين داخل القمصان المزرة
وتدير الرقم باصبعك للمرة الرابعة، والخامسة، ولا من مجيب
تعود الدائرة - مع الصرير - الى وضعها ، دائرة ودائرة تبدو
الآن مثل صفر

وهؤلاء الذين أخفوهم في المقبرة يصيحون في الليل
ليست صفرا ، انتبه ، انهم يصيحون ، انتبه .

(١١)

يأتون ، يعضون ، يأتون من جديد ، خطوات مسموعة ، ثم
تتلاشى

الصمت متزاحم في الأركان ، كروت البريد التى مرت على
الرقابة من المنفى مبعثرة في الهواء

٤٨ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ومزق كبيرة من ورق خشن تشابكت
بين أرجلهم

من النافذة الصغيرة عاليا هناك ، تنظر لأسفل
أكشاك بها نظارات داكنة ، نظارات للشمس أو - بالأحرى -
للظلمة

الجرائد تتوافق بسهولة مع الأحداث الجديدة
الجيوب تصبح كافية للأصابع ، والناس ، والتاريخ
ترام قديم مرمى في الحقل وسط نبات القراص المبلول
والأشواك

معان أخرى تتجمع في تبادل حر في قبعة الشحاذ
المرأة العجوز تقول للفتاة : انتظري وسأغسل وجهك سأغسل
ثيابك

الرجل العجوز يشعل النار ، يضع قدرا عليها
مثل الزمن الذي ترك فيه « فانجيليس » وردة على المنضدة
وفجأة أصبح كل شيء مستحيل التفسير ، محيرا و - مع ذلك -
جميلا وإلى الأبد

وكنا محزونين لأننا - حتى - لم نفهمه
وتقول « مارثا » انها ليست تبريرات ، لا
ولا براهين تقول - في الصيف حينما ذهبنا الى الشاطئ
ها هو « بيتر » ، ها هو « ليفتريس » ، و « كاتينا » ،
و « نيوفى » ، و « كاكيا »

بعد توزيع الكراسيات كانت هناك قنافذ وقنديل البحر على
الرمال

حدس شعري عظيم بالفواكه والقوارب
فعندما يخلع الرجل ثيابه يدير العالم وجهه
وبين حصاتين ورديتين يمكنك أن تؤمن بعمل عظيم سيأتى
بالتأكيد ليمضى

قطرات صغيرة تسقط من الشعر بين حلمتى الثديين
تلك الأشياء التى نعتبرها زائدة كانت تعود : سلة من أغصان
الكروم ، ملأه بيضاء

قيلولة قصيرة فى الظهيرة وسط صنوبر الشاطئ والزيز
والا - تقول « ماريا » - فلن نعرف السبب فى النضال وفى
أى شىء
سيكون شعورا يستحيل نقله مثل بار مغلق على الكؤوس
المهشمة ، كما لو كان الذنب ذنبى
وكنت أقف بالشارع أنظر الى ما بداخل النافذة
فرايت احدى فردتى حذاءى مرمية هناك على القرميد رغم أنى
كنت أرتديهما
بل اننى انحنيت لأعقد رباطى الحذاء حتى أتأكد وكانتنا
موجودتين بالفعل
الى أن تذكرت أخيرا أننى خارج على القانون وخلعتهما •

(١٢)

ما أسموه - فى النهاية - مجدا أو عصيانا أو تضحية
يوم بالغ الشفافية كأن لا شىء جديرا باللوم قد حدث الليلة
الماضية

أبعد قليلا فى الأسفل كان يمكن للمرء أن يسمع الهتافات
اطارات النوافذ كانت تغير ألوانها ، وساد الأحمر
الموسيقى طافت فى مكان آخر ، وكراسى البارز ظلت خاوية
كانت النوافذ تتحول الى أبواب - كان يقول - « سأخرج »
وانطلق فى السماء بسهولة كبيرة
فوقها كل شىء طبيعى ، ومن جديد
تتحول النوافذ الى نوافذ مرة أخرى
أكثر ضيقا من ذى قبل ، أكثر انغلاقا
ثم الحائط وحده
ثم المسامير فى الحائط
قمصان غير مغسولة تتدلى من المسامير
أهنا سنبقى اذن ، أهنا سوف نجول ؟ سأل

الشيء الوحيد الذى التقطه كان باقة زهور سقطت على الضوء
بصوت مسموع
زهور بيضاء ، ما من واحدة أفلتت من الرباط المبلول
جاءوا بالاناء ، أخرجوا السمكة الذهبية ، وشربوا الماء
ومن المبنى السكنى عبر الشارع ، كان الناس ينفضون
المناشف

كأنهم ينفضون الغبار عن مصباح غير موجود
ما من أحد فى مزاج طيب ، عندما يسقط الليل
كيد مقطوعة فى كشاف الضوء المتلاشى لمحرك النيران
تنتصب المدينة مرئية على حافة الدخان مع الألواح المحترقة
دوافع غريبة تخلق مواقف غير متوقعة
تماما مثل الأكاليل الكثيرة على مدخل الجبانة
مثل نعش زجاجى يقف عموديا ويمشى بمحاذاة الأعلام
والبيت يقفز الى الاستاد ، ينتصب ملفوفا بالأسلاك والتهاليل

(١٣)

العلم هو الأسهل - يقول - فهو يتخذ شكلا بسرعة خاطفة
وخاصة لو انها الصالة بالمرآة القديمة والأحذية الملطخة بالطين
معطف المطر الأبيض على الحامل المتهالك، وتفاحتان على الكرسي
الأسود

رحلة سعيدة قال ، رحلة سعيدة ودولاب الملابس
يرقد مفتوحا على الأرض، مع مناديل مبعثرة، وملابس داخلية
وجوارب

احتمالات كثيرة ، نخيل ، أراجيح ، فاكهة ، بكرات
بلا حقيبة ، ديون ومسئوليات ، العلم سهل - يقول -
« يوريس » كان جالسا فى الحديقة يشاهد سيقان الفتيات
العابرات

تدلت حلقة ذهبية من أعلى
كان بائع الجوز أعرج ، ماهرا فى صناعة القراطيس من الجرائد

والآخرون على ارتفاعات عالية فى صندوق زجاجى طويل مع
حاسب اليكترونى
كانوا يتكهنون بالنبوءات ، يرتبون الآلات ، أية فرصة تلتها
لكن الناس - يقول - ليس لهم سوى يدين، ويملكون التضامن
السرى
رأس ثقيلة من الضرب فى الجدار
قصاصات من جرائد ممزقة احترقت فى مطفأة السجائر وأنت
عليك أن تتحدث عن الأشياء الصعبة ، الهائلة ، الواضحة ،
الاجبارية
مثل الحارس على البوابة الأسمنتية طوال ليلتين ، ثلاث ليال ،
يقاوم النوم
وكيف تجد الوقت لتأخذ من جيبه المرآة الصغيرة والمشط
لمشط الى الوراء قليلا شاربه الذى طال فجة
وما ان سقط فى النوم واقفا ، حتى أتى « كارايسكاكيس »
فى منتصف الليل ومشطه له

(١٤)

أولوية الماء ، والخبز ، والنوم ، تكرارات
الجذر التوى تحت النسيان ، سنلتقى من جديد
وفى ركن دكان الفاكهة ودكان الزهور ، هناك مقايضة ،
أضواء فى المساء
يمر القطار خلال النفق محملا بسمك مجده
وأصوات عالية محفورة على الصناديق الخشبية
آخرون يحتاجون الى التدخل ، وآخرون يتصرون ، وأولئك
يتسلاشون فى الابتعاد
حلاقو النساء فى باروكات حمراء يعودون الى البيت فى « الفجر
وعمال المصانع بالمفكات ، والزرديات ، ولفات ورق
موسيقىون عريان يدخلون المحطات ، يغنون عن المدينة الخائنة

عجر ، وعرافون يدخلون : « سيكون حظك عظيما »
والأسود سينقلب الى أبيض ، فاترك لحيتك تطول الى صدرك
وعندما تدق الطبول الصفيح في الليل ، انتظر في موقف
الأتوبيس

فهناك منزل من زجاج مضاد للرصاص
بداخله يمكن للمرء أن يرى بيانو كبيرا ، ومقاعد جميلة ،
وصورا .

في الغرف التحتية تتأمر القثران
وصلنى خطاب بمظروف جنائزى أسود، سيشعلون الشموع،
ويروون حكايات
عن الموتى ، عن الأطفال بالمقاليع ، عن أشجار الصنوبر في
العاصفة

سفينة غريقة ، قمر تهشم بصورة رأسية
عمال التلغراف في مواقعهم
والفتيات الكاتبات بأظافر ذهبية ينتظرن الوثائق الأخيرة
لا أستطيع احتمال هذه الهيولى - يقول - موقد الكحول ،
الكوب ، أعقاب السجائر ، وشعري
أقضم اصبعي ، أضغ نعلا ثانيا لحذائي العسكري
لأنصت الى الجذر في الأرض وهو يصوغ الأوراق في عقله .

(١٥)

نقلنا الموازين في السر ، وزنا اللحوم ، والكلمات ، والسكاكين.
والساعات

كتبنا أرقاما في كراسيات على المناضد
ونحن نجعم ، نطرح ، نضرب ، نقسم
ودائما ما يجيء المجموع ناقصا ، فنبدأ من جديد ، كنتم
مخطئين

وكانت « هيلين » واقفة عند الباب ، مضاءة

بفعل نافذة دكان الألبان عبر الشارع، وجبينها ملون بالأزرق
الفاصح

الوهج الوردى تحت ذقنها ، وشعرها بنفسجي
لا بد أنها أنهت حساباتها

يدها اليسرى كانت غاية في الرقة
ولا بد أنها قد أجابتك اذا ما كنت سألتها
وانحنى رأسها كأنها قالت : « نعم »

أتوبيس يمر كل عشرين دقيقة
وعليك أن تحسب بدقة كي لا تنتظر
الضوء أكثر كثافة في الحفر الطينية
ول « فانجليس » شهوة - عمياء مثله عندما يتجه للنساء
وثيابه تفوح برائحة نكاح ونيكوتين
الشبان الآن يدخلون أكثر

وهكذا الفتيات أيضا ليقبلن الفارق بين الجنسين
فيما بعد عندما ذهبت الى الغرف العلوية
صدمتني مرة أخرى رائحة الأنتيمون غير المشروع
الا أنني لا أستطيع النسيان ، فصحت بصوت أتلى لأعطى
نفسى

وكان « بيتر » واقفا بصورة صارمة عند الباب
وصوت الآلة الكاتبة كان مسموعا خلف الستارة
وكل واحد كان يفكر في عزلة ، لا يعرف الموتى شيئا عن هذا
المجد

والموت يصبح أكثر صعوبة، ستبدأ المساومات والمضاربة حالا
قيمة الخصوصية - يقول - البعد المسطح للمكعب - يقول -
علقوا منشقة حمراء هائلة في الحمام
تغطي الحمام كله بقرميد أسود لامع
وفاح بصابون معطر ، ولوسيون ، كولونيا ، معجون أسنان .
وشعر مستعار

لم تكن هناك رائحة لجسد انساني ، أو منى . أو لقنن
رياضية ،
أو لقم قب - بعق ، خرجت لأبول على العشب .

(١٦)

كانت الآتوبيسات تجيء من المناطق المجاورة النائية في
الصباح الباكر

حشود ، عمال ، موظفون ، أطفال ، نساء بماكياج قليل
كعك السمسسم ساخن ، جرائد ، كانت المدينة مهجورة في
الصباحات

نفس الحركات ، نفس العناوين السوداء ، ضباب خفيف
معطف رمادى ، مثقوب بالعثة ، فى « هافتيا »
وبينما كل شيء يبدو كما هو ، كان واضحا أن شيئا ما قد
تغير

فى هذا الوجه قطع من حلقة متسعة
وهذه الفتاة الصامتة ، شعرها طوحت لأعلى هبة ربح سرية
سوف تخونها

وهذا الولد يده اليسرى فى جيب بنطلونه ما تزال تتشبث
بانتصابه الصباحى - البلدوزر يبدأ فى العمل
هذه الضوضاء ضرورية لتغطي الصمت المحصن
تمضى مع الوريد ، مع الطرق داخل المعابد
زوج من الزرديات على الكرسي ، حلم بلسان مقطوع
منشار على الأرض ، مشط فى الجيب الخلفى للبناء
سلم ، أغنية متشظية بكلمات أخرى
صندوق خشبي مع قطرات طلاء

فعاليا فى مواقع البناء هناك أسمنت سريع الالتصاق
وبذلك فلم تنس هذه الليالى مع الشبابيك الحمراء
نيران فى الأرصفة ، الأصوات الحرة للمسجونين
الانسجام الكامل ، المنطق البسيط ، السيجارة المشتركة
النساء العجائز وكل واحدة معها حقيبة سكر ، وقليل من
القهوة ، والبرتقال

الكلمات والأشياء التى تنتمى لنا جميعا ، قال
الليلة العظمى تنتهى بالأعلام .

(١٧)

ما قد قيل مراراً عديدة كان يعود بمعان أخرى -
 لأليكوس يحزاهه المشدود تعبير طفل غاضب بعد مشاجرة
 بقذف الطوب
 خلف ظهره أشجار وأنهار صغيرة مختبئة
 و « مارثا » ترتدى ثوبها الأزرق ، وشعرها
 مصفف على طريقة يوم أحد قديم يجيء من المستقبل
 « ديمتری » يبين من الحائط ، ينقلب الحائط خلفه
 كيف لجبل أن يقترب وليس معه سوى شجرة واحدة وخطي
 منحوتة في الصخر
 وتحت الشجرة نبع تطفو فيه الأوراق .
 غريب - تقول « ماريا » - لقد احتفظت بشمعتين في الدرج
 ذاتنا دون أن أشعلهما ، لم أجد سوى الذبالتين الصغراوين
 أشياء كثيرة تحترق من تلقاء ذاتها مستسامة لزمنها الخاص
 في الليل وأنا نائمة أسمع ناقلات ضخمة
 تدخل فناء الكنيسة ، أدير مفتاح الضوء
 أنظر الى صورتى في المرآة وأبدو مشابهة كثيراً لنفسى
 مشابهة تماماً لشخص غريب
 أريد أن أرسم وجهى أحمر ،
 و « ميروبي » كانت تأتى بورد من الحديقة كأنها أصيبت
 بفقدان ذاكرة مفاجئ
 ولهذا يبدو الرجال - مع ذلك - مقطوعين من قماشة أخرى
 - فلاخضر لك بعض الفاكهة من الثلاجة
 هراء - قال « الكسندر » - هراء ، لقد رأيتهم
 غرسانا وسيمين على جيادهم السوداء الطويلة
 وحوافر الأحصنة لا تكاد تلمس الدرج الرخامى
 اندفع الراقصون المحاربون نحو المعبد وهم يمسكون بـ
 كانوا يقفون ساكنين أمام الأيقونات ذات الحجم الطبيعى

عيونهم - شرارات مثبتة على العيون المرسومة
 غضب على النكران واستبدال القديسين
 الكبرياء الرجولى فى مواجهة الأسى الواهى
 لحظة واحدة وبعدها قبضوا على الأعنة واندفعوا فى الشمس
 خلفهم كانت الدراجات البخارية تسرع ، لم تستطع أن تلتحق
 بهم
 انكسرب نظارة الرجل القصير النظر على العتبة
 والقلنسوة السوداء الخشنة تتماوج على الصخور كغابة
 أشجار كاملة
 فلتتذكر التاريخ فى لحظاته العظيمة
 أما الباقي فعويل على الهاربين والمختفين

(١٨)

ثم أصبحت الضواحي مهجورة ، تلاشت الأشجار
 أصيل أصفر طويل كان يتدلى من مرآة الحلاق
 وعربة يائس الجوز مهجورة أمام دكان النجار
 عندي صداع نصفي - قالت « مارثا » - طنين من أشياء
 لا أعرفها
 تلك التى حدثت وتلك التى لم تحدث بعد
 وأنا فيها بنفسى ، أمسك مشطاً لكنى لا أمشط شعري
 اننا نتردد بين خوف وانتصار - قال « اليكس » - عند نقطة
 مجهولة
 ومعنى التأخر نفسه غامض
 ماذا عن ، من أين ، من أجل ماذا صنعت ثقباً - تقول « أنا » -
 فى زجاج النافذة
 ثقباً ناعماً دون تهشيم الزجاج ، أدس اصبعي فيه
 كأننى أبحث عن عين غريم يمكنها - رغم ذلك - أن ترى
 انه من نقص النوم ، يقول « بيتر »
 بل هو من الانتظار - تقول « مارثا » -

وهو بسبب شيء ما علينا أن نفعله ولا ندرى ما هو ، أو كيف .
أو متى

والشموع تنطفئ أمام الباب أو تتلاشى وراءه
عندما تغرس عصا في حفرة الجير الحي
وتتوقع أن تعثر على معنى الايماء أو تعثر على كلمة
لأن ذلك لابد أن يحدث باستمرار

والا ما حدث شيء
ولابد أن الشباب الذين قتلوا غاضبون علينا
وسوف يجلسون في المساء على مقاعد وطيفة متظاهرين
بتطريز كيس وسادة
لثلا يروا عيوننا التي فقدت الهدف
وسوف يرفعون الصمت الى أعلى مثل فتيل المصباح القديم
المنسى

وعندما دخل الكلب الحجرة أحس بندمنا فورا من دخان
السجائر الكثيف
فتظاهر بأنه لم يفهم شيئا ، شد - فحسب - طرف ثوب
« ماريا »

وخرج بلا صوت كأنه يرتدى حذاء من مطاط لرجل ميت
آنثذ نهضنا في الحال جميعا ، خرجنا الى الشارع في منتصف
الليل
وكتبنا على جدران المخبز ، ومصنع الأسمنت، ودكان الزهور
نفس تلك الكلمة المتجانسة

انتاجاراج انتاجاراج انتاجاراج
وبعدها سمعنا بوضوح فوقنا التنفس العميق للأعلام المخبأة

انتاجاراج انتاجاراج انتاجاراج
ذلك ما كانت تهتف به الأعلام .

* * *

أثينا ، كالاموس
١٧ نوفمبر / ١٩ ديسمبر ١٩٧٦

القصيدة مكتوبة في الأصل بدون علامات ترقيم

روميوسيني : قصيدة ريتسوس التي قام ميكيس
ثيودراكيس بتلحينها • وقد تم منعها خلال
الحكم الديكتاتوري • وأصبحت رمزا للمقاومة •

ثيودوروس كولوكوترونييس : أحد قادة حرب الاستقلال
اليونانية •

جورجيوس كارايسكاكيس : أحد أبطال حرب الاستقلال
اليونانية •

الأتيمون : أحد العناصر الهامة للخليط المستخدم في
الطباعة • « الأتيمون غير المشروع » إشارة
إلى مطبعة سرية •

مختارات من القصائد القصيرة

* ضسوء

غصن صغير من شجرة لوز
أمام النافذة ،
غصن صغير فحسب
يخفى نصف القرية •

الحب يخفى بكفه
كل العالم •
لا يبقى سوى الضوء •

* وحدة صغيرة

فى ركن الفناء ، وسط المياه الصابونية
افحنت بضع وردات تحت ثقل أريجها •
ما من أحد أبدا تشمم هذه الوردات •
ليست هناك وحدة صغيرة •

* الخيال والواقع

« أفعال تافهة » ، قال « ناس تافهون ، أثاث تافه » ،
زهريات ، مطفآت سجائر ، محابر ،

• مناضد عرجاء ، أسرة غائرة – تكرارات «
 أمسك بنفسه ، بكلتا يديه ، من الهواء ، كما لو من عارضة
 سقف لا مرئى وظل هناك ، معاقا •

شخص ما عابر ، برغيف خبز فى يديه
 توقف برهة وسأله : « ما الذى يجرى ، يا صديقى ،
 لماذا تسحق قديميك ، لماذا ترفع ذراعيك عاليا ؟ »
 وقطع شريحة خبز وقدمها له •

أخذها الآخر ، وضعها فى فمه ، نظر حوله مذهولاً
 وهكذا ، مع امتلاء فمه ، بدأ الكلام
 فى وضوح ، فى بساطة ، فى دفء ، وتقريباً فى بهجة •

* مشهد ريفى طبيعى

• منضدة فى برودة الغرفة ، ثلاثة مقاعد •
 • عنب على المنضدة ، ماء مثلج •
 • حمرة الطماطم فى مقابل الطبق الأبيض ،
 • رشح الملح على القطع فى لحمها •
 • أسماء صغيرة لخضروات وفواكه تنتشر فى الصالة •
 فى المرأة على الجدار ، السماء • وخارج الباب
 خس ، وكثرى ، وفول أخضر ، وبامية ، وباذنجان –
 حديقة الله الصغيرة • كيف يتمشى
 الغدير فى خطوات قصيرة ، صغيرة متقافزة • نعمة •
 • يد ترسم شارة الصليب •
 • ظل اليد متواضع على الآكواب •
 مشهد طبيعى صغير ، جليل ، فى اتساق • بعد ذلك بقليل
 ترمى يد القداسة الهائلة المعقودة

ظلمها على الظهيرة الذهبية ، الباهرة .
الهي ، فلتكن مشيئتك ألا تسمح لنا برؤية ما أمامنا ولا ما في
الوراء .

* ظهيرة

الشمس هنا لا تمزح - هذه الشمس الحانقة ، الجبارة .
بحاجبها المعقود ، بفكها القوي ،
بصدرها ذى الشعر الكثيف العارى من الكتفين حتى البحر .

شهر . شهران . شهور .
أحسيناهم جميعا ، ظهور محملة بالحجر والفزع ،
أصعب معني ينقر كتف الأبريق
ليسمع صوت الماء بالتأخل ،
مثلا نسمع صوت المرأة خلف الباب ،
أو مثلا نسمع المرأة صوت أصغر نجمة ،
أو مثلا نسمع النجمة ثغاء الفسق .

ظهيرة مديدة هنا ،
مديدة كيوم أحد في الريف بلا أطفال
- ظهيرة تدوم من الصباح الى المساء .

لو كنا أقل عطشا، لما فكرنا فيها ،
لو كانت هناك شجرة على منحدر في قمة الجزيرة ،
لو كانت هناك حفنة ظل ، مرارة أقل ، ظلم أقل .

لا نتذكر شكل الشجرة - أربما
تشبه راية هائلة من ماء ؟
أتشبه « شكرا » سمعت منذ زمن بعيد ؟
أتشبه يدي حبيبة عثرت على يدك ؟
بعد غد سنفرس ألف شجرة .

* اعتياد

شمس من حجر ذهبيت معنا
حارقة ريح الصحراء والأشجار الشوكية .
استرخى الأصيل على حافة البحر
مثل بصلة صفراء عارية في غابة غامضة بالذاكرة .
لم يكن لدينا وقت لهذه الأشياء - ومع ذلك
فبين الحين والآخر كنا نرفع أبصارنا ، وهناك على بطاطيننا
مع الأقذار ، وبقع الزيت ونوى الزيتون
بقيت بضع أوراق من الصفصاف، وبضع أوراق من الصنوبر .
وحتى تلك التي كان لها وزنها - أنواع عادية من الأشياء -
ظل مذراة على الجدار نحو الغروب
وقع حوافر حصان في منتصف الليل
مسحة وردية تتلاشى في الماء
فتترك الصمت أكثر وحدة في يقظته -
وفي الأسفل وسط القصب والبط البري ، الأوراق المتساقطة
من القمر .

لا ، لا وقت لدينا - ما من شيء نحتفظ به ،
عندما تتخذ الأبواب هيئة الأيدي المعقودة
والطريق هيئة رجل يقول « لا أدري شيئا » .

ومع ذلك ، عرفنا أن في البعيد عند المفترقات العظيمة
كانت هناك مدينة يضيئها ألف نور ملون
حيث يحيى الرجال بعضهم بإضاءة رأس بسيطة -
نتعرف عليهم من أيديهم
من الطريقة التي يقطعون بها الخبز
من الظلال التي يرمونها على مائدة الغداء
عندما يزداد كل صوت ناعسا في عيونهم
وترسم نجمة وجيدة صليبا على وسادتهم *

نعرفهم من الكفاح الذي يجعل جبينهم
بل الأكثر من ذلك - عندما تعمق سماء الليل في الأعلى ،
نعرفهم بطريقتهم المتآمرة ، الرصينة
وهم يفتحون قلوبهم كمنشور سري
تحت الباب الموصد للعالم *

✽ غرفة الشاعر

الطاولة السوداء المنقوشة ، والشمعدانان الفضيان ، وجليونه
الأحمر .
يجلس ، غير مرئي تقريبا ، في مقعده الوثير ،
وظهره دائما الى النافذة .
من وراء نظارة ضخمة يراقب - في حذر - كل زائر
يسقط عليه الضوء الكامل ، وهو - نفسه - مختبئ وسط
كلماته ،
خلف أفنعتة في التاريخ ، بعيدا ، متيعا ،
وهو يشد الانتباه الى شرك الوهج الرهيف الخاتم من ياقوت
في أصبعه :
انه على أهبة تذوق عباراتهم ، مثل مراقبين ساذجين
يبللون شفاههم في تباه - بلسانهم *

ويجلس هناك ، شرها ، شبقا ، ماكرا ،
 امرؤ بلا اسم ،
 متارجحا ، بوجوده كله كدفتى ميزان فى يد الله
 متارجحا بين نعم ولا ، بين الرغبة والنسم ،
 فيما الضوء من النافذة وراء رأسه
 يتوجه بتاج المغفرة والطهارة •
 « لو لم يكن الشعر غفرانا » - يهمس لنفسه -
 فلا انتظار - اذن - لرحمة فى أى مكان •

✽ لا ، لا

هذه الأشياء البطولية ، الغاتنة (ربما الساذجة - الغاتنة ،
 مع ذلك) -
 الأحجار البيضاء الضخمة ، المطارق ، وهؤلاء العرايا
 فى الورشات (معظمهم مصارعون ، وملاكون أشداء)
 وساقان انفرجتا فى توازن زائد ، لا ، لا ،
 ذلك ليس شيئا مضحكا - يقول ، انه يتجاوز الأسى ، -
 ذلك الكلب المهزول ، المغطى بالقراد والقروح ،
 الذى يشرب ماء قدرا من دلو الغسيل
 المتروك بجوار التماثيل شبه العارية للأبطال الموتى •

✽ آئند والآن

كانت الآلهة دائما ما تتدخل فى اللحظة الأخيرة
 لتمنح ما هو أسوأ من الوقوع •
 فقبل أن ينهى الرسول الكلام ،
 أو قبل أن يكتمل تشكيل صورة دمار السفينة فى ذهن الملك ،
 كانت آئينا تظهر على سطح المعبد ،
 فتخاطب الملك البربرى واليونانيين الذين جذفوا بعيدا

غى زورقهم ذى الخمسين مجذافا : « المصير » ، أعلنت ،
 « هو واحد لكل من الآلهة والمخلوقات »
 ولهذا فغضبك يا « ثاوس » ، ليس مناسبا .
 أما أنتم أيها الآخرون - أتمنى لكم ابصارا صيحوا .
 لكن الآن لم تعد هناك آلهة ، ونخاف الأسوأ -
 ذلك الغضب المناسب - حتى ولو كانت سفينة أوريس
 قد تحطمت بالفعل على الصخور فى الأسفل ، حتى ولو لم
 يبق منها
 سوى لوح خشب وحيد ظافيا ، منقوشا بكلمة
 الصمت »

✱ المدينة الأخرى

هناك قفار كثيرة تتداخل - يقول - صعودا وهبوطا
 وأخرى فى الوسط ، قفار مختلفة أو متشابهة ، بعضها
 اجبارى ، ضرورى ،
 وبعضها كأنه اختيارى ، كأنه حر - لكنها دائما متداخلة .
 مع ذلك ، فى العمق السحيق ، عند المركز ، هناك قفر وحيد
 - يقول ،
 مدينة جوفاء ، كروية تقريبا ،
 بلا اعلانات إلكترونية متمدة الألوان ، بلا بقالات
 أو موتوسيكلات ،
 وحده الضوء الأبيض القارغ للضباب ،
 تكسره ومضات اشارات غير مألوفة .
 فى هذه المدينة ، عاش الشعراء لزمان طويل ، طويل .
 يمشون بلا صوت ، أيديهم معقودة ،
 يتذكرون مشاهد وكلمات وأشياء منسية ، غامضة ،
 هم - الذين يمنحون العزاء للعالم - دائما بلا عزاء ،
 قريسة للكلاب والناس ، والعثة والفئران والنجوم ،

قريسة أيضا لكلماتهم - هم أنفسهم - التى نطقوها أو لم
ينطقوها .

✽ حفلة تنكرية

وسط الأقنعة الكثيرة فقد وجهه ، ينظر -
القناع الأحمر ، الأزرق ، الأسود ، الأصفر ، وذلك القناع ،
البنفسجى مع الترتير حول الفم والعينين ،
أول هذا الآخر باللحية المتعجرفة الطويلة - انه أول ما ارتدى
عندما كان فى العاشرة - كان يناسبه تماما
(وثبت أنه كان حقيقيا بشكل كامل تقريبا بعد حوالى خمسين
عاما) ،
والقناع الأبيض ، الجبسى ، بعينه الخاويتين وبلا أنف ، كأنه
يمثل موته ، -
كان يريحه ، ارتداء كثيرا ، ولم يكن سوى
وطوبة الجبس وذلك الغبار الدقيق ،
كان خائفا من أن يلتصق بجلده (آه ! هذا القناع كان وجهه
حقا) ،
هناك على الجدار - انه هناك ، معلق ،
يدس غليون بحار بين أسنانه ، يضع نظارات شمسية على
عينيه -
عينين غائرتين ، عيالوين ، تحدقان فيه ،
تدفعانه الى اختيار جديد - مرة أخرى ، القناع الأحمر ،
الأصفر ، الأزرق .

✽ ركود

تلك هى الكيفية التى اعتدت بها على كل شيء - قال ،
حتى تلك الأشياء التى ربما أدهشتنا ذات يوم ،
هى الآن عادية وبالية .

وليست المسألة فحسب أن الأشياء تذوى
 فعيوننا أيضا تذوى - الآن يتجنبون النوافذ الملوثة ،
 والأضواء الصناعية القوية - يفضلون الآن الممرات الممتدة
 أو الطرق السرية المتماثلة - تماثلها يشبه الأبد •
 ولم تعد تراها غريبة أن تبدأ السماء في الهطول عند الفجر •
 أو أن تدق ساعة مبنى البلدية الثانية عشرة في الظهر •
 والساعات المتروكة بالخارج لا مبالية ، وحيدة •
 مكشوفة في العراء ، غير مشبعة أبدا •
 امرأة مجهولة تتجول في المنزل ، شعثناء •
 وجواربها النايلون ترتخي راكدة •

✱ التناقضات المعتادة

الكلمات - قال - الكلمات التي لم تنطق ، رفقتنا الوحيدة •
 ندرسها ، نقيمها ، تقيمنا - يتعمق المشهد الطبيعي •
 لا تعثر فحسب على عظام ، بل أيضا على أجنحة وأجساد
 جميلة -
 ثلاثك ، ثلاثهما ، تتلاشى ، ها قد رحلت •
 يعثرون علينا خلف الأبواب ، الجدران العالية ، متخفين -
 تعرف ذلك - انها الوسائل الوحيدة للتواصل •
 الحوائط الخشبية بين الغرف تتحول الى زجاج •
 ترى الكلمات وهي تسقط على منضدة الطابق التحتي العارية
 بصوت أجوف
 مع حشرات الليل حول المصباح الخارج على القانون •

✱ ازدهار غير طبيعي

أراد أن يصرخ - لم يعد يستطيع الاحتمال •
 ما من أحد كان هناك ليسمع ،

ما من أحد اراد ان يسمح
هو أيضا كان خائفا من صوته ، فأغرقه بداخله ،
لا بد لصمته أن يتفجر .
ولسوف تتناثر شظايا جسده في الهواء .
سوف يللمها بعناية ، بهدوء ،
يعيدها الى أماكنها ليسد الفجوات
وإذا ما عثر بالصدفة على خشخشة ، أو سوسنة صفراء
تجيلة ،
فسيلمها أيضا ، ويضعها في جسده ،
كانها كانت جزءا منه -
هكذا كان ، مع امتلائه بالفجوات ، مزدهرا غرابية .

* حفريات ١

٢٢٠٠ ق م ، ١٩٦٥ ق م ، ٨٢ م - زهریات فاتنة ،
معبد أبولو ، الساحة العامة، أبعد في الأسفل النبع المقدس،
عملات ذهبية ، وفضية ، وبرونزية ، محفور على أحد وجهيها
« بيرين »
و « بيجاسوس » على الآخر ،
المنصة حيث وقف « بول » ليدافع عن نفسه أمام القنصل
« جاليو » ،
أجزاء من مبنى ، وأساسات ، وجدران ، وأجساد ساكنة من
حجر ،
سلالم بلا حصر ، سلالم بيضاء الى أعماق الأرض .
« أنا ، عزيزتى أنا » ، تمتعت المرأة العجوز .
« ما فائدة كل هذه السلالم ؟ »
نصف خطوة الى أسفل فلا يمكننى العثور عليك فى أى مكان .
واصل السيد « ويليامز » حفرياته الرائعة .
وعلى أحد الأجناب بالخارج ، كان جورج المراكبى يزور بنطلونه .

ومض مشبك حزامه فى الشمس -
 تماما مثل حزام بوسيدون الكورنثى *

✽ حفريات ٢

عليك بالمواصلة ، الى الأسفل أكثر ، أعمق -
 ينقصك اصبع ، يد ، ينقصك ضلع ، والسيف ، والعنب
 الذابل - فلتواصل *
 القديم يكملنا * ما الذى يمكن أن يأخذه فى الحاضر منك *
 لكننا نحتفظ بالآخر - رفيقا سريا ، مفيدا فى التمشيات
 المنفردة
 عنه النزول الى الموانئ القديمة فى ليشاى وكينشيراى
 وكورنثة
 أو هنا على شواطئ ساموس *
 فى أصائل الصيف الحار يرثشف أهل سيكيون السوداء
 المثلجة فى مقهى كياتو ،
 الآخرون يصطادون السمك فى المرفأ بالصنارة *
 نساء صامتات يحملن ماء الخلود فى جرار ملونة رائعة
 تحت أشجار الحور والليلك *
 دع قمة كورنثة الى السيد « سترونجا » ،
 دعه ينقب عن كنوز « كياميك » بك *
 وستشعل محرقة الموتى ، فترمى بضوئها
 على موكب التماثيل العارية التى نخبئ أنفسنا بينها ،
 وبمفتاح ، كاعلان ، تندس قصيدة فى ابطننا *

✽ مشهد

فى الرواق ، وقفت المرأة الحزينة ، والمحامى ، والحارس *
 فى المكتب المجاور للبواب یرن التليفون * « فى الرابعة » *
 قالوا « القارب » *

- « فى الرابعة » ، قالوا ، « تماما » .
- قرقت البوابة الحديد من جديد .
- كانوا يجيئون بمزيد من الناس الى الساحة .
- « سأرسل لك سجنائى » ، قالت المرأة .
- « حان الوقت » ، قال الحارس .
- على الجدار كان عنكبوت كبير يزحف .
- انفتح الباب الثانى فجأة - انكفأ الرجل الميت على وجهه .
- والآخر اختطف العنكبوت ، ودسه فى فمه ،
- وهو يضحك وأسنانه منطبقة .
- « تكلم » ، صرخوا فيه . « تكلم » .
- « تكلم » ، هددوه . لم ينطق بكلمة . كان يضحك .
- جلست المرأة على البطاطين وأخفت وجهها فى يديها .

✽ أحجار

- تأتى الأيام ، وتمضى ، بلا مجهود ، بلا دهشة .
- والأحجار تغوص فى الضوء والذاكرة .
- واحد يجعل من حجر وسادة .
- آخر يضع حجرا فوق ملابسه قبل السباحة حتى لا تطير مع الريح .
- وآخر يستخدم حجرا مقعدا له ،
- أو ليحدد شيئا ما فى حقله ، فى المقبرة ، فى الحائط ، فى الفابات .

- فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تعود الى البيت ،
- فان أية حصاة من الشاطئ تضعها على منضدتك
- هى تمثال صغير - « نايكى » صغيرة أو كلب « أرتيميس » ،
- صغير .

وتلك الأخرى ، التى وقف عليها شاب بأقدامه المبتلة فى
الظهيرة ،

هى « باتروكلوس » ذو رموش طويلة مسدلة .

✽ متتالية الاحساس

غاصت الشمس أرجوانية ، فبرتقالية

والبحر معتم ، أخضر لازوردى .

وبعيدا ، هناك قارب -

علامة سوداء متأرجحة .

شخص ما نهض وصاح : « قارب ، قارب » .

ترك الآخرون - فى المقهى - مقاعدهم ، ونظروا .

كان هناك - بالتأكيد - قارب .

لكن الرجل الذى صاح ،

كما لو كان - الآن - مذ

نظر الى أسفل ، وقال :

« لقد كذبت عليكم » .

✽ لحظة خشوع

كانوا ينخلون الرمل على الشاطئ ، وحملوا ،

فى الشمس الحارقة كانوا يقطرون عرقا

بعد الظهر ، خلعوا ثيابهم ، امتطوا جيادهم ومضوا الى البحر ،

مذهبين سمرا من الشمس الحارقة ومن شعر أجسامهم .

اطلق شاب صرخة وأسقط يده الى مفترق ساقيه .

أسرع الآخرون اليه ، حملوه ، أرقدوه على الرمل ،

وهم ينظرون اليه صامتين ، عاجزين عن الفهم ،

الى أن أبعد أحدهم اليد - فى خشوع - عن مفترق الفخذين ،

آنئذ ، رسموا جميعا - وهم يتحلقون حوله - شارة الصليب .

والجياذ ، بليلة ، ذهنية ، تنشقت ،
ورؤوسها تشير بعيدا الى الأفق •

* ذنب

أخذ قبعتيه وخرج •
ظلت عند المنضدة بالقرب من المصباح •
عندما أصبح وقع خطواته بعيدا ،
نظرت الى يدها فى الضوء •
« انها جميلة » ، قالت •
بعد ذلك ، كما لو كانت تبرئ نفسها أمام شخص ما هناك ،
أخذت الخبز الى المطبخ وأطفأت النور •
فى الخارج مرت عربات الكارو والقمر •

* اذعان

فتحت النافذة •
أطلقت الريح ، فى هبة مفاجئة ، شعرها ،
كطائرين كبيرين ، على كتفها •
أغلقت النافذة •
كان الطائران على المنضدة ينظران اليها •
أحنت رأسها بينهما
وبكت فى هدوء •

* رحيل

تلاشى فى نهاية الطريق •
كان القمر عاليا •

- صرخ طائر على الشجرة .
- انها قصة عادية ، بسيطة .
- لم ينتبه أحد .
- بين عمودى اضاءة الشارع
- بقعة دم كبيرة .

✽ سباق الظلال

- عند انقلاب الصيف ، حينما كان شديد الحرارة ،
- كنا نتمشى لساعات في الطريق المقدس خارج جدران المدينة .
- تراب لا ينتهي ، وعرق ، وشمس تغمى .
- المظلة البيضاء مرفوعة فوق رأسى اثنين من الكهنة
- بيد اثنين من ذرية « اتيوبوتادى » ،
- وهم ينزون عرقا ، فى حالة يرثى لها ، متمسكين بعجرتهم .
- كان يبدو كأن الشمس كلها قد تركزت
- على هذه الخيمة البيضاء الباهرة المتحركة .
- عندما وصلنا ، فى النهاية ، والصخور العارية تعمينا ،
- غطينا الأيقونة بالتراب .
- آنشد ، توقف العرق فى الحال .
- ندى عذب رطب المظلة .
- ظهرت غيوم خفيفة فوق قمم التلال . سقط ظل على الرموش .
- ربما كان من انهاء هذا المسير . لكن لا .
- كان الشبان يخلعون ثيابهم .
- والمباريات الرياضية كانت تبدأ .

✽ بعد الهزيمة

- بعد تدمير الاثنينين فى « أيجوسبوتامى » ، بعده بقليل ،
- بعد هزيمتنا النهائية . « اثبت المناقشات الحرة ، والمجد
- البريكليسي ،

وازدهار الفنون ، والملاعب ، ومنتديات فلاسفتنا •
 الآن الكتابة ، صمت ثقيل فى الأسواق ،
 وقذارة الطفلة الثلاثين •
 كل شيء (حتى أخص ما يخصنا) يحدث باهمال
 دون فرصة لشكوى ، أو دفاع ، أو تبرير ، أو حتى احتجاج
 شكلى •
 أوراقنا وكتبنا أحرقت ، وشرف وطننا يبلى •
 حتى اذا ما سمح لصديق قديم أن يمثل كشاهد ،
 فسوف يرفض مخافة أن يقع فى نفس المتاعب -
 وسيكون محقا بالطبع •
 لهذا ، فمن الأفضل أن نكون هنا - من يدري ،
 فربما يمكننا أن نحظى بتواصل حى مع الطبيعة ،
 ونحن ننظر الى جزء من البحر ، والصخور ، والغابات
 أو الى غيمة عند الغروب ، نائية ، بنفسجية ، ترحل ، خلف
 السلك الشائك •
 وربما يصل ذات يوم « كيمون » آخر ، يقوده فى السر نفس
 النسر ،
 وسيحفر ويعثر على رأس حربتنا الحديدية ،
 صدئة ، متهاكة ،
 فيمضى الى أثينا ، ويرفعها فى موكب للعويل أو الانتصار
 مع الموسيقى وأكاليل الفار •

✳ ونحكي عنهم ...

بالطريقة التى انحدروا بها مع كلماتنا وأفكارنا ،
 لا يمكن أن تربكنا الأمجاد القديمة أو اللاحقة ،
 ولا كتب السيرة لأرستيديس -
 وعندما يبدأ أحدنا - أحيانا - فى تذكر أحداث الثلاثمائة
 أو المائتى عام ،

يقاطعه الآخرون على الفور بازدراء ، أو - في الحد
الإجنى - بريية .

لكن أحيانا - مثل الآن - عندما يصفو الطقس ذات يوم أحد ،
ونحن نجلس تحت شجر الأوكالبتوس ، في هذا الضوء
العنيد ،

يطغى الحنين الى الأجداد القديبة على أحننا

- لا يهم ان كنا نصفها بأنها رخيصة -

عندما بدأ الموكب في الفجر ، نافخ البوق في المقدمة ، خلفه
المركبات المحملة بأغصان النار والآس ،

ثم الثور الأسود وفتيان يحملون جرار اللبن والنبيد

من أجل القرايين وقوارير زيت وعطر جميلة -

لكن أكثر ما كان يبهرننا ، في نهاية الموكب ،

حاكم « بلاتياى » بكل ما يرتديه من أرجوان ،

وهو الذى لم يكن مسموحا له بقية العام بلمس الحديد

وعليه بالتزام الأبيض فى كل ثيابه ،

الآن يرتدى الأرجوان ويحمل سيفاً طويلاً ،

عابراً المدينة فى مهابة ، نحو مقابر الأبطال ،

حاملاً جرة من جرار الدولة .

وبعد غسل شاهد المقبرة ، بعد الأضحيات السخية ،

يرفع كأس النبيد ، يعلن وهو يريقه على المقابر

« اننى أقدم هذا الكأس الى أشجع الرجال

الذين سقطوا من أجل حرية اليونانيين » ، -

وتمرق رعشة خلال غابات الغار القريبة ،

رعشة تظل ترفرف خلال أوراق هذه الأوكالبتوس

وخلال هذه الثياب المرقعة من كل الألوان

المعلقة كى تجف فى الشمس .

✽ الرقصة الجديدة

ليست أعذارا فحسب ، بل دوافع أصيلة ، نتائج هامة -
 أهواء ، ومصالح ، ومخاطر ، ومخاوف - باسيفاي ، والمينوتور ،
 والمتاهة ، وأرياذنى ، وخيطها الشبقي الجميل
 الذى لا يرتخى ، فيفوقه فى الظلام الجبرى .
 ثم عودة « ثيسوس » الظافرة .
 توقف فى ديلوس وهناك رقص « ثيسوس » حول الكيراتون
 (المذبح الشهير المصنوع بكامله من قرون الحيوانات)
 مع فتیان أثينا الذين رافقوه ، رقصة جديدة خارقة
 بخطوات متقاطعة ترددت - ربما - فى ضوء الظهيرة القوي ،
 وفى المنعطفات المظلمة للمتاهة ،
 وربما من يدرى - صنعت الطيور وزين الحصاد هذا الصخب
 العظيم
 فى غابة الصنوبر الصغيرة القريبة -
 ما الذى لم تستطع اكتشافه ، وكنت مشدوها
 من الشمس والانعكاسات الصادرة من البحر ،
 زجاج دقيق مسحوق ، والحركات الباهرة للأجساد العارية -
 رقصة خارقة .
 وفيما بعد نسينا كل ما يتعلق بالمينوتورات والباسيفايات
 والمتاهات
 وحتى أرياذنى البائسة التى تموت وحيدة مهجورة فى
 ناكسوس .
 لكن الرقصة سرعان ما انتشرت فى البلد وما نزال نرقصها .
 منذ ذلك الحين ، واكليل السعف مقضى بأن يكون
 رمزا تذكاريًا للمباريات الرياضية فى « ديل » .

✽ أقول الأرجو

الليلة ونحن نتحدث عن كيف تمر الأشياء وتشينخ ، تصبح
 رخيصة -

النساء الجميلات ، والمآثر البطولية ، والقصائد -
تذكرنا السفينة الأسطورية عندما جاءت الى كورنثة ذات ليلة
ربيعية ،
وقد نخرها السوس ، متهاكة ، ومساند المجاذيف محطمة ،
ملينة بالترميمات ، والثقوب ، والذكريات •
الموكب الطويل عبر الغابة ، بالمشاعل ، والاكاليل ، والنايات ،
ومباريات القتيان •
كانت الأرجو القديمة هبة فاتنة الى معبد بوسيدون •
ليلة جميلة ، ترتيل الكهنة ، بومة تنعب من قوصرة المعبد ،
الراقصون يقفزون - بخفة - على السفينة
يقلدون الفعل العنيف بتكشيرة غير مهذبة ،
حركة المجاذيف غير الموجودة ، والعرق ، والدم •
آثند ، بصق بحار عجوز عند قدميه ومضى الى الغابة الصغيرة
ليبول •

* ياس بنيلوب

لم تكن المسألة أنها لم تستطع التعرف عليه
فى الضوء الكابى للنيران ،
لم تكن أسمال المتسول ، وتنكره •
لا •
كانت هناك علامات واضحة :
الندبة فى مقدمة الركبة ،
جسده المفتول العضلات ، ونظرته الماكرة •
حاولت - فى رعبها ، وهى تستند على الجدار -
أن تجد تبريرا ما ، مهلة ما ، كى تتفادى الرد ،
حتى لا تخون أفكارها •
أكان من أجله أن ضيعت عشرين عاما ،
عشرين عاما من الانتظار والحلم

من أجل هذا البائس ، الغارق في السماء ، بلحيته البيضاء ؟
 انهارت على المقعد بلا كلمة ،
 أمعنت النظر في الثياب الذبيحة على الأرض ،
 كما لو كانت ترى رغباتها القتيلة .
 قالت : « أهلاً » ،
 فتسمع صوتها كأنه يجيء من بعيد ،
 كأنه صوت شخص غريب .
 والنول - في الركن - يرمى بظله كقفص على السقف ،
 والطيور التي نسجتها بخيوط حمراء زاهية وسط الأخضر
 تتحول الآن الى الرمادي والأسود
 وترحل مرفرفة خفيفة في السماء الفاترة
 لمحتها الأخيرة .

✽ أئينا ١٩٧٠

في هذه الشوارع
 يمشى الناس ،
 يهرع الناس ، يتعجلون
 أن يتعدوا ، أن يفروا (ممن ؟) ،
 أن يذهبوا (أين ؟) - لا أعرف - لا وجوه -
 منظمات للفراغ ، أحذية ، صناديق -
 يهرعون .

في هذه الشوارع ، في زمن آخر -
 مروا بأعلام كبيرة ،
 وكان لهم صوت (أذكر ، سمعته) ،
 صوت مسموع .

الآن ،

يمشون ، يهرعون ، يجرون ،
ساكنين في هرولتهم -
يأتي القطار ، يركبون ، يتدافعون ،
ضوء أخضر ، أحمر ،
البواب خلف الفاصل الزجاجي ،
البغى ، الجندي ، الجزار ،
الحائط رمادي ،
أعلى من الزمن .

حتى التماثيل لا تستطيع أن ترى .

* تعذيرات

ربما سيكون عليك أن تظل متمالكا لصوتك ، -
غدا ، بعد غد ، بعض الوقت ،
وعندما يهتف الآخرون تحت الأعلام ،
سيكون عليك - أنت أيضا - أن تهتف ،
لكن تأكد أنك تسدل قبعتك على عينيك ،
الى أسفل ، أسفل تماما ،
حتى لا يروا الى أين تنظر عيناك ،
ولا يهم ان كنت تعرف أن هؤلاء الذين يهتفون
ينظرون الى اللامكان .

* ذنب سرى

الاثم والبراءة - قلنا - شيء واحد في نفس الليلة .
الآخر أقسم ألا يقول . لكن من يدري -

فأنت لا تستطيع أبدا أن تتأكد ما إذا كان وكـم من الوقت
سيظل صامتا ، وستظل صامتا ، -
وربما ستندفع بحماسة لتسبق الآخر ،
وأنت تنظر الى المطر يقطر
أسفل الزجاج المضء للمطعم ،
حينما يسمع المقعد وهو يسقط فى الزحام ،
والكوب يتهشم ،
وهو ، والطعنة فى جنبه ، دامي العينين ،
يمد ذراعه الكبيرة ، المفتولة
ويشير اليك .

* وظيفة الشاعر

فى الممر ، المظلة ، والحذاء المطاطى ، والمرآة ،
فى المرآة ، النافذة أقل سكونا ،
فى النافذة ، بوابة المستشفى عبر الشارع ،
هناك ، طاوور طويل من المتبرعين بالدم ،
المأوفين ، ذوى الصبر النافذ -
أوائلهم شمرروا أكمامهم
بينما المصابون الخمسة فى الغرف الداخلية ميتون .

* رسام تجريدى

رسام - ذات أصيل - رسم قطارا .
هربت العربية الأخيرة من الورقة .
عادت الى المخزن بنفسها .
فى هذه العربية - بالذات - كان يجلس الرسام .

✽ إيضاح ضرورى

- هناك مقطوعات معينة - وأحيانا قصائد بكاملها -
 • لا أعرف معناها •
 انه ما لا أعرف هو الذى يحملنى على الصمت •
 فانت محق فى أن تسألنى •
 لكن لا تسألنى •
 فأنا لا أدرى ، أقول لك :
 • ضوءان متوازيان يأتیان من نفس المركز •
 صوت الماء المتساقط فى الشتاء
 من ماسورة صرف المياه الزائدة ،
 أو صوت قطرات الماء وهى تساق •
 من زهرة فى حديقة مروية ،
 بطيئة ، بطيئة على مساء ربيعى
 كنشيع طائر •
 لا أعرف ما يعنيه هذا الصوت ،
 ومع ذلك ، فانتى أقبل به •
 فأيا ما كان ما أعرف ، فقد أوضحتك لك •
 لست متجاهلا •
 لكن هذه - أيضا - تضيف الى حياتنا •
 فانتى ألاحظ - عندما نامت -
 كيف شكلت ركبناها زاوية على الملاءة -
 لم تكن - فحسب - مسألة حب •
 فقد كان هذا الركن ملتقى العذوبة ،
 وشذى الملاءة ، والنظافة ،
 والربيع المكمل لذلك الشئ المستعصى على التفسير
 الذى حاولت - دون جدوى مرة أخرى -
 أن أفسره لك •

* لحظة

• حتى بحارة منبوذ • الأضواء ناعسنة •
حانات البيرة البائسة مصفوفة في طابور كنساء معدمات ،
ينتظرن بلا أمل أمام المستشفى القروي •
الشارع مظلم • الجميع قرروا النوم مبكرا •
لكن فجأة
تضاء الحانات حتى مقاعدها الأخيرة
بالضحكة البيضاء الناصعة لأحد الشبان •
وبعدها مباشرة
جاء صوت البحر اللانهائي ، المنتظم ، الذي لا يقهر •

* تطابق

هذا التمثال البرونزي اتخذ وضعاً وفق هواء في منتصف
الشتاء ،
تلك الخطوة العملاقة للحصان
كأنه يقفز على الرياح العكسية الجبارة ،
حتى لو كانت سيماء الفارس المتكبرة ، المتعالية
قد تعادلت مع الهطول والغيوم والعواصف المرعدة
عندما حولت ومضات البرق العنان الى شعلتين نحيلتين ثابتتين
حتى أنك لا تستطيع أن تقول ما اذا كان العواء
قد صدر من الريح على طول الشوارع العارية
أم من القم المفتوح للتمثال •
لكن الآن •
مع هذا الريح ، المسترخي ، المتساهل ، المتسامح ،
مع هذا الضوء الناسي ، هذا الضوء ذي المزاج الطيب
(ربما بسبب الجبن ، أو منهكا من الحر)
الذي تربط به أشعة الشمس المتاحة ورقة الشجر بالأخرى ،

الشجرة بالأخرى أو بالبيوت ،
 النظرة بالأخرى أو بالشفاه -
 مزاج التمثال أصبح الآن فوق الاحتمال، مستغفرا ، غير لائق ،
 الى حد أن الفارس البرونزى - نفسه - قد ترجل عنه ،
 نادى ثلاثة عاطلين كانوا ينتظرون فى الحديقة العامة بالمعاول،
 وبدأ - وهو ينز عرقا ، راضيا - فى تحطيم تمثال .

* مدرج مسرحى قديم

عندما وقف شاب يونانى - حوالى الظهيرة -
 فى مركز مدرج مسرحى قديم دون أن يرتاب ،
 ووسيميا مثلما كانوا ،
 أطلق صيحة (لا من الاعجاب ، فلم يحس أبدا بالاعجاب
 وحتى اذا كان قد أحسه ، فلم يكن - بالتأكيد - ليظهره) ،
 صيحة بسيطة ، ربما من فرح لم يروض بشبابه
 أو ببساطة - ليجرب خصائص السماع بالمكان .
 فى الجهة المقابلة ، عاليا فوق الجبل المتدفع ، رد الصدى -
 الصدى اليونانى ، الذى لا يقلد ولا يكرر
 لكنه يتواصل - ببساطة - الى ارتفاع بلا حدود
 الصيحة الخالدة للقصيدة الحماسية .

* شجرة

تجذرت هذه الشجرة فى الجانب الأقصى من الحديقة ،
 طويلة ، نحيلة ، وحيدة -
 ربما خان ارتفاعها فكرة سرية عن الاقتحام .
 لم تنتج ثمرة ولا زهرة ،
 بل ظلا طويلا - فحسب - يقسم الحديقة الى اثنتين ،
 وقياسا على التعارض مع الأشجار المحنية ، المحملة .

كل مساء ، بعد ما يتلاشى الغروب المجيد ،
يجثم طائر يرتقالي اللون ، غريب ، صامتا وسط أوراقها
كأنه ثمرتها الوحيدة -

مثل جرس ذهبي صغير في برج هائل ، أخضر •
عندما قطعت الشجرة ، رفرف الطائر حولها بصرخات وحشية ،
قصيرة ،

وهو يرسم دوائر في الهواء ، يرسم في الغروب
شكل الشجرة الذي لا ينفد ، وذلك الجرس الصغير
دق في الأعلى دون أن يرى ،
بل وأعلى من ارتفاع الشجرة الأصلي •

* صعود

جلس طوال أيام في حقل أحد الغرباء ،
وهو يخطط دائما لتسليق شجرة التين الجرداء ذات يوم في
السر

كي ينظر الى العالم من أعلى ، باحساس ورقة شجر
أو باحساس طائر ،

لكن دائما ما كان يمر شخص ما ،

فاستمر بذلك - دائما - في التأجيل •

ذات غسق ، تلفت في حذر حوله - ما من مخلوق -

وتسليق بمشقة الى أعلى غصن •

آنثذ ، سمع أصواتا وسط الأدغال :

« ما الذي تفعله عاليا هناك ؟ »

أصوات عالية ، ورد : « تينة ، كانت هنا تينة أخيرة • »

انكسر الغصن •

أنهضسوه •

أطبقوا بإحكام على يده اليمنى :

عندما أجبروه على فتح أصابعه ، لم يجدوا شيئا •

* اعادة تشكيل

ذلك الذى تسميه سكينه أو انضباطا ، رحمة أو لا مبالاة ،
 ذلك الذى تصفه بأنه فم مغلق على أسنان مطبقة ،
 يكشف الصمت العذب للفم ، يخفى الأسنان المطبقة ،
 هو - فحسب - تحمل المعدن تحت المطرقة النافعة ،
 تحت المطرقة الرهيبة - ذلك ما تعرف :
 أنك تعبر من اللاشكل الى الشكل •

* أرضنا

تسلقنا التبل لنلقى نظرة على أرضنا :
 حقول قليلة وفقيرة ، صخور ، أشجار زيتون •
 مزارع كروم تمتد الى البحر •
 بجوار المحراث نار صغيرة ترسل الدخان •
 صنعنا من ثياب الرجل العجوز خيال مائة لمواجهة الغربان •
 وأيامنا تتقدم نحو خبز قليل وشمس كبيرة •
 تحت أشجار الحور تلتهم قبعة من قش •
 الديك فوق السياج •
 البقرة صفراء •
 كيف توصلنا الى تنظيم بيتنا وحياتنا
 بيد من حجر ؟
 وثمة سناج - حتى عتبة النافذة -
 من شموع عيد الفصح ، عاما بعد عام :
 صلبان صغيرة سوداء رسمها هنالك
 الموتى العائدون من صلاة النشور •
 هذه الأرض مفتونة بالصبر والكرامة •
 كل ليلة ،
 تشرئب التماثيل من البثر الجاف فى حذر ،
 وتسلك الأشجار •

* العودة

- في البداية ، رحلت التماثيل
- وبعد قليل ، الأشجار والناس والحيوانات
- أصبحت الأرض - بكاملها - مهجورة
- هبت الريح
- تجمعت الجرائد والأشواك في الشوارع
- في الغسق ، انطفأت الأنوار من تلقاء نفسها
- عاد رجل وحده ، نظر حواليه ،
- أخرج مفتاحه ، وغرسه في الأرض
- كأنه يسلمه الى يد تحت الأرض
- أو كأنه يزرع شجرة
- ثم صعد السلالم الرخامية
- وحدق أسفله في المدينة
- في حذر ، واحدا وراء الآخر ، عادت التماثيل



أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠

- | | |
|---|---|
| <p>١٩٥٩ : العجوز والبحر
 امرأة بجوار البحر
 ١٩٦٠ : النافذة
 ١٩٦١ : القديس الأسود
 (باتريس لومومبا)
 قصائد ، الجزء الأول
 قصائد ، الجزء الثاني
 ١٩٦٢ : البيت الميت
 تحت ظل الجبل
 ١٩٦٣ : شجرة السجى والمرأة
 شهادات - ١
 ١٢ قصيدة الى كافافى
 ١٩٦٤ : قصائد ، الجزء الثالث
 ألعاب مرحة للسماء والماء
 ١٩٦٥ : فيلوكتيت
 ١٩٦٦ : روميوسينى
 أوريس
 شهادات - ٢
 ١٩٦٧ : أوسترافا
 ١٩٧٢ : أحجار وتكرارات وقضبان
 هيلين
 ايماءات
 البعد الرابع
 عودة ايفيجينى
 كريسوثيرميس
 ايسمين</p> | <p>١٩٣٤ : تراكتورات
 ١٩٣٥ : أهرامات
 ١٩٣٦ : ابينافىوس
 ١٩٣٧ : أغنية أختى
 ١٩٣٨ : سيمفونية الربيع
 ١٩٤٠ : مسيرة المحيط
 ١٩٤٢ : مازوركا قديمة على ايقاع
 المطر
 ١٩٤٣ : محاولة
 ١٩٤٥ : رقيقنا
 ١٩٥٢ : الرجل ذو القرنفلة
 (نيقوس بيلويانىيس)
 ١٩٥٤ : سهر
 ١٩٥٥ : نجمة الصباح
 ١٩٥٦ : سوناتا ضوء القمر
 ١٩٥٧ : تاريخ
 وداع
 الجرة
 شفافية الشتاء
 وقت حجرى
 (ماكرونيسيوتيك)
 جيران العالم
 ١٩٥٨ : عندما يأتى الغريب
 مدينة بلا خضوع
 معمار الأشجار
 فيما وراء ظل أشجار السرو</p> |
|---|---|

- ١٩٧٣ : ١٨ أغنية قصيرة الى الوطن
المرئير
الممر والسلالم
جراجاندا
- ١٩٧٤ : وعاء السخام
برج الكنيسة
الحائط في المرأة
ورقيسات
محاولات
- ١٩٧٥ : سيدة الكروم
القرن الأخير قبل الانسانية
أشتغار ظرفية
ملحق المجد
(آريسن فيلوشيو تيس)
يوميات المنفى
النسوة المبعوثات
قصائد : الجزء الرابع
- ١٩٧٦ : الحراسة
البيعيد
ملانم
عسكري المرور
البوابة
الجسد والدم
امراة مونيفاسيا
الرائعة الرهيبة
فيدرا
أذن ؟
مطرقة الباب
- ١٩٧٩ : كتابة الأعمى
شفافية
آلات ذات وتر واحد
ايروتيكا
محاكاة تهكمية

* * *

المراجع

رفعت سلام ، يانيس ريتسوس : قصائد من دم وجبر ، مقدمة (يانيس ريتسوس : اللذة الأولى ، ترجمة وتقديم ، المبحقة الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢) .

ريتسوس ، القصيدة فعل جمالي متكامل (حوار) ، ترجمة ضياء نافع ، مجلة الأتلام (بغداد) ، يونيو ١٩٨٧ .

Edmund Keely, Ritsos in Parentheses, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, U.S.A.

Gérard PIERRAT, La Longue Marche d'un Poète, in : Yannis Ritsos, AVANT L'Homme, Flammarion, Paris, 1975.

Peter BIEN, Introduction, in : Yannis Ritsos, Selected Poems, Efstathiadis Group S.A. Athens, 1993.

C. CAPRI-KARKA, Doorman's Booth ;

Peter BIEN, ORESTES, Cow ;

William SPANOS, Yannis Ritsos' Romiosini, Style as Historical Memory ;

Yannis RITSOS, By way of Introduction to the Testimonies ;
Upon Reading Again the Collections The Wall In The Mirror and Doorman's Booth ;

in

The CHARIOTEER, Special Double Issue (20-30), 1987-1988. Pella Publishing Company, New York.

تعريف بالمترجم

- ★ شاعر ومترجم
- ★ تخرج من كلية الآداب / قسم الصحافة ، بجامعة القاهرة ١٩٧٣ .
- ★ صدر له خمسة دواوين شعرية ، وكتابان فى الدراسات ، وخمسة كتب فى الترجمة .
- ★ منح شهادة تقدير من « لجنة كفافيس الدولية » عن ترجمته لقصائد ريتسوس التى صدرت عام ١٩٩٢ ، بعنوان « اللذة الأولى » .
- ★ ترجمت أشعاره الى الفرنسية الانجليزية والايطالية واليونانية والكرواتية .
- ★ منح جائزة « كفافيس » الدولية فى الشعر ، عام ١٩٩٣ ، عن دوره المتميز فى الشعر المصرى والعربى .
- ★ صدر - عن تجربته الشعرية - كتابان نقديان ، للدكتور محمد عبد المطلب أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس ، والدكتور على البطل رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة المنيا ، بالإضافة الى عشرات الدراسات النقدية ، وفصول فى بعض رسائل الماجستير الدكتوراه .
- ★ شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية .

المترجم

- شعر : وردة الفوضى الجديدة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٨٧ •
- نشرقات رفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٩٢ •
- انها توميء لي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٣ •
سلسلة (نوانذ) ، القاهرة ١٩٩٦ •
- هكذا قلت للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٩٣ •
- كرغوة على جسدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٩٧ •
- دراسات : المسرح الشعري العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٨٦ •
- بحثا عن التراث العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ •
دار الفارابي ، بيروت ١٩٩٠ •
- ترجمة : الغجر • • وقصائد أخرى ، بوشكين ، دار ابن خلدون ، بيروت
١٩٨٢ •
- غيمة في بنطلون • • وقصائد أخرى ، ماياكوفسكي ، دار
الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ •
- الابداع القصصي عند يوسف ادريس ، كبرشوبيك ، دار
شهدي ، القاهرة ١٩٨٧ •
دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٣ •
- الشیطان • • وقصائد أخرى ، ليرمونتوف ، اتحاد أدباء وكتاب
الامارات ، الشارقة ١٩٩١ •
- اللذة الأولى • • وقصائد أخرى ، يانيس ريتسوس ، الملحقة
الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢ •
دار الينابيع ، دمشق ١٩٩٦ •

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف دامروس
سبع معارك فاصلة في العصور
الوسطى

د. ليتراير تشامبرزدايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية إزاء مصر

د. جون شتيلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في
السنة

بيير البير
الصيد

د. غيبريال وبسة
الشر الكوميديا الإلهية لاندتي
في الفن التشكيلي

د. ريميس عوش
الأيدي الروسي قبل الثورة
البلشفية وبسها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكيت الرييس
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. محي الدين أحمد حميد
الثقافة المصرية والإفتاء للصغار

ج. داملي أندرو
نظريات الفيلم الكبري

جوزيف كوتراد
مفاهيم من الأدب القصص

د. جرمان دورشنر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأي توحيد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة النطاق الاستراتيجي
حرب الفضاء

د. السيد عليوة
أدلة الصراعات العولية

د. مصطفى حشاش
البيروكسيوت

مجموعة من الكتاب اليابانيين للقضاء
والمحقيقين

مختارات من الأدب الياباني
د. للشعر - الدراما - الحكاية -
لل قصة القصيرة ،

بيل شول وادبنت
القوة النفسية للأمرام

د. صفاء خلوصي
فن الترجمة

رالف ثي ماتر
تولستوي

فكتور برومبير
ستندال

فيكتور هوجو
رمائل وأحاديث من الحقي

فيكتور هيرنبورج
الجزء والكل - محاورات في مضمار
الفيضاء النورية

سندى هوك
التراث القامخ - هاركس
والماركسيون

د. ع. آينكوف
فن الأدب الروائي عند تولستوي

هادي نعمان البيتي
أدب الأطفال - فلسفته ، فنونه ،
ومناطه

د. نعمة رحيم المزاري
أحمد حسن الزيات كاتبا وثاقدا

د. فاضل أحمد الطاشي
أعلام العرب في الكيمياء

جلال المصري
فكرة المسرح

متري بارويس
الجسيم

د. السيد عليوة
صنع القرار السياسي في
مؤسسات الإدارة العامة

جاكوب برينوفسكي
التطور الحضاري للإنسان

د. روجر ستروجان
هل تستطيع تعلم الأخلاق
للأطفال ؟

كاتي ثير
تريسة الدواجن

١٠ ميسر
نولوتي وعالمهم في مصر
القديمة

د. ناعوم بيتروفيتش
البحر والخط

برتراند رسل
أحلام الأعلام وقصص أخرى

ي. رانو نكاياروم جابوتسكي
الالكترونيات والحياة الحديثة

أليس مكسلي
قطعة مقابل نقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج. فويس و. ج. نيكستور
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسنرديل اي
الأرض الغامضة

والتر آل
الرواية الإنجليزية

لويس فارحاس
المشهد الى فن المسرح

مارتنس بوماس
آلهة مصر

د. قدرى حفس واحرون
الإنسان المصري على الضافة

أولج مولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

ماشم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكسوال
مجموعات النقاد - ميائتها
تصنيفها - عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نفسي ومعطق

د. محسن جاسم الموسوي
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الإنسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المطلب شمراري
المسرح المصري المعاصر
أصله ودياقته

أنور المداوي
على محمود طه الشاعر والإنسان

ب. كرملان
الاساطير الغريقية والرومانية
د. توماس أ. هاريس
التوافق النفسي - تحليل
الاحتمالات الإحصائية
لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الناشر : دار الفكر
روائع الادب العالمية ١
روى آرمز
لغة الصورة في السينما الحديثة
تاراس ، تشيبو
الشهرة ان الرائدة في اليابان
بول تاراسوف
العلم في العالم
ميكائيل اليكسييف
الترجمة للنشر
أوليفر فيليب
لغة التعليم المتكامل
فيكتور مورجان
تاريخ الفكر
محمد كمال اسماعيل
التصايل والتكامل التكنولوجي
أبو القاسم الادريسي
الشمس ٢
ديتليف تومر
الصحف القديمة ٢
جاء كرامس جونايد
كتلة التاريخ في مصر لثلاث
الشيخ علي
محمد نزار كرملي
فيام لثلاث
قراي بل
التشغيل في الصناعة والتكنولوجيا
تاجور ، شين بن بلع وآخرون
مختارات من ادب الاسيوية
ناصر شعور علوي
بشرية
نابليون جونايد تومر
واخرون
سقوط الحكم ونقص اشرى
١ عبد عبد الشكور
كتب شيرت للنشر الانساني
٧
جان ارنس بوري واشتون
في القصة الحديثة في افريقيا
المعاصرة في افريقيا
بول كرامز

روى روبرتسون
الهيروين والايبيز واخرهما في
المجتمع
دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية - ثلثة على
حيوانات افريقية
هاشم الناصر
نجيب محرق على الشاشة
د. محمود سري طه
الكوميديا في مجالات الحياة
بيتر لوري
المشكلات صقلية ثقافية
بوريس فيسروفيش ميرجيت
وقاليف الاسماء في الاف
اليام
ويليام بينز
الهندسة البنائية للمجمع
ليفيدي المرتين
تربية اسماك الزينة
أحمد محمد الشيرالي
كتب فيزيت للنشر الانساني
جون د. بورد وميلتون بيرلينجر
الفلسفة وتطبيقاتها ٢
ارنولد تويني
الفكر التاريخي في الاف
د. صالح رضا
ماتص رحابيا في الفن
التصايل المعاصر
م. ه. كنج وكثرون
التصايل في البلدان النامية
جورج جادرف
يداية بلا نهاية
د. السيد طه السيد ابو سعدي
الحرف والصناعات في مصر
الاصنافية منذ النسخ للثلاث
على نهاية لعصر الانساني
جاليابو جاليابو
حوار حول التكنامير الرئيسيين
اللون ٢
أريك موريس رانز مر
الانفاني
سيزال الدرية
اشكوتون
ارثر كيدان
القبيلة الثالثة عشرة ويبر
الفرم

جايرويل بايد
تاريخ ملكة الياضي في مصر
الدينية
تولوى دي كرملي وكينيث هينري
اعلام الثقافة السياسية
الاصنافية
دوايت مورين
كتلة للعلماء في مصر
دوايت مورين
الزمن ونظامه (من جزء من
التيين جزء من ثقافية وحتى
التيين)
مهندس ابراهيم الترشاوي
الجزء الثاني للزمن
بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والتطبيقات
الاجتماعي
جوزيف دامموس
سبعة مؤرخين في مصر
الوصفي
م. م. بوزا
التجربة اليونانية
د. حاصم محمد رزق
مواكب الحضارة في مصر
الاصنافية
رونالد د. سمبسون وفورمان د.
أندرسون
العلم والاصناف والاصناف
د. انور عبد الله
الشارح القصص والفكر
ولت و. ان روستي
حوار حول القضية الفلسطينية
فريد م. م. ميس
فهميد الكيمياء
جون لويس بيركهارت
الاصناف والاصناف المصرية
من الاصناف الشعبية في مصر
مصعد على
الان كاسيزان
الفرق السيلفاني
سامي عبد الحلي
التقنية السيلفاني في مصر
بين الافريقية والتاريخ
فريد موبل وشا- را ويكراما سينج
ليفيور لثلاث
حسين جاسم الهندس
مراة نشتنة (بين الثقاية
والفكر) لثلاث
٢
٣١٢

كريستيان سلايه السيناريو في تصنيفها التاريخية	د. بياره لودج الأزهر في ألف عام	موديس بيد برايز صناع الخلود
بواه وارن خفيا تدم نجم الشرق	ستيفن رافينمان الحضارة الصينية	زيجمونت هيز جماليات فن الأفواج
جورج مستانير بين توتنستون وهرشترينسكي	د. ج. واز معالم تاريخ الحضارة	جوناثان ريلس سميت الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية
يانكو لافرين الرومانسية والنوعية	جوستاف جروندرام حضارة الإسلام	الفريد ج. بتر الكنائس القبطية القديمة في مصر ٢ ج
محمود سامي حلا الله أنيلم التسجيني	د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ رحلة بيروت إلى مصر والحجاز	ريتشارد شاغز روك الفلسفة الحديثة
جوزيف بتس رحلة جيتيك إلى	جلال عبد الفتاح الكون ذلك المجهول	ترانيم زراعت من كتاب الإنسان لنفس
ستاف جيه دالين أنواع نظم التنجيم	أرتواك جزل وآخرون الطفل من الخامسة إلى المراهقة	الحاج يونس المصري وحالاته فيهما
ماري ب. فاش الحسن والقيس ونفسه	٢ ج	هربرت ثيلر الاتصال والهيمنة الثقافية
جوزيف م. جينز فن التفرقة على التتم	بادي أوتومو أفريقيا - للفرق الآخر	برتراند راسل السلطة والفرد.
كريستيان دينس فونكود أداة التفرقة	د. محمد زعيم فن الزجاج	بيتر نيكولاز السياسة الخيالية
جوزيف بنعام موجز تاريخ العلم والحضارة	برنيسالي مالبونيسكي الصدق والتكلم والتفن	اندوارد ميرى من التقدير السيماني الأمريكي
في الصين	ادم متر المقابلة الإسلامية	نفتالي لويس مصر الرومانية
ليونارد دكنس نظريه التصوير	فانس بكاره أنهم يصنعون البشر	ستيفن أرموند التاريخ من شتى جوانبه ٣ ج
د. ج. ه. جينز كونن للواقع	د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ يوميات رحلة فاستي داجاما	موني إبراهيم وآخرون السياسة العربية من الخليج إلى المحيط
رونولف فون هابسبورج رحلة الأمير رونولف إلى الشرق	أيفري شاتومان كونن القصد	فانس بكاره أنهم يصنعون البشر ٢ ج
مالكوم براينري الرواية اليوم	سوتدري الفلسفة الجوهرية	جابر محمد الجزائر ماتريشيت
وليم هارستون رحلة ماركس إلى ٢ ج	مارتن فان كريفلد حرب المستقبل	د. إبرار كريم الله من هم الفن
هنري بيرين تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	فرانسيس ج. ديجين الإصنام الحقيقية	ج. س. فريزد الكاتب الحديث وعالمه
جيتيد شنيدو نظريه الطب أقداسي رقراءة الشعر	عبد مياش البحرية المصرية من محمد علي المسلمات	٢ ج
اسحق عظيموف العلم والتجني المستنق	ج. كاريل تجسيد التنظيم لاهتسية	سوريل عبد الملك حيث الفن
رونالد دانييل لانج الحكمة والجثث والصلابة	توماس ليبهارت فن المايه والبايتي-ج	من روائع الآداب الهنسية
كارل بزر يحقق عن حاتم نقل	انوارد هريونو التفكير المتجدد	أوريو تود منحل إلى علم اللغة
فرمان كلارك الاقتصاد السياسي للعلم والاقتصاد	ويليام ه. ماتيز ما هي الجيولوجيا	اسحق عظيموف الضموس المتجددة
		اسرار الصور فوفا
		مارجريت روز ما بعد الحداثة

السيد نصر الدين السيد	ونفرد مولز	روبرت سكرانز وكثيرين
اطلاعات على الزمن الاتي	كانت ملكة على مصر	أفاق الحب الفيل العلى
ممدوح عطية	جيمس هنرى برستد	ب. من ديلين
البرنامج القوى الاسرائيلي	تاريخ مصر	المفهوم الحديث للمكان والزمان
والامن القومي العربى)	بول دافيز	س. موارد
د. ايوبسكاليا	الخطائق الثلاث الاثنية	اشهر الرحلات الى غرب افريقيا
الحب	جوزيف وهارى فيلتمان	و. يارتولد
ايور ايفانس	دينامية الفيلم	تاريخ التره فى آسيا الوسطى
مجلد تاريخ الانب الانجليزى	ج. كرينتو	فلانيسير تيمانيدانو
ميريت ريد	الحضارة الفينيقية	تاريخ اوريا الشرقية
التربية عن طريق الفن	ارتست كاسيرو	جائيزيل جاجارسيا ماركيز
وليام بينز	فى المعرفة التاريخية	الجزال فى المساهمة
معجم التكنولوجيا الحيوية	كنت آ. كتشن	هنرى برجمون
الفين توفلر	وميسس الثاني	الضحة
تحول السلطة ٢ ج	جان بيل سارتر وآخرون	د. مصطفى محمود سليمان
يوسف شراوة	مختارات من المسرح العالمى	الزوال
مشكلات القرن الحادى والعشرين	روزالند. وجاهك يانسن	م. و. شنج
والعلاقات الدولية	الظل المصرى القديم	ضمير المهلس
رولاند جاكسون	نيكولاس مايز	١. ر. جرنى
الكيمياء فى خدمة الانسان	شراوكه هولز	الحيفون
ت. ج. جيمز	ميجيل دى ليبس	ستينو موسكاتى
الحياة ايام الفراعنة	الفلران	للحضارات السامية
جرج كاشمان	جوسيبى دى لونا	د. البرت جرانى
لماذا تشيب المروپ ٢ ج	موسوليني	تاريخ الشعوب العربية
حسام الدين زكريا	الريز جرايتر	محمود قاسم
انطون بروكتر	موتسارت	الرب العربى المكتوب بالفرنسية
ازرا ف. فوجل	على عبد الرؤوف اليمى	
المعزة اليابانية	مختارات من الشعر الاسيائى	

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٨٣٨/١٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5171 — 8

أحس بأننى ما أزال طفلاً يافعاً، وأن عمرى يمتد إلى ملايين السنين. وكل عام يمر، أزداد فتوةً بما أكسب، أى بما أفقد. لقد عبرتُ ميتات كثيرة، وسأمت أخيراً وأنا أجمل بعض الأبدية. والنهار الذى يمر ليس نهاراً أخسره من حياتى، إنما هو جديد لا يشبه الذى مضى. إنه نهار غير مُعبر عنه يضاف إلى حياتى. فما أكتشفه اليوم كنت أجربه بالأمس. هكذا يغتنى شبابى الروحى. إننى أقيس الحياة بالمعرفة المدهشة للحياة. فالزمن الذى يمر هو إضافة لى: «إننى شخْتُ شباباً لا يشيخ». أجل، أنا متفائل. لقد خرجتُ من أحلك الظلمات. خرجتُ حياً من الأمراض، ومن جلسات التعذيب. ويمكننى القول أننى خرجتُ من أغوار الموت. والتفاؤل ليس سهلاً، وليس وسيلةً سهلةً لتجاوز الصعوبات أو تجاهلها. تفاؤلى لا يتزعزع، وهو راسخ لأنه ينجم - تحديداً - عن اليأس.